

جلوسية ومون كنغان

التخييل القصصي

الشعرية المعاصرة



ترجمة: حسن أحمامة



دار الثقافة

للشعر والنسج

الدار البيضاء

التخييل القصصي

الكتاب : التخيل القصصي — الشعرية المعاصرة.
المؤلفة : شلوميت ريمون كنعان.
الترجم : لحسن أحمامة.
الناشر : دار الثقافة.
الطبعة : الأولى 1995 .
الحقوق : محفوظة للناشر.
الغلاف : بوشعيب هبولى.
المطبعة : النجاح الجديدة — الدار البيضاء.
الإيداع : 1137 / 1995 .

جلوميت ريمون كنعان

التخييل القصصي

الشعرية المعاصرة

ترجمة: لحسن أحمامة



دار الثقافة

للنشر والتوزيع

34-32 شارع فكتور هيو - ص.ب. 4038

المسائف 30.76.44 - 30.23.75

157 شارع لاهيرون - الهاتف 24.79.32

تليكس 22402 - الدار البيضاء

Shlomi



NARR

CONTEMPORARY POETRY

1982, Methuen, London and New York

وقد تم نقله مباشرة عن الانجليزية

إلى نجمتي الصباح والمساء :
ولدي إسماعيل
وأخي الحسين.

لحسن

تقديم

تنغيا هذه الترجمة تقديم أهم المكونات الأساسية لشعرية النص القصصي. وعلى الرغم من وفرة الكتابات حول السرديات باللغة العربية والترجمات منذ مطلع العقد الماضي، فالقارئ العربي، كما نعتقد، مازال بحاجة إلى كتابات أخرى تنحو هذا المنحى، مادام الامساك بالنص القصصي عصيا، وتقدم له بالتالي تصورات منهجية وإجرائية. على أن هذه التصورات وإن كانت لاتفي بكل ما يرغب فيه القارئ والناقد، إلا أنها تبقى ذات أهمية بالغة ضمن سيرورة النقد الأدبي. كانت الغاية الأولى من ترجمة هذا الكتاب تعليمية، بهدف جعل القارئ العادي يستأنس بالجهاز المفاهيمي لشعرية النص. ذلك أن ما ينشر وما يصدر من قراءات ودراسات نقدية غالبا ما يكون موجها إلى القارئ المهتم والممارس للنقد، أي أنه يكون أكاديميا صرف. وبالتالي لا يخدم سوى هذه الفئة القليلة جدا داخل كل مجتمع. ونعتقد أن ذلك نفس هدف الناقدة شلوميت.

على أن الكتاب لا يتضمن الجانب النظري فقط، بل التطبيقي أيضا. في التطبيق اشتغلت شلوميت ريمون — كنعان على نصوص أمريكية، انجليزية، فرنسية، أمريكية لاتينية، إسبانية، الكتاب المقدس... الخ، وكأنها بذلك تروم البحث عن المكونات الجوهرية والقواسم المشتركة في كل ماهو قصصي تخيلي، آملة التأكيد على مصداقية شعرية القص وحضورها الدائم في نصوص القرن الثامن

عشر والقرن العشرين مروراً بالقرن التاسع عشر — في النص التقليدي والحديث — بعد أن سعى العديد من المنظرين إلى وأد النبوية وإحلال التفكيكية محلها.

ولئن كانت الشعرية النبوية لا تقدم تحليلاً للنص القصصي — وهو مأخذ على جيرار جنيت — إلا أنها تفتح آفاقاً للتحليل بعد أن يصير القارئ قادراً على فك مغاليق النص وكيفية اشتغاله. من هنا يسهم شكل النص كما هو مكتوب في إعطاء أبعاده ودلالته. وكما تقول يمني العيد «إن القراءة النقدية المستندة إلى معرفة بهيكلية النص هي إذن قراءة تبغي إعانة القارئ على ممارسة لذة القراءة من موقع المعرفة بفنية الكتابة، أي بأسرار لعبها»^(١).

في إطار ترجمة المصطلحات الواردة في الكتاب، أفدنا من كل من د. جابر عصفور، يمني العيد، د. نبيلة إبراهيم، وسعيد يقطين. وقد حاولنا قدر الامكان تارة التوفيق بينهم وتارة أخرى ترجيح الكفة للمصطلح الأكثر تداولاً. يترجم كل من د. جابر عصفور ود. نبيلة إبراهيم Narrative بالقص، ويترجمه سعيد يقطين بالحكي. لذا اقتفينا أثر الاثنين الأولين، رغم أن مشكل المصطلح في العالم العربي مازال مسألة شائكة وتتضارب حولها الآراء.

نود أن نشير في الختام إلى أننا اعتمدنا التبسيط في اللغة، هدفنا من ذلك عدم إرهاب القارئ أو تحسيسه بالملل أثناء قراءته، وحتى يكون الكتاب إمتاعاً وموانسة.

المترجم

أوفوس — الدار البيضاء 1994

(١) يمني العيد «تقنيات السرد الروائي، في ضوء المنهج النبوي»، دار الفارابي، بيروت، 1990، ص : 12.

مدخل

التقارير الاخبارية، كتب التاريخ، الروايات، الافلام، المسلسلات الهزلية، البانتوميم، الرقص، القيل والقال، الجلسات الخاصة بالتحليل النفسي كلها ليست سوى جزء من القص الذي يتخلل حياتنا. أحد هذه الأصناف سيكون محور هذا الكتاب، ألا وهو صنف «التخييل القصصي» سواء في شكل الرواية أو القصة القصيرة أو القصيدة القصصية.

لكن ما القص ؟ وما الذي يجعل من هذه القصيدة الفكاهية ذات الأبيات الخمسة قصة ؟

كانت هناك امرأة شابة من النيجر
تبتسم وهي ممتطية صهوة نمر
عادة من الرحلة
في بطنه المرأة
والابتسامة على محيا النمر.

كيف لنا أن نميز بين هذه القصيدة الفكاهية والخطاب التالي :

الورود حمراء
البنفسجات زرقاء
السكر حلو
وأنت هكذا.

لماذا لا يمكن اعتبار هذا الأخير قصة ؟

وما التخيل القصصي ؟ كيف يختلف عن الأنواع القصصية الأخرى ؟ بأي معنى يعتبر التقرير الاخباري ك : «شب حريق أمس بمستودع بشارع أو كسفورد» قصا وليس تخيلا قصصيا ؟ وما هي الخصائص التي تحول خطابا ما إلى نص قصصي ؟ ما هي المظاهر الأساسية للتخيل القصصي وكيف تتفاعل فيما بينها ؟ كيف يفهم المرء نصا قصصيا معينا، وكيف يمكن وصفه إلى الآخرين ؟

هذه الأسئلة مع أسئلة أخرى ستم دراستها بين دفتي هذا الكتاب. لكن من الأفيد البدء بالتعريفات المساعدة على العمل في مفتاح مصطلحات العنوان، وبالتالي امدادنا بهيكل فيما يتعلق بالتداولات الاضافية.

الشعرية هي :

الدراسة النسقية للأدب كأدب. إنها تعالج قضية «ما الأدب ؟» والقضايا الممكنة المطورة منها، ك : ما الفن في اللغة ؟ ما هي أشكال وأنواع الأدب ؟ وما طبيعة جنس أدبي أو نزعة ما ؟ ما نسق فن خاص أو لغة خاصة لشاعر ما ؟ كيف تتشكل قصة ما ؟ ما هي المظاهر الخاصة لاثار الأدب ؟ كيف هي مؤلفة ؟ كيف تنتظم الظواهر غير الأدبية ضمن النصوص الأدبية ؟

(هروشوفسكي ص. B XV ، 1976)

أعني «بالتخيل القصصي»، السرد المترابط للأحداث التخيلية. ولئن بدا هذا التعريف بدهيا، فإنه، مع ذلك، يتضمن بعض المواقف فيما يتصل ببعض القضايا الأساسية في الشعرية. بادئ ذي بدء يوحى مصطلح السرد (أ) إلى عملية تواصل تتضمن قصا كرسالة مرسلة من مرسل إلى متلق و (ب) إلى الطبيعة اللفظية للأداة المستعملة لنقل

الرسالة. هذا هو ما يميز التخيل القصصي عن القص في وسائل أخرى، كالفيلم، الرقص أو التمثيل اليمائي⁽¹⁾.

يقترح التعريف أيضا الكيفية التي يختلف فيها التخيل القصصي عن النصوص الأدبية الأخرى كالشعر الغنائي أو النثر التفسيري، وعكس هذا الأخير، يمثل التخيل القصصي «تعاقب الأحداث» (توماتشفسكي 1965، ص 65، الطبعة الأصلية باللغة الروسية 1925). في هذه المرحلة الأولى من مناقشتنا، قد يعرف الحدث بدون صرامة شديدة كشيء يحدث أو شيء يمكن تلخيصه بفعل أو اسم حركة مثل : رحلة، ربما على نمر. وبرغم أن القصص ذات الحدث الواحد ممكنة نظريا (وربما تجريبيا أيضا) (انظر الفصل 2)، فإني أتحدث عن تعاقب أحداث بقصد الاقتراح أن القصص تتضمن أكثر من حدث. هكذا فالمرأة في القصيدة الفكاهية تمتطي صهوة النمر في البداية ثم تعود إلى بطنه.

أخير، فالأهمية القصوى في هذا الكتاب تكمن في قصص الأحداث التخيلية. لهذا السبب لن أتطرق إلى القص اللفظي غير التخيلي كالقيل والقال، الشهادات القانونية، التقارير الاخبارية، كتب التاريخ، السير الذاتية، والرسائل الشخصية... الخ. وأعتقد أن الوضع

(1) بهذا المعنى، هدف دراستي هو في نفس الوقت أوسع وأضيق مما يسمى عادة بـ «علم السرديات». أوسع لكونه يعالج مظاهر التخيل القصصي أكثر من المظاهر القابلة للنقل من وسيط إلى آخر. وأضيق لأنه لا يعالج هذه المظاهر القابلة إلا في علاقة مع مظهرها في الأدب، وليس في الوسائط الأخرى. بطبيعة الحال، لا يقيد أغلب المنظرين «علم السرديات» في مظهر القص القابل للنقل (كما فعل تودوروف 1969، وبرنس 1973). فبعض يستعمل المصطلح لتحديد دراسة كل مظاهر القص. على سبيل المثال، تصرّح بال (1977، ص. 21) بأن السرد (زائد المنظور) مشكلة سردية بامتياز (في ص 13، تتحدث على نحو تصريحي عن نوعين من علم السرديات).

التخيلي للأحداث قضية تداولية. فالمسألة القابلة للجدال هي أن كتب التاريخ والتقارير الاخبارية والسير الذاتية ليست في بعض النواحي أقل تخييلًا مما تم تصنيفه اصطلاحيا في هذا الاطار. فبالامكان تطبيق بعض من هذه الاجراءات المستخدمة في تحليل التخيل على النصوص المعرفة اصطلاحيا كنصوص «غير تخيلية». مع ذلك وما دامت مثل هذه النصوص ذات خصائص خاصة بها، فإن المجال لا يتسع لذكرها في هذا الكتاب.

إن التعريف السابق للتخيل القصصي يقدم، كذلك، تصنيفا لمظاهره الأساسية :

الأحداث، تمثيلها اللفظي، وفعل الكلام أو الكتابة. ومن منطلق جنيت الذي ميز بين «القصة»، «الحكي» و «السرد» (ص.ص. 71 — 76، 1972) سأنتع هذه المظاهر بـ «القصة»، «النص» و«السرد» على التوالي⁽²⁾.

تشير «القصة» إلى الأحداث المحكية المجردة من تنظيمها داخل النص وإعادة بنائها في القول في نظام كرنولوجي بمعية المشاركين في الأحداث.

إذا كانت «القصة» هي التابع للأحداث، «فالنص» هو الخطاب

(2) هذا الفارق يستدعي رسوما مفصلة متشابهة للحقل، كالشكلايين «المتن» مقابل «المبنى» (على سبيل المثال توماتشفسكي 1965، ص. 66)، تودوروف «القصة» (histoire) مقابل «الخطاب» (discours) (1966، ص. 126)، تشاتمان، «القصة» (Story) مقابل «الخطاب» (discours) (1978، ص. 19)، بارث «الوظائف»، «الأفعال»، «السرد» (1966، ص. 6)، وبال «القصة» (histoire)، «الحكي» (recit)، «النص القصصي» (texte narratif) (1977، ص.ص. 4 — 8). للأسف، وما دام كثير من قراء هذا الكتاب غير معتادين على تصنيفات أخرى، سأحجم عن مقارنتها مع مصطلحاتي.

المنطوق أو المكتوب المتعهد بالقول. بشكل مبسط، النص هو ما نقرأ، وضمنه لا تظهر الأحداث بالضرورة في ترتيب كرنولوجي مع توزيع خصائص المشاركين على مساحته، كما أن كل مواد مضمون القصة مصفاه عبر موشور أو منظور (المبثر).

ومادام النص خطاباً منطوقاً أو مكتوباً، فإنه يستدعي من ينطقه أو يكتبه. إن فعل أو عملية الانتاج هي المظهر الثالث — «السرد». ويمكن اعتباره واقعياً أو تخيالياً. في العالم التجريبي، الأداة المسؤولة عن انتاج القص ونقله هو المؤلف، إلا أن عملية النقل التجريبية أقل ارتباطاً بشعرية التخييل القصصي من نظيرتها في النص. فداخل النص يستلزم النقل راوياً تخيالياً. ينقل القص إلى مرو له تخيلي.

من هذه المظاهر الثلاثة للتخييل القصصي، يكون هو الوحيد في متناول القارئ مباشرة، من خلاله يطالع على القصة (هدفها) وعلى السرد (عملية انتاجها). لكن، ومن جانب آخر يتم تعريف النص القصصي عن طريق هذين المظهرين: إذا لم يرو قصة لن يكون قصاً، وبدون سرده أو كتابته لن يكون نصاً. وحقيقة الأمر أن القصة والسرد يمكن رؤيتهما ككنايتين للنص. يكون استحضار الأولى عبر مضمونها القصصي والثانية عبر انتاجها⁽³⁾.

هكذا حتى الآن اقترحت أجوبة أولية لكل الأسئلة باستثناء السؤالين الآخرين المشار إليهما في بداية هذا المدخل. فاختلافهما عن الأسئلة الأخرى يكمن في كونهما يهتمان خصوصية النصوص الفردية أكثر من الخصائص الشائعة بين الأعمال التخيلية القصصية. والحق أن الحضور المشترك لهذين النوعين من الأسئلة دال على الهدف

(3) تم استلهاً وصف القصة والسرد ككنايتين للنص من قبل بيري (1979)، ص. 43) الذي يناقش في هذا الصدد العلائق بين النص والقارئ الضمني.

المزدوج من هذا الكتاب. من جهة آمل أن أقدم وصفا للنسق المستحكم في كل قص تخييلي، ومن جهة ثانية، أتمنى أن أظهر طريقة من خلالها يمكن دراسة القص الفردي كتحقق من النظام العام.

هذا التوجه المزدوج يقتضي مزيجا من أبحاث نظرية وتوضيحات مستمدة من أعمال التخيل القصصي. من غير شك، فبعض القضايا أكثر إذعانا للتوضيح فيما هناك قضايا أخرى تستدعي مناقشة أكثر تجريدا، ووفقا لذلك سيتم توزيع الأمثلة. ونظرا لضيق المجال والتنوع، سوف لن أقوم بتحليل شامل لكل نص على حدة، لكن أفضل مناقشة مقتطفات من نصوص عديدة مستقاة من فترات مختلفة وآداب وطنية متنوعة. ولئن جاءت بعض الأمثلة متكررة في سياقات مختلفة، فإن ذلك ليس من أجل التعزيز فحسب، بل لأجل التأكيد أن الأجزاء النصية هي نقط اتصال لمبادئ تركييبية متنوعة وليس أمثلة جاهزة لأحد هذه المبادئ مع إبعاد أخرى (رغم أن هيمنة واحد منها قد يكون واضحا). فالتحليل يقتضي التركيز على القضية المأخوذة بعين الاعتبار، بيد أن النصوص أشد ثراء مما قد تعطيه المظاهر إذا ما تم عزلها.

يعتمد تقديمي على النقد الجديد الانجلو أمريكي، الشكلائية الروسية، النبوية الفرنسية، مدرسة تل أبيب الشعرية، وظاهراتية القراءة. إلا أن الكتاب غير مبني حسب «المدارس» أو الأشخاص المنظرين (مثل هاوكس 1977)، بل منظم حول الخصائص المميزة للتخيل القصصي (ك: الأحداث، الزمن، السرد). والميل المجلو هنا لبعض المقاربات ولاختيار مظاهر خاصة من كل مقارنة يتضمن موقفا شخصيا من القضايا المختلفة. وهو موقف ليس مقتصرًا على تضمين صامت: بالعكس ففي كثير من الأحوال يجلو ذاته من خلال تعليقات صريحة أو تعديلات للنظريات المجتمعة. إلا أن الكتاب لا يقدم

نظرية أصيلة، لأن التوتر بين إدماج النظريات الموجودة وتقديم نظرة شخصية كبت حتمي لكل محاولة في التوليف. على نحو مشابه كان من الضروري استخلاص الأغراض المناسبة من كل نظرية بدون طرح النظرية برمتها أو اقتفاء أثر كل تضميناتها. أمني أن يشجع هذا الكتاب القارئ على الاستمرار في استكشاف هذا الحقل حتى يتم ملء بعضا من هذه الثغرات.

القصة : الأحداث (1)

مسألة استقلالية القصة

القصة، كما سبقت الإشارة، هي الأحداث المحكية والشخص المستخلصة من النص. ولأنها كذلك، فهي جزء من تشييد أكثر اتساعا يحيل عليه البعض كعالم معاد بناؤه أو (تمثيلي) (أو «مستوى») (هروشفوسكي 1976 a، ص 7)، بمعنى «الواقع» التخيلي الذي من المفترض أن تعيش فيه شخص القصة وتدور فيه الأحداث. والواقع أن القصة واحدة من المحاور داخل التشييد الأوسع : محور التنظيم الزمني. ومادام هذا المحور هو الذي تحول هيمنته نصا يمثل العالم إلى نص قصصي، فسأقتصر في مناقشتي عليه، تاركة التشييد الأوسع كمجال غير قصصي على وجه التخصيص.

القصة كاستخلاص وكبناء ليست في متناول القارئ، والحق أنه مادام النص هو الشيء الممكن رؤيته ومظهر القص اللفظي، فيبدو معقولا أخذه كنقطة ثابتة في كل مناقشة للمظاهر الأخرى — مثل ما سأفعل في الفصول 4. 5. 6. أعتقد أن ما هو مطلوب هنا هو الدفاع عن قرار التعامل مع القصة بمفردها في هذا الفصل وكذا في اللاحق.

بصرف النظر عن القصة كمادة خام وغير مميزة، تؤكد هذه الدراسة

(1) يعتمد هذا الفصل بشكل كبير على مسودة أعدها موشي رون. وقد تم نقل المقاطع منها حرفيا. إلا أنه تم تغيير التصور العام، المادة، ترتيب المفردات وكذا الأسلوب بشكل جذري، حتى لا يكون رون (للأسف من جهتي) مسؤولا عن نقائص هذا الفصل.

على خصيصتها المبنية وعلى كونها مشكلة من مكونات مُتفرقة، ومن ثم لها إمكانية تشكيل شبكة علاقات داخلية. نظرة كهذه تبرر محاولات فصل الشكل عن مادة المضمون المروي (narrated)، شكل قصصي خاص⁽²⁾. قد تماثل الامكانية النظرية لاستخلاص شكل القصة مهارات المستعملين الحدسية في معالجة القصص : قدرتهم على إعادة قولها، إدراك المتغيرات في نفس القصة، تمييز نفس القصة داخل وسيلة أخرى، وهلم جرا. هذا الحدس هو الذي قاد تقريبا كل مهتم بالسرديات، مقتفيا أثر فلاديمير بروب، لصياغة دعوى بأن بنية محاثية للقصة أحيانا تسمى ساردية (narrativity) يمكن، على الأقل، عزها بقصد الوصف. فما قام بروب بدراسته في «مورفولوجية الخرافة الروسية»، يقول بريون، هي طبقة مستقلة للمعنى،
ويضيف :

قد يفيد موضوع الخرافة كحجة لرقصة باليه، وقد يتحول موضوع الرواية إلى الخشبة أو على الشاشة، يمكن للفيلم أن يروى للذين لم يشاهدوه. إنها الكلمات التي يقرأها المرء، والصور التي يشاهدها، والايماءات التي يفك مغالقتها، لكن عبرها هناك قصة يتابعها، وقد تكون نفس القصة.

(بريون 1964 ص. 4 الترجمة الانجليزية رون)

الموقف الأقوى مأخوذ عن غريماس، والذي هو اعتراف بملاحظة بريون، تصل إلى القبول بضرورة التمييز الرئيسي بين مستويين من التمثيل والتحليل : مستوى ظاهر السرد

(2) حركة بنيوية كلاسيكية. انظر ميشليف 1961، ص. ص. 47 — 60 ؛

بارث 1970، ص. ص. 39 — 41. الطبعة الأصلية بالفرنسية 1964 ؛

غريماس 1966، ص. ص. 25 — 27.

تخضع فيه تجليات السرد لضرورات مواد لسانية خاصة، من خلالها يتم التعبير عنها، ومستوى محاث يشكل نوع جذع بنائي عام تقوم عليه الساردية وتنظم قبل تجلياتها. وبالتالي فالمستوى السيميائي للعام يختلف عن المستوى اللساني ويكون قبله مهما كانت اللغة المختارة للتجلي

(غريماس 1977، ص 23
الطبعة الأصلية بالفرنسية 1969)⁽³⁾

ما ينشأ عن هذه القضايا (بالامكان إضافة برنس 1973، ص 13) هو أن القصة استخلاص لـ (أ) الأسلوب الخاص للنص المتكلم عنه (كأسلوب هنري جيمس الأخير، مع زخرة العبارات الثانوية، أو محاكاة فوكنر للإيقاع واللهجة الجنوبيين)، (ب) واللغة المكتوب بها النص (انجليزية، فرنسية، عبرية) و (ج) الوسيلة أو نسق العلامة (كلمات، لقطات سينائية، إيماءات)، إن القصة، وليس النص الذي هي منه مستخلصة يمكن الامساك بها كشيء قابل للنقل من وسيلة إلى وسيلة، من لغة إلى أخرى، وكذا داخل نفس اللغة.

هذه النظرة قد تقابل بالاقناع الحدسي المضاد والتساوي لكثير من قراء الأدب المتمرسين، بأن الآثار الأدبية بدون إبعاد مظهر القصة «ضياع شيء» في إعادة الصياغة أو «الترجمة» (ضياع أكثر من شيء، لنقل، في نسخة هوليود). بتعبير آخر، وكما يشير الادعاء فالقصص،

(3) انظر كذلك بارث 1966. ص. 1 تودوروف 1966، ص. ص. 126 — 127 ؛ بافيل b 1973، ص. 1. يفترض آخرون صورة أخرى لهذا الادعاء عن طريق معالجة نماذج مطورة لأجل مجال سيميائي وثقافي قابل للنقل إلى مجال آخر على نحو غير إشكالي. لاحظ أن دراستي تتحدث عن «المظاهر» بدل «المستويات».

في بعض الوجهات الدقيقة، متوقفة على الأسلوب، اللغة، والوسيلة.
هذا ما يقرره بقوة تودوروف في أحد أعماله الأولى :

لا يوجد المعنى قبل نطقه أو إدراكه...، فليس هناك وجود لتلفظين
لهما معنى متطابق إذا ما اتبع نطقهما طريقا مختلفا.

(1967، ص 20 الترجمة الانجليزية لرون)

إذا ما تم قبولها، فمثل هذه النظرة توحى ببعض الحدود حول
مفهوم الترجماتية بشكل عام⁽⁴⁾. والحق أن القراء ذوي الموقف
المتشدد حول «بدعة إعادة الصياغة» (تعبير ابتكره كلينيث بروكس
1947) لن يجدوا فائدة كبيرة في دراسة القصة من هذا المنطلق.

وحتى مع ما يسمى باللغة الطبيعية، فإن مستعملها يعجزون عن
إنتاج أو فك مغاليق القصص في غياب مقدرة (ضمنية) فيما يتصل
بالبنية القصصية، بمعنى في شيء يُبقى إعادة الصياغة أو «الترجمة». هذه
المقدرة تكتسب عن طريق الممارسة الواسعة للقراءة وقول القصص.
وهنا نواجه بالجدل الاستمولوجي الذي يربط كل تقابل للمحتمل
والواقعي (مثل «اللغة» في مقابل «الكلام» عند سوسير، و«المقدرة»
في مقابل «الانجاز» عند تشومسكي، انظر كولر 1975، ص 8
— 10، هوكس 1977، ص 21 — 22). ضمن هذا المأزق،
فالافتراض الأولي بأن بنية القصة أو الساردية قابلة للعزل يجب أن
توضع على الأقل كفرضية عاملة، غير أن ذلك لا يصل حد التسليم
بالأولوية غير القابلة للجدال، سواء أكانت منطقية أو أنطولوجية،
للقصة على النص (إذا ما أجبرت على الحسم، سأختار الأخير).

(4) حجة تشخص الترجماتية كافتراض للخطاب الميتافيزيقي توجد عند ديريدا
1977، الطبعة الأصلية بالفرنسية 1972.

مفهوم النحو القصصي

رغم أن القصة عبر لفظية، فأحيانا تدعى بأنها متماثلة (بمعنى متساوية في البنية) مع اللغة الطبيعية، ومن ثم فهي خاضعة لنوع التحليل الممارس في اللسانيات. مثل هذا التحليل كثيرا ما يأخذ شكل تشييد «النحو» القصصي، سواء إستخدم التطبيق المباشر للمناهج اللسانية والمصطلحات التي تصبح إلى حد ما استعارية، كـ «نحو ديكامرون» لتودوروف (1969) أو المفهوم الواسع لـ «النحو» مثل ما جاء في قول غريماس :

لن يخفق اللساني، إذن، في أخذ ملاحظة بأن البنى القصصية تقدم خصائص متكررة على نحو لافت للنظر، وهذه التكرارات تسمح بتسجيل الانتظامات المميزة، وبأنها، بالتالي تقود إلى تشييد نحو قصصي، في هذه الحالة، جلي بأنه سيستعمل مفهوم النحو في معناه الأكثر عمومية وغير الاستعاري، مدركا أن مثل هذا النحو يتكون داخل عدد محدود لمبادئ تنظيم بنائي للوحدات القصصية، ويكتمل مع القوانين بهدف التركيب والتوظيف لهذه الوحدات المؤدية إلى انتاج المواضيع القصصية.

(1971، ص 794)

في السنوات الأخيرة، أصبح النحو القصصي حقلا متخصصا بشكل عال، حيث كل حركة تستلزم أبحاثا منهجية وتشكيلات أكثر صرامة مما يمكن أن أعالجه هنا⁽⁵⁾. في هذا الفصل يستحيل تشييد

(5) التعليل الأكثر وضوحا وتصريحا لهذه الاعتبارات يوجد عند بافيل، نسخة مرقونة غير منشورة، وأيضا عند بافيل 1973 a، 1973 b، 1976. في السنوات الأخيرة طور بافيل نموذجا واعدا بشكل رفيع تحت اسم «حركة =

نحو قصصي أو حتى تقديم مسح كاف للاقتراحات الموجودة لمثل هذا النحو. فقط ثمة تقديم انتقائي وسريع لعدد قليل من المفاهيم الأساسية الممكن الاشتغال بها والمستمدة من كثير من النماذج. بيد أنني سأستعير من هذه النماذج النحوية مفهومي البنية العميقة والبنية السطحية، على اعتبارهما مبادئ منظمة لباقي الفصل. ومشتغلة على ذلك، سأدرج تحت هذه العناوين كلتا المسألتين اللتين أثيرتا بجلاء ضمن هذا الهيكل والهيكل الأخرى التي يمكن أن تبدو الآن أنها تساهم فيه على الرغم من أنها طورت بشكل مستقل.

جاءت فكرتا البنية السطحية والبنية العميقة من «النحو التحويلي التوليدي» الذي يتولى بعد (بوصف) العدد اللامتناهي من جمل اللغة عن طريق وضع عدد متناه من قوانين البنية العميقة (بنية الشبة جملة) وعدد من القوانين التحويلية التي تحول البنى العميقة إلى بُنى سطحية وحيث أن البنية السطحية تشكيل مجرد من تنظيم الجملة الملاحظة، فإن البنية العميقة، مع شكلها الأكثر تجريدا وبساطة، تقع تحتها ولا يمكن استردادها إلا عبر استعارة العملية التحويلية. هكذا، فإن جهلتي «قتلت الشرطة اللص» و «قتل اللص من طرف الشرطة» لهما بنيتان سطحيّتان مختلفتان (فعل + فاعل + مفعول به، في مقابل فعل مبني للمجهول + نائب الفاعل + جار ومجرور + مضاف ومضاف إليه، كما أنهما تحددان لنفس الكلمات مواقع مختلفة، اللص مفعول به في الجملة الأولى ونائب الفاعل في الثانية، والشرطة فاعل في الجملة الأولى، ومضاف إليه في الجملة الثانية. وبرغم ذلك فللجملتين نفس البنية العميقة مادام المبني للمجهول تحويلا للمبني للمعلوم. على عكس ذلك، فجملة مثل «طيران الطائرات يمكن أن يكون خطرا» لها بنية

= «النحو»، توجد النسخة الأولى لذلك في 1978. في هذا النموذج يقتبس بافيل التقديم الشبيه بالشجرة المستخدمة في النحو التحويلي.

سطحية واحدة وبنيتان عميقتان، تتوقفان على ما إذا كنا نعني بـ «يمكن أن يكون خطرا» (بالنسبة لشخص ما) الطيران على متن الطائرات» أو «الطائرات التي تطير (في مقابل الطائرات الواقفة) يمكن أن يكون طيرانها خطرا.

مثل اللسانيين، فإن منظري القص المهتمين بكيفية تولد التنوع اللامتناهي للقصص من عدد محدود من البنى الأساسية، أحيانا ما يلجأون إلى فكرتي البنية العميقة والسطحية. فكلتا البنيتين القصصيتين السطحية والعميقة تشكلان أساس البنى اللسانية السطحية والعميقة للنص القصصي اللفظي :

١ - المستويين اللسانيين

1. البنى اللسانية السطحية
2. البنى اللسانية العميقة

إضافة إلى مستويين قصصيين آخرين

3. البنى القصصية السطحية
4. البنى القصصية العميقة

(غريماس 1971، ص 797)

وحيث أن البنية السطحية للقصّة أفقية، بمعنى أنها محكومة من قبل المبادئ الزمنية العرضية، فإن البنية العميقة رأسية، مؤسسة على العلاقات المنطقية السكونية بين العناصر (انظر في القسم أدناه). هذا هو لماذا ليست البنى العميقة في حد ذاتها قصصية حتى ولو جردت من القصّة. على العكس إنها «مُخصصة لتعليل ألفاظ المعنى داخل كون دلالي مصغر»، و (غريماس 1970، ص 161، ترجمة كولر

الانجليزية، 1975 ص 92)⁽⁶⁾. وهذا هو لماذا أيضا سأناقش البنية العميقة أكثر إيجازا من البنية السطحية.

البنية القصصية العميقة

إن أهم نماذج البنية العميقة، في رأيي، هي تلك التي طورها ليفي شتراوس (الطبعة الأصلية بالفرنسية 1958) وغريماس (1966، 1970، 1976). ورغم اختلاف تشكيلها، فإن كليهما يتألف من علاقة متبادلة لمقولتين ثنائيتين. والواقع أن ليفي شتراوس لم يستعمل مصطلح «بنية عميقة» لكن غريماس، مدركا الصلة بين النموذجين، يقول بحق :

إن التمييز الذي قام به ليفي شتراوس منذ دراسته الأولى حول الأسطورة، بين الدلالة الظاهرة للأسطورة، المكشوفة في القص النصي، ومعناها العميق الأفقي واللازمي، يتضمن نفس الافتراضات.... وقد قررنا، بالتالي، إعطاء البنية التي طورها ليفي شتراوس مرتبة البنية القصصية العميقة، القادرة، خلال عملية الأفقنة، على توليد بنية سطحية تناسب تقريبا سلسلة بروب الأفقية.

(1971، ص. 769)⁽⁷⁾

حسب ليفي شتراوس فإن البنية المشكلة أساس كل أسطورة هي

(6) انظر، مع ذلك، غريماس 1970، ص. 187 ؛ هينو 1979، ص. 122 و Groupe d'Entrevignes 1979، ص. 137 من أجل معرفة طرائق حركية المربع التي بمساعدتها يمثل غريماس البنية العميقة (حول المربع انظر ص. ص. 10 — 11).

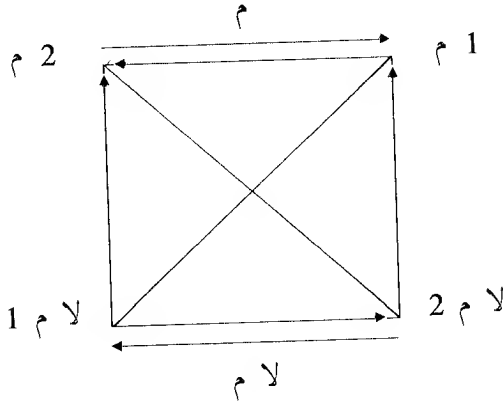
(7) مثل غريماس، سأعالج كذلك نظرية بروب تحت عنوان «البنية السطحية»، رغم أنها، بشكل واضح، تسبق زمنا النموذج التحويلي التوليدي في اللسانيات.

ذات تماثل رباعي المصطلحات، معادلة كل زوج من الميثامات المتعارضة مع الآخر⁽⁸⁾. والصيغة التي تنشأ هي : أ : ب : : ج : د (أ هي ل ب مثل ما هي ج ل د). مثلاً في أسطورة أوديب ملكا، التعارض الأول بين المبالغة في قرابة الدم (على سبيل المثال يتزوج أوديب أمه، تدفن انتيغون أختها رغم التحريم) والاستهانة بقرابة الدم (مثلاً يقتل أوديب أباه، ويقتل إيتيوكل أخاه). التعارض الثاني بين إلغاء أصل الانسان الأصلي (بمعنى نشأته من الأرض أو خلقه الذاتي) وتأكيده. إن الإلغاء تدل عليه الانتصارات المختلفة على المخلوقات الأصلية، مثل التين وأبي الهول، في حين تدل على التأكيد عيوب الانسان المتعددة (الأصل يدل على النقص) : أوديب بقدمه المتورمة، و لا يوس يعني مشلول اليمين... الخ. وتشير معادلة زوجي التعارضات إلى أن المبالغة في قرابة الدم هي بالنسبة إلى الاستهانة بها مثل ما هي محاولة الفرار من الأصل بالنسبة إلى استحالة التوفيق فيها، (1968، ص 216). إن الأسطورة تجعل مشكل الأصل أكثر سهولة من التمسك به عن طريق ربطه بالآخر، تناقض أكثر شيوعاً. (لأجل مناقشة أكثر تفصيلاً، أنظر شولز 1974، ص ص 68 — 74 ؛ كولر 1975، ص ص 40 — 54 ؛ هوكس 1977، ص ص 39 — 43).

وفيما يكون لزوجي التعارضات لدى تماثل ليفي شتراوس نفس النوع، فإن غريماس يُشغل نوعين من المعنات (seme) المتعارضة (المعنى هو الوحدة الصغرى للمعنى) : المتناقضات والمتضادات. يختلف المتناقضان (أ في مقابل لا أ) حين يلغي معنم واحد (أو — في المنطق — موضوعاً واحداً) الآخر كي لا يكونا صحيحين أو خاطئين. إنهما مستثيان وشموليان بشكل متبادل (مثل «أيض» في

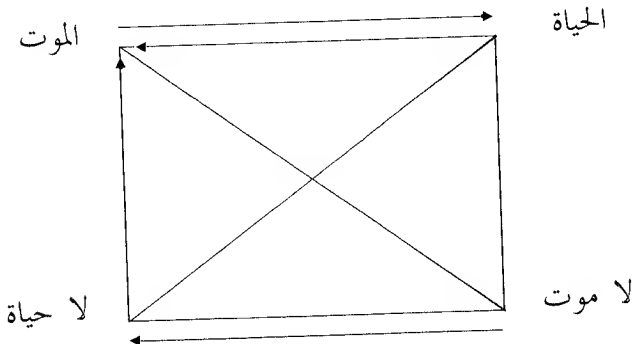
(8) كما يوحي به المصطلح فـ «الميثم» المصاغ على غرار «فونيم»، «مورفيم» الخ... هو أصغر وحدة في الأسطورة.

مقابل «لا أبيض»). من جهة أخرى فالمتضادان (أ في مقابل ب) مستثنيان بشكل متبادل لكنهما غير شموليين (مثل أبيض في مقابل أسود). ولا يمكن أن يكونا صحيحين، رغم أنهما قد يكونا خاطئين (Copi 1961، ص ص 142 — 143). ومحو «أ» و «ب»، ب «م 1» و «م 2» (ترمز م إلى «معنم»)، يقدم غريماس «المربع السيميائي، على النحو التالي :



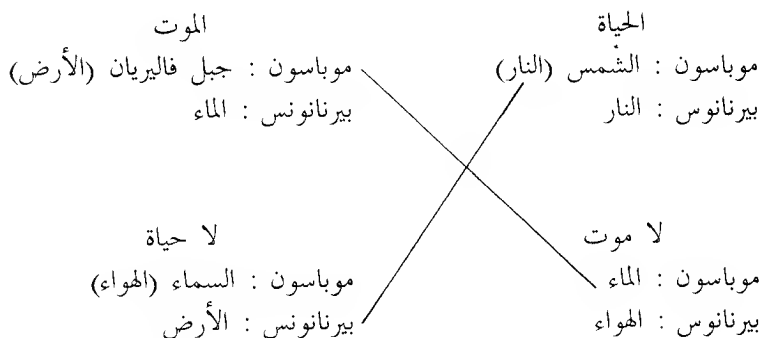
(1966 — 1970)

مثلا في عالم الروائي الفرنسي بيرنانوس، م 1 و م 2 هما «الحياة» و «الموت». ويأخذ المربع الشكل أدناه :



(1966، ص 222 و passim)

نفس القيم يمكن أن تظهر على نحو مختلف في نصوص مختلفة. هكذا يجاور غريماس تعارض «الموت» / «الحياة» عند بيرنانوس مع نفس التعارض لدى موباسون.



(1976، ص 141)

بنية القص السطحية

مشكل الوصف

كما سبقت الإشارة إليه، القصة (متضمنة بنيتها السطحية) تشييد وشكل مجرد من مجموعة من الدوال المرئية التي هي النص، وبالتالي فهي غير ملموسة. هذا يخلق صعوبة منهجية بالنسبة لشعرية القص : كيف يمكن عرض اللاملموس ؟ إن الملموس أو على الأقل الواضح، كما يبدو، يمكن أن يُمنح إلى التشييد المجرد عن طريق كتابته في صياغة جديدة. وبالصياغات الجديدة يشغل محللو القصة.

لكن مم تتكون إعادة صياغة القصة ؟ ترى إحدى المقاربات، التي تؤكد على تشابه إعادة الصياغة مع النشاط العفوي للقارئ، أن الأولى هي سلسلة من عنونات أحداث. في S/Z، يعالج بارث نشاط عنونة الحدث كواحدة من شفرات القراءة (حول الشفرات، انظر كولر

1975، ص ص 202 — 203 ؛ هو كس 1977، ص ص 116 — 118، والفصل 9 أدناه) مسميا إياها «أحداث» :

... ليس المساق الاحداثي إلا نتاج لحيلة القراءة، فكل من يقرأ النص يجمع بعض المعطيات تحت بعض العناوين الشاملة للنشاطات (تجول، قتل، موعد). وهذا العنوان يشمل المساق، فالمساق موجود عندما — ولأنه يمكن أن يأخذ اسما — يتجلى في الوقت الذي تقع عملية التسمية هذه، وفي الوقت الذي يتم البحث أو تأكيد العنوان.

(1974، ص 19 النسخة الأصلية بالفرنسية 1970، انظر أيضا كولر 1975، ص 220)

إن العنونات الممنوحة للأحداث في القراءة أو في إعادة صياغة القصة ليست بالضرورة مطابقة للغة المستعملة في النص. وهذا يطرح مشكل العنونة اللامتنقة. فإذا ما وصف حدث في النص كـ «سمع انفجار عنيف»، أو «ضغطت أصابعه على الزناد»، يمكن عنونته على نحو متنوع كـ : ضغط الزناد، إطلاق النار، طلقة، ضربة (أو إخفاق)، ذبح، نجاح، (أو فشل)، قتل عمد، ثأر، جريمة، إثم، انتهاك، خرق للقانون، (أو إعادة تثبيت القانون). قد يتوقف الاختلاف في العنونة على مستوى التجريد، وهدف إعادة الصياغة، وكذا دمج مفردات الحقائق الأخرى من النص. كما قد يحدد القارئ أي واحدة من العنونات أعلاه في مواقع مختلفة خلال عملية القراءة حسب ضرورة الوضوح. وكلما تقدم في القراءة، فبإمكانه تغيير عنونة كان قد منحها لحدث في المراحل الأولى من قراءته. أما الناقد أو عالم السرديات فمطالب بالشيء الكثير : يجب أن يكون قادرا على تجريد إعادة الصياغات المتأثلة، موفرا تمثيلا متماسكا للعلاقات الدلالية والمنطقية بين كل الأحداث المضمنة. بعض المحاولات على طول هذه السطور قد

تمت (انظر ص ص 32 — 38) لكن مشكل الاتساق مازال يطرح بشكل غير متوقع.

حتى الآن، تبنيت مقارنة واحدة لإعادة صياغات القصة، مناقشة الأحداث فيما يتعلق بالعنوانات، لكن من الواضح أن ذلك يهمل بعض المعلومات الضرورية لاستجلاء ما يحدث في القصة. فقد يفقد مساق مترابط، بشكل واضح، لأفعال معينة من قبل عنوانات الحدث : طلقة، جرح، قتل، ترابطة إذا لم يبق المشاركون ثابتين (إذا لم يكن الذي أطلق الرصاص هو القاتل أو الشخص المجروح ليس هو الشخص المقتول). ومادام كل حدث يتضمن مشاركا واحدا أو أكثر، فإن المقاربة الثانية تقترح أنه بدل تسمية الحدث ليس غير (منحه عنوان)، من الأفضل إعطاؤه صياغة جديدة في جملة بسيطة. مثل العنوانات التي تمت مناقشتها أعلاه، تختلف هذه الجمل البسيطة، المدعوة موضوعات قصصية، عن جمل النص (تودوروف 1977، ص 112 ؛ غريماس 1977، ص 29، الطبعة الأصلية بالفرنسية 1969)⁽⁹⁾.

وسواء تألفت من عنوانات أو موضوعات قصصية، إعادة صياغات القصة ترتب الأحداث وفق مبدأ كرونولوجي. أما إذا كانت إعادة صياغة المضمون المجردة من النص منظمة حسب المبادئ غير الكرونولوجية، فآنذاك ليست إعادة صياغة للقصة، كما أن النص موضوع النقاش ليس قصصيا. على سبيل المثال، تختلف الموضوعات الايضاحية أو الوصفية عن الموضوعات القصصية وفي ذلك يعتقد أنها فعالة في وقت واحد حسب المبدأ المكاني أو المنطقي المستقل بشكل نسبي أو مثالي عن السلطة الزمنية (توماتشفسكي 1965، ص. 66،

(9) يستعمل غريماس مصطلح «الملفوظ القصصي» المنقول بشكل يشوبه الخلط إلى الانجليزية في ترجمة 1977 ك «تلفظ قصصي».

الطبعة الأصلية بالروسية 1925). هذه هي حالة النموذج الرائع للنص اللاقصصي المقدم كاستشهاد في المدخل : «الورود حمراء / البنفسجات زرقاء / السكر حلو / وأنت هكذا». كل الموضوعات الأربع صحيحة في وقت واحد ؛ لكن ليس هناك تنابع زمني في «العالم» الممثل من طرف هذه التعابير، وبالتالي ليس هناك قصة (برنس 1980، ص. 49).

إن حضور أو غياب القصة هو ما يميز النصوص القصصية عن النصوص اللاقصصية. ومع ذلك، فقد توجد عناصر لاقصصية في نص قصصي، مثلما توجد عناصر قصصية في نص لاقصصي. قد تتضمن رواية ما وصفا لكائدرائية، ووصف الكائدرائية، لنقل في الدليل، يمكن أن يتضمن قصة تشييدها.

الوحدات المكونة للبنية السطحية

إن وصف إعادة الصياغة كمتألفة من عنونات الحدث أو من الموضوعات المشيدة حول الأحداث يدل على أن الأحداث هي نفسها وحدات مكونة للقصة⁽¹⁰⁾.

يعرف الحدث ب OED كـ «شيء يحدث»، بهذا المفهوم المبهم بدأت في المدخل. حتى يكون ذلك أكثر نفعا لغرض هذه الدراسة، قد يضيف أحد ما أنه حين يحدث شيء، فإن الوضع عادة ما يتغير. فأي حدث، إذن، يمكن أن يقال عنه إنه تغيير من حالة إلى أخرى. وعكس تشاتمان (1978، ص ص 2 — 31)، لمؤكد على التعارض

(10) الجسم في وحدة — القصة الأساس نقطة كثيرة الجدل. وكثيرا ما يستعمل مصطلح «الوظيفة» لتحديد هذه الوحدة. لكن ومادام هذا المصطلح يستلزم رؤية معينة للقصة، أفضل البدء بـ «الحدث» الأكثر حياديا، وسأقدم مفهوم الوظيفة في القسم التالي، ص. ص. 37 — 40.

بين الحالة والحدث (أو Stasis and process) إذ يبدو لي أن تقرير الحدث يمكن تجزيته إلى عدد لامتناه من الحالات المتوسطة. وهذا هو لماذا لا يحتاج النص القصصي أو إعادة صياغة القصة إلى تضمين أي جملة تدل حرفيا على حدث دينامي ؛ بيد أن تتابع الحالات قد يدل على تتابع الأحداث مثل ما هو في «كان ثريا، وأصبح فقيرا، ثم صار ثريا مرة أخرى»⁽¹¹⁾ وكما أن أي حدث مفرد يمكن تقسيمه إلى سلسلة من الأحداث المصغرة والحالات المتوسطة، فبالإمكان — عكس ذلك — تصنيف عدد ضخم من الأحداث تحت عنوان حدث مفرد (مثلا «سقوط الامبراطورية الرومانية»). هذا هو لماذا من الصعب الاحتفاظ، أحيانا بتمييز مطلق بين مفهوم «الحدث» ومفهوم «تتابع الأحداث».

يمكن تصنيف الأحداث إلى نوعين أساسيين : تلك التي تدفع بالفعل عن طريق فتح (نوى) بديلة، وتلك التي توسع، تسهب، تحتفظ أو تعطل (الخوافز) السابقة (بارث 1966، ص.ص. 9 — 10 ؛ تشاتمان 1969، ص.ص. 3، 14 — 19. يسمى تشاتمان 1978 النوع الثاني «التوابع»). حين يرن جرس الهاتف، يمكن للشخصية أن ترد أو لا ترد، هنا يفتح بديل والحدث بالتالي هو النواة. لكن بين رنين جرس الهاتف والرد (أو قرار عدم الرد)، فالشخصية قد تحك رأسها، تشعل سيجارة، قد تلعن... الخ. هذه هي الخوافز — إنها لا تفتح بديلا بل «ترافق» النواة بطرق متنوعة.

يبين الوصف البنائي كيف تَنْضَمُّ الأحداث لخلق مسافات صغيرة تتحد بدورها لتشكّل مسافات كبيرة، وهذه تخلق معا القصة الكاملة.

(11) الطريق الوحيد لتطويق هذا المشكل هو الحديث، كما فعل برنس (1973) عن الحدين «stative» و «active»، غير أن ذلك يبدو حلا اصطلاحيا اصطناعيا.

وبين المساقات الكبيرة والقصة يكون من الملائم، أحيانا، فصل وحدة متوسطة يمكن أن تسمى «خط — القصة». وخط — القصة هذا مبنين مثل القصة الكاملة، لكن عكس هذه الأخيرة، يكون محصورا في جملة من الأفراد. هكذا ففي مسرحية «الملك لير» يمكن للمرء أن يميز خط القصة المتضمن لير وبناته عن خط القصة المتعلق بغلوغستر وأبنائه، رغم أن الخطين كثيرا ما يتقاطعان. وما أن يثبت تتابع الأحداث المتضمن نفس الأفراد، نفسه كعنصر القصة السائد في النص (من المؤسف، ليس هناك مقياس محدد للهيمنة)، حتى يصير خط القصة الرئيسي. أما تتابع أحداث، متضمنا جملة أخرى من الأفراد، فيكون خط القصة المساعد.

مبادئ الضم

كيف هي الأحداث منظمة ضمن مساقات والمساقات ضمن قصة ؟ المبدآن الرئيسيان للضم هما التتابع الزمني والسببية.

الزمن

يتضمن مفهوم زمن القصة كما يشير تودوروف (1966)، ص. 127) اصطلاحا يطابقه مع الترتيب الكرونولوجي المثالي، أو ما يدعى أحيانا «الكرونولوجيا الطبيعية». والواقع أن تتابعا صارما لا يمكن إيجاداه إلا في القصص ذات الخط المفرد أو حتى ذات الشخصية المفردة. تصير الدقيقة هناك أكثر من شخصية واحدة، الأحداث قد تصبح حادثة في وقت واحد، والقصة أحيانا تكون متعددة الخطوط وليست أحادية الخط. علاوة على ذلك، فالكرونولوجيا الخطية الصارمة لا طبيعة ولا خاصية حقيقية للقصص. إنها معيار إصطلاحي أمسى أكثر شيوعا فيما يتعلق بتحويل السلطة الزمنية الحقيقية المتعددة الخطوط للقصة واكتساب وضع طبيعي زائف.

السببية

كثيرا ما يقترن التابع الزمني، مبدأ «وبعدئذ» (and then) بمبدأ السببية ... «هذا هو لماذا» (that's why) أو «لذلك»، (therefore). قبل نصف قرن استعمل فورستر هذين المبدأين المتضامين للتمييز بين نوعين من القصص، حيث أسماهما على التوالي «القصة» و «الحبكة» : لقد عرّفنا القصة كقص لأحداث منظمة ضمن مساق زمني.

والحبكة أيضا هي قص للأحداث، لكن التأكيد يكون على السببية.

«مات الملك وبعدئذ ماتت الملكة»، هذه قصة. و «مات الملك وبعدئذ ماتت الملكة من الأسى» هذه حبكة.

(1963، ص 93، الطبعة الأصلية 1927) (12)

لكن ليس هناك ما يمنع قارئاً ذا ميل سببي من إضافة رابط سببي إلى مثل فورستر الأول لجعله داخل حبكة ضمنية (انظر أيضا تشاتمان 1978، ص. 46). والحق أن القصص، كما أشار بارث، قد تؤسس على تطبيق ضمني المخطأ المنطقي : post-hoc ergo proter hoc (1966، ص 10). على سبيل المثال قد نورد الوصف الفظن لحياة ملتون حيث تكمن الفكاهة على نحو دقيق في علاقة السبب والنتيجة والتي يمكن قراءتها داخل تتابع زمني صريح. كتب ملتون «الفردوس المفقود»، ثم ماتت زوجته، وبعدئذ كتب الفردوس المستعاد.

(12) لاحظ هنا عدم الفرق بين النص والقصة أو الحبكة المجردتين منه، مع أهمية أن القصة والحبكة متعارضتان كشكلين قصصيين مستثنين على نحو متبادل. إذا استعملت «الحبكة» بأية حال ... وأنا بالآخرى بمتروسة على مصطلح أصبح ملتبسا في الممارسة النقدية العادية ... سأستعملها لتحديد نوع من القصة (النوع الذي يؤكد السببية) بدل الشكل القصصي المعارض للقصة.

يمكن أن تكون السببية ضمنية عن طريق الكرونولوجيا أو أن تحرز على مكانة صريحة لصالحها. وبأية حال، فإن مفهوم السببية غير إشكالي. بدون الدخول في جدال فلسفي للقضية، الاجدر الاشارة إلى أنه ثمة معنيين مختلفين للمصطلح، كثيرا ما يستعملان كما لو أنهما معنى واحد. إفرض أننا نروم معرفة «لماذا»، في الجزء الأول من «الآمال الكبرى» لتشارلز دينكر. (1860 — 1861)، يساعد ييب ذو الستة أو السبعة ربيعا المتهم الهارب. ثمة نوعان مختلفان وممكنان للجواب : (أ) حسب منطق الاحتمال (المحدث، في الواقع، بشكل بارز من قبل النص) فإن الطفل كان مرعوبا إلى حد الاذعان ؛ (ب) حسب الشروط الأساسية البنائية للحبكة : فهذا الفعل ضروري لـ ماغويتش ليكون شاكرا لبيب ولكي يأمل في مجازاته، وبدونه لن تكون الحبكة كما هي. أما النوع الثاني فهو في الواقع غائي (أي أنه معني بالهدف)، لكن غائية هذا النوع كثيرا ما تفهم كـ «سببية أمامية»، بمعنى مختلفة عن «السببية الخلفية» للنوع الأول.

الزمن، السببية ومفهوم القصة الصغرى

هل المبدأان المتضامان ضروريان على نحو مواز لتحويل جملة من الأحداث إلى قصة، أم هل أحدهما أكثر جوهرية من الآخر ؟ هاكم تعريف القصة الصغرى عند برنس :

تتألف القصة الصغرى من ثلاثة أحداث موحدة. الحدثان الأول والثالث ساكن والثاني عملي. علاوة على ذلك، فالحدث الثالث هو عكس الأول. وفي النهاية تتوحد الأحداث الثلاثة عن طريق مقومات رابطة على نحو يكون (أ) الحدث الأول سابقا الثاني في الزمن والثاني سابقا الثالث، و (ب) يسبب الثاني الثالث.

(1973، ص 31)

والمثال عن القصة الصغرى والذي يزودنا به برنس هو : « كان ثريا، ثم بذر أموالا كثيرة، وكنتيجة، صار فقيرا »⁽¹³⁾. التعريف أعلاه يستوجب المبادئ الثلاثة للتنظيم : (أ) التابع الزمني، (ب) السببية، (ج) العكس (الذي أخذته كواحد من الأشكال المتعددة للانغلاق المؤسس على التساوق والموازنة).

على الرغم من التسليم بأن السببية والانغلاق (أي معنى الاكتمال) قد يكونا المقومين الأكثر أهمية في القصص، والمقومين اللذين عادة ما يتم الحكم على نوعيتهما كقصص، أود أن أقدم حجة بأن التابع الزمني كافٍ كشرط أساسي أدنى لجملة من الأحداث بقصد تشكيل قصة. تتأسس حجتي على : (أ) الاقتراح أعلاه بأن السببية يمكن في كثير من الأحيان (دائما ؟) أن تُسقط على السلطة الزمنية ؛ و (ب) الطبيعة الحدسية المضادة لشروط برنس الأساسية. ومثله، إذا ما افترضنا أن السببية والانغلاق (عبر العكس، والتكرار أو التماثل) معياران إجباريان، فإن مجموعات كثيرة من الأحداث التي نعترف حدسيا بها كقصص يجب إبعادها من هذه المقولة.

لنأخذ على سبيل المثال «صاحبة كلب الحزن» لتشيوخوف (الطبعة الأصلية بالروسية 1899)، والتي يمكن صياغتها بشكل ملخص كالتالي : «يلتقي غوروف بأنا سير جيفنا في يالطا، وتنشأ بينهما علاقة غرامية، ثم يعود إلى عائلته بموسكو، وهي إلى زوجها بمدينة ريفية، بعدئذ يذهب غوروف إلى مدينتها للبحث عنها، ثم يستأنفان علاقتهما بموسكو». أعتقد أن القراء سيقرون بأنها قصة، رغم أنها تفتقد إلى

(13) بالمناسبة، جلي أن المعالجة البارعة لإعادة الصياغة قد تحول كثيرا من الأحداث المفردة إلى قصص صغرى في هذا الصنف (مثلا، مات الملك - كان الملك حيا وفي حالة جيدة، بعدئذ شرب سما، وبعدئذ، كنتيجة، مات ودفن). وهذا يعود إلى النقطة التي أشرت إليها في ص. ص. 30 - 31.

أحد مقومات برنس الرابطة والذي هو «كشيجة». بكل تأكيد قد يضيف. أحد ما الروابط السببية بزيادة موضوعات في الصياغة مثل «إنه تعيس»، متبوعة برابط سببي مثل «لذلك يبحث عنها» أو «إنها مازالت تحبه، لذلك جاءت إلى موسكو». لكن لا يمكن الاقرار بالقصة كقصة، حتى بدون ذلك، وحسب، بل إن النص يذهب بعيدا نحو منع الروابط السببية كي تصبح جلية وتقدم ترابط الأحداث كشيء لا يحيد عنه وليس سببيا على نحو ضروري. بطريقة مماثلة لا تظهر سلسلة الأحداث أي عكس جلي أو حلقة مغلقة : فحالة العلاقة الغرامية في النهاية مختلفة عن العلاقة في البداية، لكنهما غير مرتبطتين على نحو متساوٍ (الشخصيتان لا «سعيانيتين» في مقابل «تعيسيتين» أو العكس بالعكس) (14).

هل هذا يعني أن حدثين ما منظمين في ترتيب كرونولوجي يمكن أن يُكونا قصة ؟ نظريا يجب أن يكون الجواب إيجابا. والحق، أن التتابع الزمني في حد ذاته رباط رخو إلى حد ما. ومع ذلك فإنه يقتضي ضمنا بأن الأحداث المتكلم عنها تحدث في نفس العالم المتمثل. قد يكون ثمة شيء شاذ حول جزء من القصة التالية : «ليتل ريد رايدين — هوديتيه في الغابة وبعدئذ يساعد بيب المتهم الهارب». لكن إذا قبلنا ذلك كصياغة ممكنة لنص ما (ربما معارضة قصصية لروبيرت كوفر أو دونالد بارتيلم)، فإن الترابط الزمني يستوجب منا تخيل عالم يمكن أن تتعايش فيه مثل هذه الأحداث. وسيصبح الرباط مشدودا شيئا ما، من غير أن يصير سببيا، إذا ما

(14) نعتزم الفقرة الأخيرة من «النص» (ليست دليلا ضروريا لبنية «القصة») بوضوح احتكار أي معنى للانغلاق : «وتبدو لهما أنه في لحظات معدودة فقط ويظهر الحل، وتبدأ حياة جديدة جميلة ؛ لكن كلا منهما يعلم أن النهاية مازالت بعيدة، وأن الطريق طويل. فالجزء الأكثر صعوبة وتعقيدا مازال في بدايته» (1927، ص. 26. الطبعة الأصلية بالروسية 1899).

بقي الشخصان عنيهما (أو جماعة من أفراد ذوي قرابة على نحو متعادل) ثابتين كمشاركين في المتتالية. مثلاً، «يحارب دون كيشوت الطواحين، بعدئذ يقاتل دون كيشوت الباسكي الغزل، بعدئذ يحاور دون كيشوت سانشو، بعدئذ يلتقي دون كيشوت رعاة الماعز» الخ.

نموذجان وصفيان

فلاديمير بروب

إن هدف دراسة بروب الرائدة (الطبعة الأصلية بالروسية 1928) هو اكتشاف الأنموذج المتحكم في الموضوعات القصصية المجردة من متن ما يقارب مائتي حكاية خرافية روسية (أحد أنواع الحكايات الشعبية). لهذا الغرض وجب تجريد العناصر الثابتة من الأحداث المتغيرة الخاصة والمشاركين المكونين القصص المفردة (وكذا الموضوعات المجردة منها). يسمى العنصر الثابت «وظيفة»، ومعناها لدى بروب هو «فعل شخصية ما معرف من وجهة نظر مغزاها أثناء الفعل، (1968، ص 21). ويمكن أن تبقى الوظائف ثابتة حتى عندما تتغير هوية المنجز. قارن، على سبيل المثال، الأحداث التالية :

أ. يهب الملك نسرا لرجل شجاع، ويأخذ النسر الشجاع إلى مملكة أخرى...

ب. يهب الجد فرسا لحفيده سوتشنيكو، ويحمل الفرس الحفيد إلى مملكة أخرى...

ج. يهب ساحر مركبا لايفان، ويحمل المركب إيفان إلى مملكة أخرى...

د. تهب الملكة خاتما لايفان، ويحمل الجسوران القويان اللذان

خرجنا من الخاتم إيفان إلى مملكة أخرى... الخ^(*).

(بروب 1968، ص.ص. 18 - 20)

إن العنصر الثابت والوحيد في مجمل الحالات الأربع هو انتقال شخص بواسطة شيء ما في ملكية شخص آخر إلى مملكة أخرى. قد تتغير هوية المشاركين في هذا الحدث من حكاية إلى حكاية، كلا أسمائهم وصفاتهم متغيرة. هذا هو لماذا يؤكد بروب على أن دراسة ما يتم القيام به يجب أن يكون سابقا على «أسئلة من قام به ؟ وكيف تم القيام به ؟» (ص 28).

يبد أن ما يتم القيام به قد يتضمن أيضا مظهرا متغيرا : فقد يحقق نفس الحدث، المحدد في نقاط مختلفة من القصة، وظائف مختلفة :

... في الحالة الأولى يتلقى البطل مائة روبل من أبيه، وبعد ذلك يبتاع قطا عرافا ؛ وفي حالة أخرى يتلقى البطل مكافأة له على الفعل الرفيع الذي أنجزه، وعندئذ تنتهي الخرافة. إننا هنا، ورغم تشابه الفعل (الهبة المالية) بصدد عنصرين مختلفين من الناحية المورفولوجية. هكذا نرى إذن أن أفعالا متشابهة يمكن أن تكون لها دلالات متباينة والعكس بالعكس^(**).

(الترجمة الانجليزية ص 21)

هكذا يعنون بروب وظائفه على نحو يعبر عن الاختلافات في مساهمتها في الحبكة حتى عندما تمنح لها نفس العلامة في نصوص خاصة أو عندما يبدو مضمونها الدلالي العام مطابقا. من ثم إذن، فالحدث الأول من الحدثين المشار إليهما في المثال معرف كـ «استلام

(*) أفدنا من ترجمة إبراهيم الخطيب لنفس الكتاب : «مورفولوجية الخرافة» الشركة المغربية للناشرين المتحدنين، الرباط 1986، ص.ص. 33 - 34 (المترجم).

(**) إبراهيم الخطيب، ص 35.

أداة سحرية، ويحدث بالقرب من منتصف الحكاية، في حين يشكل الثاني وظيفة متغيرة معنونة بـ «الزواج» (بمعنى مكافأة البطل) والذي تنتهي به الحكاية.

يوحي الشرح أعلاه (رغم عدم تصريح بروب به) أن اختيار «الوظيفة» يحفز معنيين معجميان مختلفان لهذا المصطلح. من ناحية، فالوظيفة هي «النشاط الخاص بشيء ما، نمط الفعل الذي عن طريقه يحقق الغرض»، في هذه الحالة مساهمته في الحكمة. من ناحية أخرى وبالمعنى — المنطقي الرياضي — فإن المصطلح يدل حرفياً على «الكم المتغير فيما يتصل بالآخرين والذين عن طريقهم يمكن التعبير عنه» (OED). وهذا ملائم لأن ما يبحث عنه بروب هو الوظائف الموضوعية، بمعنى النموذج الشائع لكثير من الموضوعات المفردة المستقاة من نص عدة قصص معينة.

يلخص بروب خاتمته في أربع نقاط (أولاً تمت مناقشتها) :

أ. العناصر الثابتة، والمستمرة في الخرافة هي وظائف الشخصيات، مهما تكن هذه الشخصيات، ومهما تكن طريقة إنجازها لهذه الوظائف. إن الوظائف هي الأجزاء المكونة الأساسية للخرافة.

ب. عدد الوظائف التي تتضمنها الخرافة العجيبة محدود

ج. إن تتابع الوظائف متشابه دائماً.

د. كل الخرافات العجيبة تنتهي، فيما يتصل ببنيتها إلى نفس النمط^(*).

(1968، ص.ص. 21 — 22)

(*) إ. الخطيب ص. ص. 35 — 36.

حسب بروب، فإن عدد الوظائف هو 31 (انظر اللائحة 1968، ص.ص. 26 - 63) وليست بحاجة إلى أن تحدث كلها، كما أنها، في الواقع، لا تحدث كلها في أي حكاية خرافية. إلا أن التي تحدث، تظهر دائما في نفس الترتيب. هذه «الزعة الحتمية» قد تملأها المادة التي حللها بروب، لكنها قد تكون أيضا انخازا سببه منهجه. ومحمدا الوظيفة بمساهمتها في الوظيفة اللائحة، و «مبرا» ذلك بالقول الماثور «لا تتم السرقة قبل تكسير الباب»، (ص. 20)، ينزع بروب إلى إيجاد ترتيب ثابت يحكم وظائفه. وفي هذا، إلى جانب أشياء أخرى، ينتقد كلود بريون نظرية بروب.

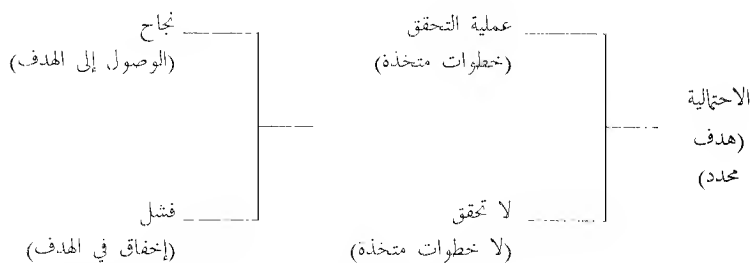
كلود بريون

أملا في تحليل التفرعات الممكنة في كل نقطة من القصة (حتى تلك التي لم تتحقق عند استجلاء حكاية ما)، يشيد بريون نموذجاً ذا توجه منطقي أكثر منه زمني (1966، 1973). بعد تفسير هذا النموذج، سأقدم تطبيق رون (Ron) له على «أوديب ملكا» لسوفوكلس، الحبكة الأكثر إطرأ نظرا لبنيتها المنطقية المحكمة. لكن من أجل الوضوح والتوضيح، سأعتمد أيضا على هذا التطبيق أثناء التفسير نفسه. بأمانة تقريبية، يمثل المحور الأفقي للرسم (انظر الصفحات 40، 41، 42) العلاقات بين الحالات والأحداث التي هي منطقية فقط، في حين يمثل المحور العمودي العلاقات التي هي في ذات الآن منطقية وكرونولوجية.

مثل ما مع بروب، فالوظيفة هي الوحدة الأساس عند بريون. كل ثلاث وظائف تتضمن لتشكيل مساقا تُرقم فيه ثلاث مراحل منطقية: الامكانية (أو الاحتمالية)، العملية، والحتمية⁽¹⁵⁾. وعوض

(15) لاحظ أن هذه متشابهة بشكل أخاذ مع «القصة الصغرى» عند برنس، ص. 15).

أن تقود آليا إلى الوظيفة اللاحقة، كما هو عند بروب، تفتح كل وظيفة بديلين، أو اتجاهين يمكن أن تأخذهما القصة فيما بعد. ويمكن أن تتخذ هذه البنية تخطيطا على شكل شجرة أفقية :



(بريمون 1966، ص. 75 الترجمة الانجليزية معدلة)

يحتفظ مفهوم التفرع بحجم الحرية ويسمح بوصف الحبكة التي لاينتهي فيها دائما، على سبيل المثال، الصراع مع الوغد بالانتصار عليه⁽¹⁶⁾. وبالتالي قد يزود بأرضية صورية لمقارنة أنموذجات — الحبكة المختلفة لكنها متصلة (مثلا الحبكة الهزلية في مقابل الحبكة

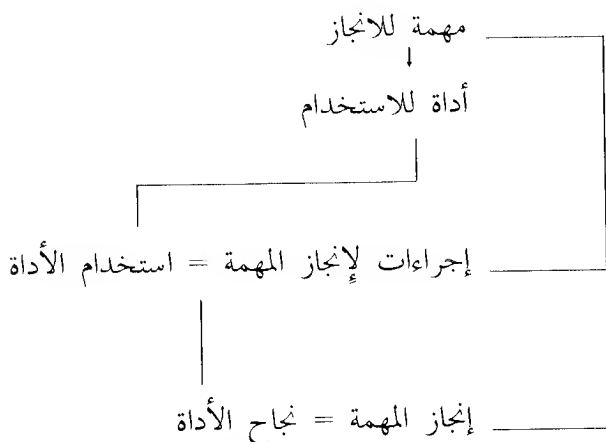
(16) لكن، كما تطبق هذه الحرية على كل من تركيب القصة وعلى المشاركين فيها، فإنها عادة ماتتسبب في الخلط بين النوعين الاثنين من الترابطات السببية والغائية المميزة أعلاه (ص. ص. 33 — 35) : إن نية أو اختيار شخصية ما قد تؤخذ خطأ كمبدأ بنائي للحبكة. لتفادي هذا الخلط يلحق رسم رون لأوديب المساقات باسم الشخصية التي تكون مصالحها ذات المدى البعيد (رغم أنها ليست بالضرورة إرادة واعية أو اطلاع) في خطر. ولأن منهج بريمون لايمكنه بشكل متناusk تمثيل التعارض الممكن بين نية المشاركين ووثاقة الصلة القصصية مع أفعالهم، فاعتقد أن ذلك عيب فادح. فكثيرا ما تجهل الشخصوص ماذا تفعل. هكذا فنية ومحاولة أوديب لدراء المخاطر التي علمها من التوخي في دلفي ليست لهما نفس المكانة مثل فشله... (وهذا صحيح لكل المساقات المنتهية بالفشل في الرسوم)، فيما في المساق الخرض أوديب ضد أي الهول (الرسم II) تكون كل المراحل الثلاث داخل وعيه). ومتناسكة في دوره كأداة.

التراجيدية، الحكاية الشعبية أو الروايات البطولية في مقابل الحبكات الروائية الساخرة).

تميل مثل هذه المسابقات الأولية إلى الانضمام داخل مسابقات مركبة في واحدة من الطرائق الثلاث :

1. التسلسل أو تتابع «خلف إلى خلف» : تصل حصيلة (الوظيفة 3) المساق الواحد إلى (=) المرحلة الاحتمالية (الوظيفة 1) لللاحقة. مثل ذلك يظهر في الرسم III : تسليم أوديب بالنداء معادل لواجبه (أو وعد) من جانبه، والذي يفتح مساقا جديدا.

2. الادماج (مصطلح بريون هو «enclave») : مساق يقحم في مساق آخر ك تخصيص أو تفصيل وظائفه، ويقترح بريون المثال التالي :

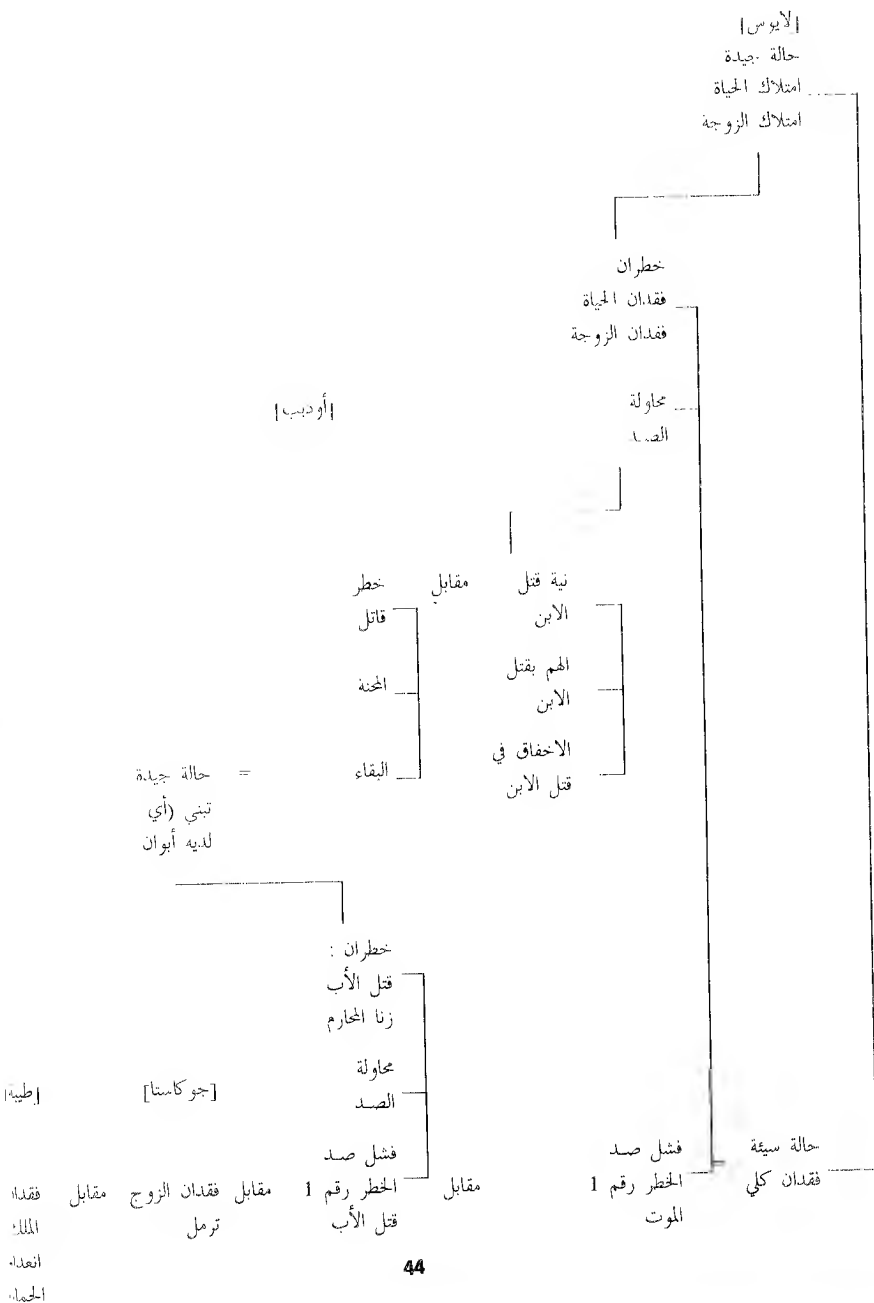


في الرسم أدناه هناك مثال للمساق المدمج الذي تهيمن عليه الوظيفة الثانية (بدل الأولى كما جاء في مثال بريون) : تتخذ محاولة لايبوس لصد المخاطر المنبعثة من ابنه شكل (أ) نية قتل أوديب، (ب) العمل على تحقيقها و (ج) فشل إنجازها.

3. الربط : إن لنفس ثالث الأحداث وثاقا قصصيا مزدوجا وعليه أن يُصَفَّ على نحو مسهب تحت إسمي شخصية. هذه العلاقة يعبر عنها رمز «مقابل» (رغم أن بريون يستعمل أحيانا وبشكل متضارب «=»). فمساق لايوس كمثال مستعمل للنوع 2 يتم ربطه بمساق أوديب على قيد الحياة بهذه الطريقة، مع كل مرحلة تجاري نظيرتها (في الواقع عنوانة أخرى لنفس الحالة أو الحدث) في المساق الآخر. بهذا الأسلوب، ما يكون تحسنا في حالة إحدى الشخوص قد يكون في ذات نفسه فسادا في حالة [شخصية] أخرى. لاحظ أن الأحداث المؤثرة في أكثر من شخصيتين تبدو متطلبة محاور إضافية. ويتواصل عدد المحاور في الرسوم نحو الأسفل، مهنلا منظورات الشخوص الثانوية، رغم أنها وظيفية، مثل الراعي، والرسول، ومقهما منظورا ثالثا أو رابعا على نحو أفقي كـ pis-aller.

حسب بريون، كل المساقات، على الأقل جميع المساقات الكبرى، هي إما تحسن أو فساد. يبدأ مساق التحسن بالافتقار أو اللاتوازن (مثلا الإفتقار إلى زوجة) وفي النهاية يعود التوازن (مثل إيجاد زوجة، الزواج). ويمكن أن يكون هذا نهاية القصة، لكن حين لا يكون، فالتوازن مضطرب (تفر الزوجة) وتتبعها عملية الفساد. واصلا إلى مرحلة المستوى الأدنى (مثلا الطلاق)، فإن ذلك يسبب تحسنا آخر (إيجاد زوجة جديدة) وهلم جرا إلى ما لا نهاية (على الأقل في النظرية). هكذا فالرسم الأول يستهل بحالة جيدة.

«حبيكة» أوديب ملكا لسوفوكليس حسب منهج بريغون (مع تعديل) (ألفيف)



[جو كاستنا]

امكانية

زواج ثان

[طبية]

حالة سيئة

مضايقة من

طرف أبي الهول

الحاجة إلى هزم

أبي الهول

مواجهة أبي

الهول

الحاجة إلى

ملك

عملية

اختيار

فرصة الفوز

بالعرش والملكة

الهم بفوز العرش

والملكة

الحاجة إلى هزم

أبي الهول

الصراع

الانتصار على

أبي الهول

الفوز

بالعرش

والملكة

ملك

يوجد

أبو الهول

منهزم

حالة

متحسنة

فشل صد

الخطر رقم 2

زنا المحارم

الطهارة حاله سيئه الطاعون	الطهارة حاله سيئه	واجب الامعاء	واجب المساعدة	الحاجة إلى رؤيا	الحاجة إلى معاونة القائل	الحاجة إلى اكتشاف القائل	الحاجة إلى دليل	عسفية الدليل	احتمال الدليل
حاجة إلى المساعدة	مقابل	الامعاء	محتاج	فعل لهلاك أثره	معاونة القائل	اكتشاف القائل	اكتشاف القائل	عسفية الدليل	احتمال الدليل
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج
محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج	محتاج

(يملك لا يوس الحياة والزوجة) ويختتم بأخرى سيئة (يموت لا يوس). يقوم الرسم الثاني بالعكس (أي، يتدعى بطيبة المضايقة من لدن أبي الهول وينتهي بهزمه)، أما الثالث فيبتدئ أيضا بحالة سيئة (الطاعون) وينتهي بحالة جيدة (خلاص المدينة). لكن يجب الإشارة إلى أنه في الحكبات المتبسة قد يكون متعذرا تصنيف الحالات بشكل دقيق ضمن «جيد» و «سي».

بعد أن قدمنا بعضا من نماذج البنية العميقة والبنية السطحية، حان الوقت للقول إن نموذجا كاملا يجب أن يتضمن التحويلات المؤدية من الأولى إلى الأخيرة. ثمة عمل تم إنجازه على طول هذه السطور (مثلا من طرف دوليزيل 1971، وغريماس 1976)، لكن يستلزم تطورا إضافيا على نحو واضح. كذلك هناك أعمال قليلة قد تمت حول التحول من البنى القصصية إلى البنى اللسانية (إذا كان هناك في الواقع مثل هذا التحول). هكذا يقول غريماس :

إن المرور من المستوى ثلاثة، حيث تتموقع المواضيع القصصية وفقا للمستوى الثاني الذي تنحل عنده الخطابات اللسانية المنظمة من قبل الساردية، هو ما تنشأ عنه أكبر الصعوبات في التأويل.

(1971، ص. 797)

ملاحظات : (1) يمثل الرسم III وقوع الفعل على الخشبة، الأحداث الماضية I و II المباح بها أثناء الفعل المسرحي. وبالإمكان دمج الرسم I وبعض مظاهر II و III تحت «عملية الحصول على الدليل». (2) لأجل الوضوح تهمل هذه الرسوم بعض المنظورات الشخصية والمساقات التي ترافقها (كربون، الراعي، الرسول). (3) هذا المنهج لا يستطيع تقديم وعي الشخصوخ بمغزى الأحداث أو أي موجه للمعرفة. هكذا يتجاهل الرسم III تريزاس ونوعته. (4) هذا المنهج لا يمثل بصراحة علاقات التابع والآنية بين الأحداث.

لست مقتنعة تماماً، من منظور القارئ، أن المرور من البنى اللسانية
السطحية (1) إلى البنى القصصية السطحية (3) يقود بالضرورة عبر
البنى اللسانية العميقة (2). قبل عدة سنوات، استنتجت إحدى
المجلات النقدية من حالة الفن أنه :

رغم تنوع النماذج، ليس هناك حتى الآن منهج واضح
لاحتياز الطريق من النص الملموس إلى البنية القصصية
المجردة، دون تخلل ثغرات كمية أو كمية.

(لبيسبات 1976، ص. 202)

حسب معرفتي، لم يتغير الوضع بشكل هام حتى اليوم.

القصة : الشخص

فيما تم تطوير — إلى حد بعيد — دراسة أحداث القصة والروابط التي تصلها في الشعرية المعاصرة ؛ فإن دراسة الشخصية لم تتم بعد. والواقع أن بلورة نظرية نسقية لامتزلة ولا انطباعية أيضا عن الشخصية تبقى أحد تحديات الشعرية التي لم تواجهها بعد. كيفما كان، فمساهمتي تبقى قاصرة عن بلوغ هذا الهدف، وسأشير في هذا الفصل السبب في ذلك.

موت الشخصية ؟

إضافة إلى الآراء حول موت الإله، موت الانسان، موت التراجيدية، تناهى إلى مسمع قرننا أيضا تصريحات فيما يتعلق بموت الشخصية. يقول بارث : «إن ما هو آيل إلى الزوال في رواية اليوم ليس الروائية وإنما الشخصية، فما لا يمكن كتابته بعد الآن هو إسم العلم، (1974، ص. 95، الطبعة الأصلية بالفرنسية 1970).

لقد تم إنكار المقومات المتنوعة التي اعتبرت السمات المميزة للشخصية، المصاغة من النظرة التقليدية للانسان من قبل العديد من الروائيين الحديثين. هكذا يرفض الآن روب — غرييه (1963، ص.ص. 3 — 31) «أسطورة العمق القديمة» ومعها التصور السيكلولوجي للشخصية. ورافضة ليس مفهوم العمق السيكلولوجي وحسب ولكن حتى نتيجة العمق السيكلولوجي الطبيعية للشخصية الفردية، تركز نتالي ساروت على الطبقة «المجهولة» و «القبائسانية» المكونة أساس كل تنوعات الفرد. وتمنت من قارئها «الغوص والبقاء

منغمسا حتى النهاية في مادة مجهولة كالدم، في عجينة بدون اسم، بدون محيط (1965)، ص 75، الطبعة الاصلية 1956. ترجمة شلوميت). قبل ذلك بقليل وفي رسالة سنة 1914 إلى إدوارد غارنيت، احتج د. هـ. لورنس على «العنصر الانساني العتيق الطراز، مصرحا :

لا أهتم بما تحس به المرأة — بالاستعمال العادي للكلمة. فهذا يفترض أنا تحس به. ما اهتم به هو ما هي المرأة — ماهي — على نحو غير بشري، سيكولوجي، مادي...

(في ألدوس هاكسلي (إصدار) 1932 ص. 198)

بالاضافة إلى رفض الفردية لصالح «ورقة الكربون» العنصر الأساسي غير الإنساني وشبه الكيميائي، يستبدل لورنس كذلك مفهوم استمرار الميزات بـ «الحالات المتأصلة»، وبالتالي يثير سؤال الاعتقاد باستقرار الانا⁽¹⁾. كما حلت التصورات الاضافية للتغيير والتنوع محل مفهوم الاستقرار في كتابات روائيين حديثين آخرين. على سبيل المثال، رأت فيرجينيا وولف الشخصية (في الحياة بصفة عامة) كتدفق وأرادت «تسجيل الذرات عند تساقطها في الذهن» (1953)، ص.ص. 153 — 155. الطبعة الأصلية 1925). أما هيلين سيكسون فلا تسائل الاستقرار وحسب، بل وحدة الذات أيضا. بحسبها فـ «أنا» (I) هي دائما أكثر من واحد، متنوعة وقادرة أن تكون كل ذلك في وقت واحد، «فريق يتحرك جميعه» (1974)، ص. 387). ولئن كانت الذات تدفقا متواصلا أو «فريقا يتحرك جميعه»،

(1) أ — «التأصل» يعني «تنوع الخصائص الفيزيقية بدون تغيير المادة» (OED).

ب — لأجل قضايا حول محور الشخصية الفردية بواسطة معنى التماثل انظر موريك في Roudiez 1961/2، ص. 553 وماكارثي 1961، ص. 176.

فإن مفهوم الشخصية يتغير أو يختفي، وتفسخ «الأنا القديمة المستقرة».

لقد صرح العديد من الكتاب «بموت» الشخصية، ودق منظرون معاصرون ومتنوعون مسامير أخرى في نعشها. فالنيويون لا يجدون مكانة للشخصية ضمن نظرياتهم إلا بالكاد، جراء التزامهم بالايديولوجيا التي «تنزع» الانسان من «المركز» وتجري عكس مفهومي الفردية والعمق السيكلولوجي⁽²⁾ :

إن التركيز على الانساق التواصلية والاصطلاحية التي تُعبر الفرد، وتجعله فضاءً تلتقي فيه القوى والأحداث أكثر منه جوهرًا متفردًا، يقود إلى رفض التصور السائد للشخصية في الرواية : بأن الشخص «الحية» الأكثر نجاحًا هي كليات تامة مجهولة ومرسومة ببراء، ومميزة بجلاء عن الآخرين بواسطة الخصائص الفيزيكية والسيكلوجية. سوف يقول النيويون إن مفهوم الشخصية ماهو إلا أسطورة.

(كولر 1975، ص. 230)

لكن هل الشخصية «ميتة» بناء على ما سبق ؟ وهل تستغني الرؤى الجديدة عنها تمامًا، أو هل نقوم فقط بتجريدها من بعض المفاهيم التقليدية ؟ هل بالامكان رؤية المفاهيم المتغيرة، رغم ذلك، مخلفة بعض الخصائص المكونة والمعروفة ؟ هل بلوم عند جويس شخصية في بعض النواحي ؟ وهل لا «تستحق» الشخص الصغرى غير المشخصة في بعض التخيلات الحديثة حتى نظرية لامختزلة ستعلل على نحو كاف مكانتها ووظيفيتها داخل شبكة قصصية ؟ علاوة على ذلك، وحتى

(2) ثمة تفاعل جلي بين «الارواية» و «المدرسة» البنيوية في فرنسا (انظر على سبيل المثال، بارث حول روب — غريفة، 1964.

إذا ما سلمنا «بموت» الشخصية في الأدب المعاصر، هل يمكن أيضا وبشكل تأملي «قتلها» في تخيل القرن التاسع عشر؟ هل يجب أن تقودنا إيديولوجيا لا إنسانية مناوئة للبورجوازية (حتى إذا ما تم قبولها) إلى تجاهل ماهو مركزي بوضوح ضمن متن قصص ما؟ أعتقد أن تطوير نظرية الشخصية لم تعقها إيديولوجيا هذه «المدرسة» الشعرية أو تلك أو هذه «الموضة» في الأدب أو تلك وحسب، وإنما القضايا الأساسية أيضا والتي سأتحول إليها الآن.

نقط وجود الشخصية : مسألتان

أناس أم كلمات؟

في سنة 1961، صاغ مارفن مودريك رؤيتين متطرفتين للشخصية المقترحة في عنوان هذا القسم، وميز التحول من واحدة إلى أخرى الشيء الذي أمسى أكثر إيضاحا منذ أن كتب :

إن أحد هموم نقاد الأدب المتكررة يتعلق بالطريقة التي يقال فيها بوجود الشخصية في الدراما أو التخييل. فالبرهان «الصفائي» — المهيم بين نقاد اليوم — يشير إلى انعدام وجود الشخصية بالكل، ماعدا أنها، تقريبا، تشكل جزءا من الصور والأحداث التي تحملها وتحركها، وأي محاولة لاستخراجها من سياقها ومناقشتها كما لو أنها كائنات بشرية حقيقية ليس سوى فهم عاطفي خاطئ لطبيعة الأدب. أما البرهان «الواقعي» — المدافع عنه اليوم — فيؤكد أن الشخصيات تكتسب، أثناء الفعل، نوعا من الاستقلالية عن الأحداث التي تعيش فيها، وأنه يمكن مناقشتها، على نحو مفيد، بمعزل عن سياقها.

(ص. 211)

الذي ينشأ من تصريح مودريك، هو أن ما يعرف بالحجة «الواقعية» ترى أن الشخص تحاكي الناس وتميل إلى التعامل معهم — بتكلف أكثر أو أقل — كما لو أن هذه الشخص جيراننا أو أصدقاءنا حين يتم استخلاصها من النسيج اللفظي للعمل قيد الدرس. مثل هذه المقاربة التي بها يحلل برادلي شخص شيكسبير (1965). الطبعة الأصلية صادرة (1904)، وربما أحسن الأمثلة المعروضة، تميل إلى تأمل المحفزات اللاواعية للشخص، وتشيد لها ماضيا ومستقبلا بعيدا عما هو مخصص في النص⁽³⁾. موقف من هذا النوع يسهل تشييد نظرية للشخصية، باعتباره يعطي مشروعية انتقال النظريات الجاهزة من السيكلوجيا أو طريقة التحليل النفسي. لهذا السبب بالتدقيق يكف مثل هذا التحليل عن اكتشاف الصفات المميزة الخاصة (differencia specifica) للشخص في التخييل القصصي.

ويشدد البرهان أو الحجة على أن الصفات المميزة الخاصة ذات الترتيب اللفظي واللاتميلي هو ما يسمى بـ: «الصفائي»، (محتملا أن ندعوه اليوم «سيمائي»). تصيغ صارم لهذه الحجة يتمثل الشخصية في ظواهر لفظية أخرى في النص إلى حد تخريب خصوصيتها بطريقتها الخاصة.

تحت درع النقد السيميائي، تفقد الشخص امتيازها، وضعها المركزي وتعريفها. هذا لا يعني أنه يتم مسخها إلى أشياء لاحية (حسب روب غرييه) أو اختزالها إلى فواعل (حسب تودوروف) بل يتم تنصيبها. وكأجزاء من نص مغلق، فالشخص هي أنموذجات التكرار على الأكثر،

(3) كما هو معلوم، واجه هذه النزعة الفرسان في «كم لليدي ماكث من طفل؟» (1964، الطبعة الأصلية 1933).

والحوافز التي يعاد تسييقها في حوافز أخرى. في النقد
السيمبائي تنحل الشخصوس.

(فاينشايمر 1979، ص. 195)

لشرح غايته، يحلل فاينشايمر الطرائق التي يتم بها تنصيب إيما لدجين
أوستن التي تعتبر، تقليديا، في الأدب الانجليزي أحد أهم الشخصوس
الشبيهة بالإنسان. أثناء التحليل يقوم بالتصريح المثير التالي : «ليست
إيما وودهاوس امرأة ولا تحتاج إلى وصفها كما لو أنها (It) كانت،
(1979، ص. 187. إن هذه الـ «It» هي التي تقول، بحق).

وفيما تعادل الشخصوس الناس في نظريات المحاكاة (أي النظريات
التي تعتبر الأدب، في بعض النواحي، كمحاكاة للواقع)، فإنها في
النظريات السيمبائية تنحل في النصية، ماذا يتبقى ؟ إذا كانت كلتا
المقاربتين تنتهيان بحذف خصوصية الشخصوس التخيلية رغم اختلاف
وجهات النظر، فهل يتوجب التخلي عن دراسة الشخصية أو هل يجب
طرح المقاربتين والبحث عن منظور آخر ؟ هل يستطيع مثل هذا
المنظور التوفيق بين الموقفين المتعارضين دون «تخريب» الشخصية
بينهما ؟ وهل بالامكان رؤية الشخصوس «في نفس الوقت كأناس
وكأجزاء من التصميم، (برايس 1968، ص. 290) ؟ اعتقد ذلك،
شرط إدراك أن الموقفين المتطرفين يمكن اعتبارهما كرابط للمظاهر
المختلفة للتخييل القصصي. في النص، الشخصوس عُقد في التصميم
اللفظي، وفي القصة [الشخوص] — تحديداً — تشييدات أو تجريدات
لا (أو قبل) لفظية. ورغم أن هذه التشييدات ليست بأية حال،
كائنات بشرية بالمعنى الحرفي للكلمة، فإنها مصاغة، في جزء ما، على
غرار تصور القارئ للناس وفي ذلك فالتشييدات شبه بشرية.

على نحو مشابه، لا تنفصم الشخصوس في النص عن باقي التصميم،

أما في القصة، فتستخلص من نصيتها. هذا لا يعقب تعريف القصة وحسب بل تفره التجربة أيضا :

إن معادلة الشخوص بـ «مجرد كلمات» خاطئة في مواضيع أخرى. فالعديد من العروض الميمية، والأفلام بدون تعليق الصامته، ورقصات الباليه تبين حماقة مثل هذا التقييد. إذ كثيرا ما نستحضر شخوصا تخيلية على نحو قوي، لكن بدون كلمة واحدة في النص تعيدها إلى الحياة، والواقع أنني سأغامر بالقول إن القراء بصفة عامة يتذكرون الشخوص على هذا النحو.

(تشانمان، 1978، ص. 118)

علاوة على ذلك، وكتجريدات من النص، فأسماء الشخوص كثيرا ما تصلح لأن تكون «عنوانات» لسمة أو جملة من السمات المميزة للكائنات البشرية اللاتخيلية، مثلا «إنه هاملت». وينهي فاينشاير، المستشهد آنفا برؤيته ذات الجانب الواحد، أيضا مقالته، معترفا بالوضع المعقد للشخصية. ويتكلم بعد ذلك عن «الشخوص النصية، النصوص المشخصة التي هي الشخوص، (ص. 208).

الكينونة أو الفعل

مسألة أخرى تتعلق بإخضاع الشخصية إلى الفعل أو استقلاليتها النسبية عنه. معلوم أن أرسطو يرى في الشخوص أنها لا تكون ضرورية إلا للفعل (1951، ص. 34)، رؤية يشترك فيها شكلايو وبنويو قرننا هذا لأسباب مختلفة. فبالإضافة إلى إبعاد الانسان عن المركز، كما تمت مناقشته سابقا، تقود الأبحاث المنهجية، أيضا، إلى مثل هذا الاخضاع. مثل أي مجال ذي توجه علمي، تعترف الشعرية البنيوية والشكلية بالضرورة المنهجية للاختزال، خاصة في المراحل الأولى من

البحث. ومادام الفعل يبدو أكثر سهولة للإذعان بقصد تشييد «نحو قصصي» (كثيرا ما يتأسس على «نحو مركزية الفعل [اللفظ] للغات الطبيعية)، من الملائم اختزال الشخصية إلى الفعل — في المرحلة الأولى على الأقل.

هكذا، يخضع بروب (1968، الطبعة الأصلية بالروسية 1928) الشخص إلى «دوائر الفعل» التي يمكن أن تصنف انجازاتها ضمنها حسب الأدوار السبعة العامة : الوغد، الواهب، المساعد، الشخص [الفتاة] التي يُبحث عنها وأبوها، المرسل، البطل، والبطل المزيّف. في قص ما قد تقوم الشخصية بأكثر من دور. (مثلا ماغوويتش في «الآمال الكبرى» يظهر في البداية كوغد ثم كواهب ومساعد)، على نحو عكسي، قد تقوم أكثر من شخصية بدور واحد (مثلا، ثمة أكثر من وغد في «الآمال الكبرى»).

في نفس السياق، يشير غريماس (1966، 1973، 1979) إلى إخضاع الشخصية بتسميتها «العوامل» (actants). مع أنه، في الواقع يميز بين «الممثلين» و «العوامل»، لكن كليهما يُتصور أنهما ينجزان الفعل أو يتممانه. (1979، ص 3) كما يمكن أن يتضمننا ليس وحسب الكائنات البشرية (أي «الشخص» بل وحتى الأشياء الجامدة (مثلا خاتم سحري) والمفاهيم المجردة (مثلا القضاء والقدر). والاختلاف بينهما هو أن العوامل مقولات عامة تابعة لكل قص (وليس القص وحده) في حين يكون الممثلون مزيّنين بصفات خاصة في القص حسب تنوعه. هكذا فالممثلون عدة، أما عدد العوامل فينحصر في ستة حسب نموذج غريماس :

المرسل — الموضوع — المرسل إليه

المساعد — الذات — المعيق

يمكن تظهـر نفس العامل في أكثر من مـثل، ونفس المـثل يـمكن أن يعزى إلى أكثر من عامل. لتوضيح ذلك : في جملة «قدم بيير وبول تفاحة إلى ماري، فإن بيير وبول — مـثـلان — يشـكلان عاملا : مرسل، وماري : متلق آخر، والتفاحة هي الموضوع (هامون 1977، ص 137. الطبعة الأصلية 1972)⁽⁴⁾. من ناحية أخرى، وفي جملة «اشترى بيير لنفسه معطفا» فإن مـثـلا واحدا (بيير) يُوظف كعاملين (مرسل ومتلق).

وليس ما يدعى بالنقاد التقليديين هم وحدهم الذين يميلون إلى التراتبية بين الفعل والشخصية المشار إليها أعلاه وحسب، بل إن بعض البنيويين يتصورون هذه الامكانية كذلك. هكذا وفيما يخضع بارث سنة 1966 بوضوح الشخصية إلى الفعل (ص. 15 — 18)، فإنه في 1970 يمنحها شفرة مستقلة (الشفرة الدلالية) بل ويتأمل في إمكانية أن «ما هو حقيقي للقص ليس الفعل وإنما الشخصية كاسم علم، (1974، ص. 131)⁽⁵⁾. ويسعى فيرارو إلى تشييد نموذج للتحليل البنائي للتخييل القصصي مع اتخاذ الشخصية كمفهوم مركزي :

في التخييل تستخدم الشخصية كعنصر بنائي : فالأشياء والأحداث توجد — بطريقة أو بأخرى — بسبب من

(4) رغم أن هامون يأخذ الجملة كشيء مناسب، وجب التذكير أن غريماس يهتم بالمقولات القصصية (أو السيميائية) وهذه غير متطابقة مع المقولات اللسانية.

(5) أ — يجب التذكير أنه حتى 1970، يرى بارث الشخصية كشبكة من العلامات النصية، وليس ككيونة تامة، وأنه في نفس الكتاب ثمة قضايا مختلفة حول نفس الموضوع، لكن مازال مفيدا بأن الاختضاع إلى الفعل لم يعد مدافعا عنه على نحو مقولاتي. ب — لأجل مناقشة حول كيف تصير الوظيفة اسم علم، وكيف يصبح اسم العلم شخصية، انظر كيرمود 1979، ص. ص. 75 — 99.

الشخصية. والواقع أنها لا تمتلك صفات التماسك والمعقولية إلا فيما يتعلق بالشخصية، الشيء الذي يمنحها معنى ويجعلها ممكنة الإدراك.

(1974، ص. 252)

هل يمكن التوفيق بين الرؤيتين المتعارضتين ؟ مرة أخرى سيكون الجواب إيجاباً لعدة أسباب. أولاً، عوض إخضاع الشخصية إلى الفعل أو العكس بالإمكان اعتبار كل واحدة منهما متوقفة على الأخرى. وهذا، في الحقيقة، هو دفاع قوي عن قولة هنري جيمس الشهيرة : «ما الشخصية إلا تقرير للحادث ؟ ما الحادث إلا توضيح للشخصية ؟» (1963، ص. 80. الطبعة الأصلية 1884). بيد أن أشكال هذا التوقف تحتاج إلى التحليل.

ثانياً : إن الإخضاعين المتعارضين يمكن اعتبارهما كتراتيبات نسبية لأنواع القص بدل أخذهما كتراتيبات مطلقة. فثمة قص تسود فيه الشخصية (ما يدعى بالقص السيكلوجي) وآخر يسود فيه الفعل (القص غير السيكلوجي) (تودوروف 1977، ص. 67. الطبعة الأصلية بالفرنسية 1971). تصلح أفعال راسكولينكوف في الدرجة الأولى لوصف خصائصه، في حين لا توجد شخصية السندباد إلا من أجل الفعل. بين هذين الطرفين، ثمة، بالطبع، درجات مختلفة لسيادة عنصر على آخر.

ثالثاً، قد تدعي عكسية التراتيبات لنفسها المبدأ العام الممتد خارج مسألة الأجناس أو أنواع القص (هروشفوسكي 1974، ص. 2 — 21 ؛ 1976، ص. 6). فالفارغ، المتوقف على العنصر الذي يركز عليه اهتمامه، قد يصنف المعلومات المتاحة تحت تراتيبات مختلفة في نقاط متنوعة. هكذا قد تخضع الشخوص إلى الفعل حين يكون هذا الأخير مركز الاهتمام، لكن يمكن أن يصير خاضعاً

للشخصية حالة تحول اهتمام القارئ بهذه الأخيرة. وثمة تراتيبات مختلفة قد تؤسس في قراءات متباينة لنفس النص، لكن في نقاط مفارقة ضمن نفس القراءة أيضا. وليست عكسية التراتيبات خاصية القراءة العادية وحسب، بل أيضا خاصية النقد الأدبي والنظرية. لهذا السبب من الشرعي إخضاع الشخصية إلى الفعل عند ما نقوم بدراسة الفعل كما أنه من الشرعي على نحو مواز إخضاع الفعل إلى الشخصية حين تكون هذه الأخيرة محط دراستنا.

كيف يعاد تشييد الشخصية انطلاقا من النص ؟

قلت سابقا إن الشخصية في القصة تشييد، يركبه القارئ من إشارات متنوعة ومتفرقة على طول النص⁽⁶⁾. هذا «التركيب» أو «إعادة التشييد» يصفه بارث كجزء من «عملية التسمية» التي، في رأيه، مترادفة مع فعل القراءة :

أن تقرأ يعني أن تصارع لتُسمي، لتخضع جمل النص إلى تحويل دلالي. هذا التحويل شاذ، ويكمن في الحيرة وسط عدة أسماء : إذا قيل لنا «إن لسارزين واحدة من تلك الارادات القوية التي لاتعرف حدودا»، ماذا يجب أن نقرأ ؟ الارادة، الحيوية، التعتن، العناد... الخ ؟

(1974، ص. 92)

حسب تشاتمان (1978) الذي يطور آراء بارث بطريقته الخاصة، فإن ما يتم تسميته في حالة الشخصية هي سمات الشخصية (personality traits)⁽⁷⁾. وحقيقة الأمر أن بالنسبة لتشاتمان فالشخصية

(6) بإمكان الشخصية أن تتركز في قطع نصي، غير أن ذلك نادر إلى حد ما (هروشفوسكي،...).

(7) مصطلح «معنم» لدى بارث ذو توجه إنساني بشكل قليل جدا. والواقع أن =

هي مجموع سمات، تعرف «السمة» كميزة مستقرة نسبيا أو ذاتية دائمة، وتحيل «مجموع» على أن جملة السمات يمكن رؤيتها «على نحو استعاري كتجميع عمودي يتقاطع مع السلسلة الأفقية للاحداث المؤلف للحبكة»؛ (1978، ص. 127). ومستخدم التماثل اللساني، يصف تشاتمان السمة كـ «صفة قصصية تُربط بفعل رابط قصصي، (أي المساوي لفعل «يكون» (1978، ص. 125). هكذا، «فسارزين مؤنثة»، و «عطيل غيور»، هما مثالان لما يسميه تشاتمان «سمة». ومحملا أن هذا النوع من الربط بين الشخصية وميزتها هو الذي يقود «غارفي» (1978، ص. 73) إلى الحديث عن إعادة تشييد الشخصية فيما يتعلق بـ «الموضوعات النعتية». وحسبه تتألف «الموضوعة النعتية» من اسم الشخصية (أو المساوي له)، والمسند (مثل مجنون) والموجه الذي يشير إلى الدرجات والكفاءات (مثلا «موضع شك»، «إلى حد ما») (1978، ص. 73).

إن الانتقال من العنصر النصي إلى الميزة المجردة أو الموضوعة النعتية ليس دائما وبالضرورة أنيا كما يبدو بارزا من الدراسات المشار إليها أعلاه. على العكس، فكثيرا ما تتم تسويته عن طريق درجات التعميم المتنوعة. ومقتفية أثر هروشفوسكي (...)، أود أو أقترح بأن التشييد المسمى شخصية بالامكان رؤيته كبنية تراتبية، شبيهة بشجرة، تجتمع فيها العناصر ضمن مقولات قوة الادماج المتنامية⁽⁸⁾. هكذا قد

= تشاتمان ينمذج، على نحو صريح، نظريته حول الشخصية على أساس النظريات السيكلولوجية حول الشخصية، فيما يعتبرها بارث نقطة اتصال نصية.

(8) اشكر البروفسور هروشفوسكي على المناقشات المثيرة المؤسس عليها التقديم التالي (ص. 31)، لكن مادام الانتقاء، التوليف، والأمثلة من عندي، فليس من سبيل لتحمله مسؤولية نقائص العرض. ما سيتم تقديمه أسفله ليس سوء جزاء من نظرية هروشفوسكي حول الشخصية التي هي جزء من نظريته الموحدة حول النص (...). ويمكن إيجاد تصميم للنظرية العامة عنده في 1974، 1976، 1979.

يؤسس النموذج الأولي عن طريق ربط تفصيلين أو أكثر داخل مقولة موحدة، على سبيل المثال زيارات الشخصية اليومية لأنها يمكن جمعها مع خناقها اليومي معها ومن ثم تعميمها في علاقات X بأمة، وربما مع إضافة عنوان «تكافؤ مضاد». إلا أن العنصر قد يتم إخضاعه إلى أكثر من نموذج. مثلاً خناقات X مع أمة يمكن جمعها إلى جانب خناقاته مع آخرين (بدل تظاهرات أخرى لعلاقاته بأمة) وتعميمها، لنقل، ك «مزاج X العنيف».

مهما يكن، دعونا الآن نتمسك بالنموذج الأول. من ثم فإن علاقات الشخصية بأمة يمكن ضمها إلى التعميمات المشابهة حول علاقاته بزوجه، مديره، أصدقائه بقصد تشكيل مقولة جد عالية معنونة بـ «علاقات X بالناس». هذه المقولة، يمكن ضمها تبعاً إلى مظاهر أخرى «لنفس ترتيب التعميم» مثلاً رؤية X للعالم، طريقته في الكلام، أفعاله. وليس كل ذلك، بطبيعة الحال، مظاهر الشخصية وحسب بل مكونات ممكنة لتشديد اللاشخصية، ك إيديولوجيا العمل، الأسلوب، الفعل. إذا ما نشأ قاسم مشترك، مثلاً تكافؤ مضاد، من عدة مظاهر، فبالإمكان آنذاك تعميمه كسمة للشخصية، وعلى نحو مشابه تنضم السمات المتنوعة لتشكيل الشخصية. أحياناً تتم الإشارة بجلاء إلى السمة في النص وأحياناً لا تتم. حين يتحقق ذلك، فالعنوان النصية قد تؤكد السمة المتوصل إليها في عملية التعميم، كما تكون أيضاً على تعارض معها، محدثة بذلك توتراً تتفاوت تأثيراته من قص إلى آخر. كمثال واحد على ذلك: تشكل «الاستقلالية» إحدى العنونات المشار إليها باستمرار في ارتباطها بإيزابيل آرتشر في «صورة امرأة» لهنري جيمس (1881). غير أن القارئ يدرك تدريجياً أن سيرة هذه المرأة المستقلة مشكلة من متتالية اتكالات مقصودة. فهي تتكل على السيدة توتشت لنقلها إلى إنجلترا، وعلى مال رالف لتتمكن من تأسيس حياة تعتقد أنها بحاجة إليها، وعلى الأنسة ميرل وأوز موند.

لتصبح زوجة هذا الأخير. فالتضارب بين العنونة النصية واستنتاجات القارئ ينضاف إلى حدة وسخرية قدر إيزابيل.

ليس القارئ بحاجة إلى المرور من كل هذه المراحل. إذ بإمكانه تخطي البعض منها بمساعدة «الحس الباطني». علاوة على ذلك، فالتراتبية (مثل كل التراتيبات حسب هروشفوسكي) تُعكس. قد تخضع علاقة الشخصية بزوجته إلى السمة المعنونة بـ «الغيرة»، ومن ناحية أخرى، قد تخضع «الغيرة» إلى علاقة الشخصية بزوجته (الشيء الذي يتضمن كل المقولات أيضاً). بالإضافة إلى العكسية ضمن تشييد الشخصية، قد تُضمّن عناصر أو أنموذجات هذا التشييد علاقة عكسية مع تشييدات ترابئية أخرى. هكذا، وكما يمكن إخضاع الأمثلة المتنوعة لتكافؤ X المضاد إلى هذه السمة في شخصيته، فكذلك يمكن تصنيفها (بمعية التكافؤ المضاد للشخص الأخرى أو أوضاع الغموض) تحت تيمة أو رؤية عالم تدور حول التكافؤ المضاد.

في عملية إعادة التشييد، حين يصل القارئ إلى نقطة لا يمكن له بعدها إدماج عنصر داخل مقولة مشيدة، يبدو التضمنين بأنه إما : أن التعميم المؤسس حتى الآن خاطئ (خطأً قد يكون النص شجع عليه) وإما أن الشخصية قد تغيرت. مثل هذه الرؤية تسمح بمناقشة البعد «الاتجاهي» للشخصية (التطور، السيرة الذاتية)، في حين يجعل «مجموع سمات» تشاتمان من الشخصية تشييدا أكثر سكوناً⁽⁹⁾.

(9) بهذا الصدد، أنظر بيان تشاتمان الذي يتجاهل فيه البعد التوجيهي : «تسافر الأحداث كقوة موجهة، «أفقياً» من البدء إلى المنتهى. من جهة أخرى تتسع السمات على امتدادات الزمن محددة بالأحداث، (1978، ص. 129). من جانب آخر، تستطيع نظرية هروشفوسكي تحليل التوجيهية التي تجاهلها تشاتمان. حول التوجيهية انظر كذلك إيفين — زهار 1968/9، ص. 538 — 568.

على أي أساس تنضم العناصر ضمن مقولات واسعة على نحو متزايد، بالغة بذلك ذروتها مع تشييد موحد، تقريبا، يدعى شخصية؟ إن العامل الرئيسي التماسك هو إسم العلم لنستشهد مرة أخرى ببارث :

الشخصية صفة، نعت، ومسند... إن سارزين مجموع، نقطة التقاء : الفتنة، الموهبة الفنية، الاستقلالية، الافراط، الأنوثة، القبح، الطبيعة المركبة، العقوق، عشق الهن، الارادة، الخ. فما يوهن بأن المجموع مضافة «إليه بقية ثمنية (شي ك الفردية، وفي ذلك، في نوعيتها ووصفها الفائق، قد يفلت من مسك الدفاتر المتبدل للشخص المركبة) هو إسم العلم، الاختلاف الذي يكمله ما هو خاص به. إن إسم العلم يخول للفرد الوجود خارج المعنات، التي، برغم ذلك، يكونه مجموعها كلية. وبمجرد ما يوجد إسم (حتى ضمير يجري تجاهه أو يثبت عليه) حتى تصير المعنات مسندات، محثات على الحقيقة ويصبح الاسم فاعلا.

(1974، ص. ص. 190 - 191)

كيف تنضم العناصر إلى مقولات موحدة تحت درع إسم العلم؟ يبدو لي أن المبادئ الأساسية للتماسك هي التكرار، التشابه، التضاد، والتضمن (بالمعنى المنطقي). تكرار نفس السلوك «يفضي» إلى عنوانته كسمة للشخصية، مثل ما يوجد في «وردة لإيملي» لفوكنر (1930) حيث رحلاتها المتكررة كل أحد برفقة هومر بارون توحى بعنادها وتحديها لأهل المدينة. وتتسبب كذلك تشابهات سلوكها في مناسبات مختلفة، كرفض إيملي التسليم بموت أبيها والاحتفاظ بجثمان عشيقها السابق، في التعميم. في هذه الحالة تمسكها بالناس الذين سلبوها حياتها (كما يؤول ذلك أهل المدينة) أو عشقها للجثث. وليس التضاد أقل

توصيلاً إلى التعميم من التشابه، مثلما حين يفرز التوتر بين زيارات الشخصية المتكررة لأمه وعلى نحو مساو خناقاته معها تكافؤها المضاد تجاه أمه. وفي ما يتعلق بالتضمنين، يشير غارفي إلى ثلاثة أشكال منه (1978، ص. ص. 74 — 75) : (أ) تُضمن جملة من النعوت الفيزيكية من سيكولوجية (موضوعة نعنية)، مثلاً X يعرض على أظافره — X عصبي ؛ (ب) تضمن جملة من النعوت السيكولوجية م ن سيكولوجية إضافية، مثلاً X يكره أباه ويعشق أمه — X يعاني من عقدة أوديب ؛ (ج) تضمن جملة من النعوت السيكولوجية والفيزيكية م ن سيكولوجية، مثلاً X يرى ثعباناً، X يصير مدعوراً — X يخاف من الثعابين.

قد تكون الوحدة الناشئة عن التكرار، التشابه، التضاد، والتضمن وحدة في التنوع، ومع ذلك تسهم في تماسك السمات المتنوعة حول إسم العلم، الذي يتوقف عليه الأثر المسمى «شخصية».

تصنيف الشخصية

نادراً ما يفهم أن للشخص المتنوعة المستخلصة من نص ما نفس درجة «الاكتمال». في سنة 1927 أدرك فورستر ذلك، عندما ميز بين الشخصية «المسطحة» والشخصية «الدائرية». تناظر الشخص المسطح الأنواع «المزاجات»، الكاريكاتورات. في شكلها الخالص تشيد حول فكرة واحدة أو ميزة، وبالتالي «يمكن التعبير عنها في جملة واحدة» (1963، ص. 75 الطبعة الأصلية 1927). علاوة على ذلك، مثل هذه الشخص لا تتطور أثناء الفعل. وكنيجة على حصر ميزاتها وغياب التطور، يتم التعرف عليها وتذكرها بسهولة. وتُعرف الشخص الدائرية عن طريق التضمنين المغاير، خاصة تلك التي ليست مسطحة. وعدم كونها مسطحة يقتضي أكثر من ميزة إضافة إلى التطور أثناء الفعل.

إن تمييز فورستر أهمية رائدة، لكنه يشكو من بعض النقائص :
 (أ) يقترح مصطلح «مسطحة» شيئاً ذا بعدين إثنيين، فارغ من العمق و «الحياة»، في حين ثمة، في الواقع، عدد من الشخوص المسطحة، مثل شخوص ديكنز التي لا نحس أنها حية وحسب بل تخلق انطبعا بالعمق كذلك. (ب) إن الثنائية اختزالية بشكل كبير، طامسة بذلك الدرجات والفوارق الضئيلة الموجودة في الآثار الفعلية للتخييل القصصي. (ج) يبدو أن فورستر يخلط بين معيارين لايتداخلان دائماً. حسب رأيه الشخصية المسطحة بسيطة وغير متطورة على حد سواء، في حين الشخصية الدائرية معقدة ومتطورة معا. وبرغم أن هذه المعايير كثيراً ماتتعايش، فثمة شخوص تخيلية معقدة وغير متطورة (شخصية بلوم عند جويس) وأخرى بسيطة ومتطورة (إيفريمان الاليجوري). بالإضافة، يمكن تقديم فقدان التطور كتطور متوقف ناتج عن بضع الصدمات النفسية، مثل ما في حالة الآنسة هافيشام في «الآمال الكبرى» لشارلز ديكنز (1860 — 1861) وبالتالي يهب شخصية سكونية ذات تعقيد⁽¹⁰⁾.

لأجل تفادي الاختزال، يقترح إيوين (1971، ص. 7 ؛ 1980 ص. 33 — 44) تصنيفاً للشخوص كنقاط على طول السلسلة المتصلة عوض بحسب المقولات الشمولية⁽¹¹⁾. ولأجل إبقاء مبدأ التصنيف واضحاً، يؤيد التمييز بين السلسلات المتصلة أو المحاور الثلاثة : التعقيد، التطور، النفوذ إلى «الحياة الباطنية». في أحد قطبي محور التعقيد، يحدد إيوين الشخوص المشيدة حول سمة مفردة أو حول سمة مهيمنة برفقة بعض السمات الثانوية. تنتمي إلى هذا القطب

(10) أثار هذه النقطة البروفسور باروتش هوشمان في حديث خاص.

(11) يعترف فورستر ضمناً بهذه الامكانية حين يتحدث عن «بداية الانحناء باتجاه الدائري» (1963، ص. 75).

الصور الاليغورية، الصور الكاريكاتورية، والانواع [الانماط]. في المحور الأول، يمثل إسم العلم سمة مفردة تشيد حولها الشخصية (برايد، سين). في الثاني، ميزة، من الميزات المتنوعة، تكون مرموقة ومبالغ فيها (مثل العديد من شخوص غوغول). وفي الثالث تُدرك سمة مرموقة كممثلة لمجموعة برمتها بدل ميزة فردية خالصة (مثلا هورس اليهودي، في «نوسترومو» لكونراد، 1904). في القطب المقابل يحدد إيوين الشخوص المعقدة مثل راسكولنيكوف [في «الجريمة والعقاب»] لدوستيفسكي أو إيزابيل آرتشر لهنري جيمس. وبين القطبين يمكن تمييز درجات التعقيد اللامتناهية.

وليست الصور الاليغورية، والصور الكاريكاتورية، والأنواع بسيطة فحسب، بل سكونية أيضا. وبإمكانها، بالتالي برفقة «الصور الشخصية» لتيوفراستس أو نوع لابروير، احتلال أحد قطبي محور التطور. لكن الشخوص السكونية غير المتطورة ليست بحاجة إلى حصرها ضمن سمة واحدة ؛ برغم أن ل : دجو غارجيري وويميك في «الآمال الكبرى» أكثر من ميزة على نحو جلي. إن الشخوص التي لا تتطور كثيرا ما تكون ثانوية صالحة لبعض الوظائف البعيدة عنها (مثلا تمثل المحيط الاجتماعي الذي تتحرك فيه الشخوص الرئيسية). وفي القطب المقابل ثمة شخوص متطورة تماما، ك : ستيفن في «صورة الفنان في شبابه» لجويس (1916) أو ستريندر في «السفراء» لجيمس (1903). أحيانا يكون التطور مرسوما بكل معنى الكلمة في النص، مثل ما يوجد في المثاليين أعلاه، وأحيانا متضمنا من قبله، مثلا حين تتحول الأنسة بيتس في «إيما» لأوستين (1816) من صورة مضحكة إلى أخرى مثيرة للشفقة بدون رسم مفصل للمسافة التي يتم اجتيازها⁽¹²⁾.

(12) أدين بهذه النقطة إلى البروفسور هـ. م. دليسكي.

المحور الثالث، «النفوذ إلى الحياة الباطنية» يتراوح من شخص
أمثال السيدة دالوي لوولف أو مولي بلوم لجيمس جويس، اللذين
يقدم وعيهما من الداخل إلى أمثال قتلة هيمنغواي (في قصة تحمل
نفس الاسم، 1928)، الذين لا يشاهدون إلا من الخارج، وتبقى
أذهانهم غير منفذة⁽¹³⁾.

إن مناقشة «الحياة الباطنية» للشخصية بعيدة كل البعد عن إحالتها
على إيما وودهاوس ك: «هي» (It) أو التعامل مع الشخص ك
«فواعل» (انظر ص. ص. 53 — 56). فالحضور المشترك لمثل هذه
المفاهيم المتقابلة في هذا الفصل ليس خطأ غير مقصود أو متضارباً،
بل إيماءة نحو التصالح المقترح سابقاً. وبطبيعة الحال ليس الحضور
المشترك في حد ذاته تصالحاً. فحقيقة الأمر أن إمكانية فهمه كتضارب
قد يصلح كإشارة لمظهر العمل الذي يظل بحاجة إلى الانجاز قبل أن
تصبح نظرية متكاملة للشخصية عملية.

(13) هذا المحور الثالث الذي اقترحه إيوين سنة 1971، حل محله سنة 1980
«المحور المحاكاتي والرمزي». ومادام الأخير، كما يبدو لي، ذا ترتيب يختلف عن
الاثنين الأولين، فإني أحتفظ بالتصنيف الأصلي.

النص : الزمن

بعد أن أكدنا على توافق المظاهر الثلاثة للتخييل القصصي في المدخل، وبعد أن حللنا القصة بمعزل في الفصلين السابقين، سنواصل مناقشة النص في علاقته بالقصة من جهة، وبالسرد من جهة أخرى. وستكرس الفصول الثلاثة المتعاقبة لثلاثة عوامل نصية : الزمن، التمييز، التبئير. سيتم فحص الفصلين الأولين في علاقتهما بالقصة : الزمن كتنظيم نصي لمكون حدث القصة، التمييز كتمثيل في النص لمكون شخصية القصة. والعامل الثالث، التبئير، هو زاوية الرؤية التي من خلالها تصفى القصة في النص، وتصاغ لفظيا من قبل الراوي. بالتالي، سيدرس هذا العامل بالدرجة الأولى في علاقته بالسرد.

اعتبارات عامة

يشكل الزمن واحدا من أهم المقولات الأساسية في تجربة الانسان. وقد طرحت الشكوك حول صلاحية اعتباره مكونا للعالم الفيزيقي، بيد أن الأفراد والمجتمعات مازالوا يواصلون تجربتهم معه وينظمون حياتهم وفقه. فبعض مفاهيمنا حول الزمن مشتقة من العمليات الطبيعية : النهار والليل، السنة الشمسية بفصولها الأربعة (لكن ليس في المنطقة القطب شمالية)... الخ. وحتى الشخص المبعد عن كل إدراك للعالم الخارجي بإمكانه، مع ذلك، على نحو محتمل، مواصلة تجربة تتابع أفكاره وأحاسيسه. بين هذين الطرفين — الطبيعي والشخصي —

هناك مجرى التجربة الزمنية : الزمن كإصطلاح متداخل ذاتي،
 عمومي، واجتماعي يمكن أن نؤسسه بهدف تبسيط حياتنا جميعا.
 تميل حضارتنا إلى اعتبار الزمن كتدفق أحادي الاتجاه وغير
 عكسي، شبيه بشارع وحيد الاتجاه. قبل ذلك، في التاريخ الغربي،
 أعطى هرقليطس لمثل هذا التصور شكلا استعاريا : «لا يمكنك
 السباحة مرتين في النهر، لأن المياة تتدفق باستمرار». واليوم قد نضيف
 بأن ليس موضوع التجربة الجريان المتواصل وحسب، بل الذات
 الجربة أيضا، وحتى يصير الجريان مندجما اجتماعيا، فيجب أن يكون
 قابلا للقياس، إلا أن ذلك لن يتحقق إلا حين يتم تمييز أنموذج متكرر
 داخله (مثلا، السنة الشمسية) أو مفروض عليه من قبل الآلات
 المشيدة لهذه الغاية (الروزنامة، الساعة، مسرع — الزمن). على نحو
 مفارق، فالزمن «هو» تكرر داخل تغيير غير عكسي. و مظهره
 التكراري أحيانا ما يأخذ خطوة إضافية ويُرى إليه كدحض لاحادية
 اتجاه هرقليطس، مثل ما في مفهوم «الزمن الدائري، عند نيتشه
 وبورخيس.

في أي مظهر آخر للعالم، تمثل تجربة الزمن في النص القصصي،
 (على سبيل المثال) في «إلى المنارة» لفرجينيا وولف (1927). غير أن
 الزمن ليس تيمة متواترة بمقدار كبير في التخيل القصصي وحسب،
 إنه عامل مكون في كل من القصة والنص. وتكمن خصوصية القص
 اللفظي في كون الزمن يكون فيه أساسيا لأداة التمثيل (اللغة) وكذا
 للموضوع المتمثل (وقائع القصة)⁽¹⁾. هكذا يمكن تعريف الزمن في
 التخيل القصصي كعلاقات الكرونولوجيا بين القصة والنص. وقول
 ذلك لايعني تعريف الزمن فحسب، بل تضمين بعض التعقيدات التي
 لامفر منها. لقد رأينا قبل ذلك (ص. ص. 32 — 33) أن زمن —

(1) تتأسس الاعتبارات العامة السابقة على ملاحظات من محاضرة موشي رون.

القصة، المتصور كتتابع خطي للأحداث، ليس إلا تشبيها اصطلاحيا ملائما على نحو تداولي. على حد سواء فزمن — النص اشكالي. إنه بعد مكاني، وليس زمنيا. وكنص، فليس للنص القصصي سلطة زمنية سوى تلك التي يستقيها، على نحو كنائي، من عملية القراءة. في الواقع، ما تحيل عليه مناقشات زمن — النص هو التنظيم (المكاني) الخطي للقطع اللسانية ضمن السلسلة المتصلة للنص. بالتالي، قد لا يكون كل من زمن — القصة وزمن — النص إلا زائفا زمنيا. على الرغم من ذلك، وما دمنا نذكر طبيعتهما «الزائفة» فكلاهما يظل تشبيها مفيدا لدراسة وجه مهم للقصة — علاقات النص.

على أن تنظيم العناصر في النص، المدعوة اصطلاحا، زمن — النص يلزم أن تكون وحيدة الاتجاه وغير عكسية، لأن اللغة تفرض تجسيدا خطيا للعلامات وبالتالي تقدما لمعلومات حول الأشياء. فنحن نقرأ حرفا بعد حرف، وكلمة بعد كلمة، وجملة بعد أخرى، وفصلا بعد آخر، وهلم جرا.

ثمّة بعض المحاولات لتحرير التخيل القصصي من هذه التقييدات، إلا أن هذا التحرير لن يكون تاما أبدا، وحتى إذا ما كان ممكنا، فسيخرب الوضوح. هكذا، ففي «وات» لبيكيت، هناك بعض الأقسام القليلة التي يعكس فيها وات، على الأقل المجنون إلى حد ما، ترتيب الكلمات في الجملة، والحروف في الكلمة، والجملة في الفقرة، الخ. إلا أن الراوي يشرح للقارئ هذا العكس قبل إعادة إنتاجه، وبالتالي إعطاؤه إمكانية استعادته في ترتيبه الأصلي (1972، ص. ص. 162 — 166. الطبعة الأصلية بالفرنسية 1953). على نحو مشابه، في «هوبسكوتش» (1967، الطبعة الأصلية بالاسبانية) يتحدث الكاتب الأرجنتيني خوليو كورتازار الخطية عن طريق قلب ترتيب الفصول. يكتب في «جدول التعليمات» الذي يسبق الرواية :

بطريقته الخاصة يتألف هذا الكتاب من عدة كتب، لكن
هناك كتابين قبل كل شيء
الأول يمكن أن يقرأ على الطريقة العادية وينتهي بالفصل
56....

والثاني يجب أن يقرأ بدءاً بالفصل 73 وبعد ذلك يتبع
التسلسل المشار إليه في نهاية كل فصل.

لتوضيح هذا الاجراء تأتي بداية «التسلسل» الأخير على النحو
التالي : 73 — 1 — 2 — 116 — 3 — 84 — 4 — 71 —
5 — 81 — 74 — 6 — 7 — 8 — 93 — 68 — 9 —
104 — 10 — 65. وحتى داخل ذلك فالفصول 1 — 56 يجب
أن تقرأ بالترتيب، مع الفصول 57 — 155 متناثرة بينها.

هكذا فزمن — النص خطي بشكل لامفر منه، وبالتالي يتوافق
والخطية المتعددة ل : زمن — القصة «الحقيقي»⁽²⁾. لكن وحتى حين
نقارن زمن — النص بزمن — القصة الاصطلاحي، أي بالكرونولوجيا
«الطبيعية المثالية»، نجد أن «معيارا» افتراضيا للتوافق التام بين الاثنين
نادرا ما يتحقق، ويبقى تقريبا مقتصرا على القص الأكثر بساطة.
ورغم أن النص، في التطبيق، دائما يتجلى في التتابع الخطي، فهذا
لا يحتاج إلى توافقه مع التتابع الكرونولوجي للأحداث، بل غالبا وكثيرا
ما ينحرف عنه، خالقا بذلك أنواعا متنوعة من التناثرات. حسب
معرفتي، فالمناقشة الأكثر شمولية للتعارضات بين زمن — القصة
وزمن — النص هي تلك التي قام بها جنيت (1972)،

(2) ومع ذلك يجب ملاحظة عاملين إثنين يخفضان نبرة لاعكسية زمن — النص :
أ — واقع الكتابة ومن ثم إمكانية إعادة القراءة ؛ ب — وجود أنموذجات
شبه — مكانية تؤسس الترابطات الفوق خطية، مثلا التناظر.

ص. ص. 77 — 182)، وسيعتمد التعليل التالي بدرجة كبيرة عليها، مع بعض التحفظات والتعديلات وأمثلة أوردتها⁽³⁾.

بشكل عام، قد يُرى إلى الزمن من ثلاثة أوجه : الترتيب، الديمومة، التواتر. قد تجيب القضايا حول الترتيب عن سؤال «متى؟» بمصطلحات ك : أولا : ثانيا، أخيرا، قبل، بعد، الخ. وتجيب القضايا حول الديمومة عن سؤال «كم مدة؟» بمصطلحات ك : ساعة، سنة، طويلة، قصيرة، من أ حتى ي، الخ. والقضايا حول التواتر عن سؤال «كم مرة» بمصطلحات ك : X مرات في الدقيقة، في الشهر، في الصفحة، تحت هذه العناوين ينطلق جنيت لفحص العلاقات بين زمن — القصة وزمن — النص⁽⁴⁾. فتحت الترتيب يناقش جنيت العلاقات بين تتابع الأحداث في القصة وتنظيمها الخطي في النص. وتحت الديمومة يفحص العلاقات بين الزمن الذي يفترض من الأحداث أنها أخذته لحدوثها وحجم النص المكرس لسرحها. أما تحت عنوان التواتر، فيرى إلى العلاقات بين عدد المرات الذي يظهر فيها الحدث في القصة وعدد المرات الذي يسرد فيها في النص.

الترتيب :

إن أهم أنواع التعارضات بين ترتيب القصة وترتيب النص («المفارقات» في اصطلاح جنيت) هي ما يعرف تقليديا ب : «فلا شباك» أو «استعادة الأحداث الماضية» من جهة، و «التنذر»، أو «التوقع» من جهة ثانية. ولأجل تفادي الابهامات السيكلوجية وكذا

(3) مادمت مقتفية أثر جنيت إلى حد بعيد، فلن أحيل عليه في كل صفحة. يستحسن بدل ذلك أن أعترف بأني مدينة له بشكل يفوق الاحالة. انظر أيضا ريمون 1976 a، ص. ص. 33 — 62 والتي كثيرا ما استشهد منها حرفيا بدون الاحالة على الصفحة، معتبرة أن السرقة الذاتية نشاط مشروع.

(4) «أعيد كتابة» «القصة» (histoire) و «المحكي» (recit) عنده ك «القصة» و «النص» للحفاظ على الاصطلاح الذي اقترحت طوال العرض.

الرؤية — السينائية لهذه المصطلحات، سأقتفي أثر جنيت معيدة
 تعميدها ب : «الاسترجاع، و «الاستباق» على التوالي. فالاسترجاع
 هو سرد حدث — قصة في نقطة ما في النص بعد أن يتم حكي
 الأحداث اللاحقة. وكما كان، يعود السرد إلى نقطة ماضية في القصة.
 على نحو معاكس، الاستباق هو سرد حدث — قصة في نقطة ما قبل
 أن تتم الإشارة إلى الأحداث السابقة. وكما كان، فالسرد يقوم برحلة
 في مستقبل القصة. إذا تجسدت الأحداث، أ، ب، ج ضمن النص
 في الترتيب ب، ج، أ، فإن «أ» استرجاعية ومن جهة أخرى، إذا ما
 ظهرت في الترتيب ج، أ، ب فإن «ج» ستكون هي استباقية. ويشكل
 كل من الاسترجاع والاستباق قصا ثانيا على نحو زمني فيما يتعلق
 بالقص الذي يلتحمان عليه والذي يسميه جنيت «القص الأول».
 «القص الأول» إذن، هو — إلى حد ما على نحو دائري — «المستوى
 الزمني للقص والذي، فيما يتصل به، تُعرَّف المفارقة وفقه» (1972)،
 ص. 90 ؛ 1980 ص 48).

تزود الاسترجاعات بمعلومات ماضية سواء حول الشخصية،
 الحدث أو خط — القصة المشار إليه في هذه النقطة من القصة
 («الاسترجاع مماثل القصة» حسب جنيت) أو حول شخصية أخرى،
 حدث أو خط — القصة («استرجاع متباين القصة»، (أما مصطلح
 «حكائية» فتقريباً مماثل لما أسميته ب «القصة»). يمكن توضيح النوع
 الأول من الاسترجاع عن طريق مثال من «التربية العاطفية» لفلوبير.
 فالفصل 1، الذي يقع فيه الفعل في 15 شتنبر 1840، ينتهي
 بإرسال ورقة إلى فريدريك من قبل صديقه ديسلوريار قصد الالتحاق
 به في الدور الأسفل :

تردد فريدريك. لكن الصداقة فازت باليوم. وأخذ قبعته
 «لأنتأخر طويلاً، على كل حال»، قالت أمه.

(1970، ص. 24. الطبعة الأصلية بالفرنسية 1869)

ويتهيء الفصل II على هذا النحو :

كان أبو شارل ديسلوريار ضابط مشاة سابق، استقل من منصبه سنة 1818، وعاد إلى نوجان للزواج، وبمهر عروسته ابتاع منصب مساعد مأمور، الشيء الذي لم يكن كافيا إلا بالكاد لضرورات الحياة.

(1970، ص. 24)

إن رواية تاريخ الأب الماضي تابع لتاريخ شارل ديسلوريار نفسه، الموضوع الأساسي للتحليل : « كثيرا ما كانت تجلد قلة قليلة من الأطفال أكثر من ابنه، غير أن الجلد أخفق في سحق حيوية الصبي» (ص. 25)، وهلم جرا.

ولئن كان مثال فلوبيير متماثل القصة، أي أنه يحيل أساسا على شارل ديسلوريار، فإن «حب سوان» لبروست (1919) استرجاع متباين القصة. فسوان التي هي شخصية ثانوية في القسم الأول من «البحث عن الزمن الضائع»، القسم الذي تحدث وقائعه إبان طفولة مارسيل تصبح بطلنة في القسم الثاني، التي تحدث وقائعه قبل ميلاد مارسيل بمدة طويلة.

ورغم أن الأول متماثل القصة والثاني متباين القصة، فكلا الاسترجاعين سيتحضران ماضٍ سبق نقطة الانطلاق في القص الأول، وبالتالي فهما «استرجاعان خارجيان، حسب جنيت. ثمة استرجاعات أخرى قد تستحضر ماضيا «يحدث» بعد نقطة انطلاق القص الأول، لكن إما أنها متكررة على نحو استرجاعي أو مروية لأول مرة في نقطة ما في النص بعد ذلك أكثر من المكان الذي حدث فيه («استرجاعات داخلية»). مثل هذه الاسترجاعات كثيرا ما تملأ فجوة نشأت في السابق، وأحيانا فالفجوة التي يتم ملؤها هكذا يتم غلقها عن طريق

استعادة الأحداث الماضية⁽⁵⁾. والمثال المعروف للاسترجاع الداخلي هو رواية سنوات إيمان في الدير في «مدام بوفاري» لفلووير (1857). فهذه السنوات، الملخصة بعد أن يتم سرد الأحداث التالية في حياة إيمان، لاحقة بوضوح على اليوم الأول لشارل في المدرسة الجديدة الذي هو نقطة انطلاق الرواية (جنيت 1972، ص. 98). إذا كانت المدة التي يغطيها الاسترجاع تبدأ قبل نقطة انطلاق القص الأول، لكن في مراحل لاحقة إما تتصل بها أو تتجاوزها، فإذا ذاك يعتبر الاسترجاع «ممزوجاً».

أما الاستباقات فأقل تردداً من الاسترجاعات، على الأقل في التقليد الغربي. حين تحدث، تحمل محل نوع التشويق المشتق من سؤال «ماذا سيحدث بعد ذلك؟» وعن طريق نوع آخر من تشويق يدور حول سؤال «كيف سيحدث؟»⁽⁶⁾ الاستباق، بالمعنى الصارم لقول المستقبل قبل وقته، يجب تمييزه عن الإعداد أو التلميح لواقعة مستقبلية (amorce، لبنة، حسب اصطلاح جنيت) للنوع المتصور في قولة تشيخوف الشهيرة حول ضرورة الربط بين حضور البندقية على الحشبة والقتل أو الانتحار المستقبلي. في الاستباق الخالص، يواجه القارئ بالحدث المستقبلي قبل وقته، في حين أن مجرد الإعداد للأحداث اللاحقة لاتفهم إجمالاً، هكذا، إلا في استعادة الأحداث الماضية. وبطبيعة الحال، قد يتعرف القراء المتمرسون بسهولة على مثل هذه المعلومة «المغروسة»، لاستعمال لاحق، خاصة في الأجناس الأكثر تقليداً. هذه الظاهرة قد تستلزم إدخال الإعدادات الزائفة («شارك» بارث، 1974، ص. 85. الطبعة الأصلية بالفرنسية 1970)، مثلاً

(5) حول الثغرات بشكل أوسع، انظر الفصل 9.

(6) في الواقع، يقول جنيت إن الاستباق متعارض مع التشويق (1972، ص. 105) وقد قمت بتعديل الصياغة أعلاه.

بندقية لن تستخدم أبدا. وهذه بدورها قد تصير تقليدا معترفا بها، مستلزمة إدخال شرك مزيفة تكون في الوقت إعدادات حقيقية وهكذا دواليك.

وجملة القول، بيرهن جنيت، إن ما يسمى القصة بضمير المتكلم⁽⁷⁾ يعبر نفسه لاستخدام الاستباق أفضل من الأنواع الأخرى، لأن شخصية مثل هذا القصة، والتي تستعيد أحداث الماضي باعتراف الجميع، يبدو للراوي، أكثر طبيعيا، الاحالة على مستقبل صار قبل ذلك ماضيا. هكذا فالمتفخ، في «حديقة الطرق المتفرعة» لبورخيس، يقال إن الراوي / الجاسوس هو الذي أملاه قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه بقليل. في هذه النقطة المواتية، يروي ماضيه كجاسوس، وكثيرا ما يسبق ما كان لذاته الماضية (ول «حاضر» القارئ) مستقبلا، لكن غير موجود الآن في ذاته الراوية في الحاضر. ويكفي مثال واحد لهذه الظاهرة :

وسط ضغيتي ورعبي (لايعني لي شيئا الآن التحدث عن الرعب، أما وقد هزأت من ريتشارد مادن، وعنقي يتوق إلى الحبلى) خطر ببالي أن ذلك الجندي الهائج والسعيد بحق لم يشك في أنني كنت أمتلك السر.

(1974، ص. 45. الطبعة الأصلية بالاسبانية 1956)

يمكن للاستباق، وأود أن أركز على ذلك، أن يستخدم بشكل فعال في ما يسمى بالسرد العليم بكل شيء، كما يظهر المثال التالي من «ربيع الآنسة دجين بروودي» لموريل سبارك :

«الكلام من فضاة لكن السكوت من ذهب. ماري، هل تسمعين ؟ ماذا كنت أقول ؟»

(7) سيتم تعديل التمدجة التقليدية للرواة في الفصل 7 بمساعدة مقولات جنيت المتنوعة.

غامرت ماري ماكغريغور، الخرقاء بعينين فقط، وأنف وفم
كرجل من ثلج، اشتهرت منذ عهد بغائها وتوبيخها الدائم،
وفقدت حياتها في حريق بفندق، «ذهب».

(1971، ص. ص. 14 — 15. الطبعة الأصلية. 1961)

مثل الاسترجاعات، يمكن للاستباقات أن تحيل سواء على نفس
الشخصية، الحدث أو خط — القصة المبرز في تلك النقطة من النص
(متاثل القصة) أو على شخصية أخرى، حدث، أو خط — القصة
(متباين القصة). مرة أخرى، ومثل الاسترجاعات، بإمكان
الاستباقات أن تغطي إما فترة بعيدة عن نهاية القص الأول (خارجية)
وإما فترة سابقة على النهاية لكنها لاحقة على النقطة التي تُروى فيها
(داخلية) وإما أن تكونا متضامتين (ممزوجتان). في «المهري المحترق»
لفوكنر، يصف الراوي عنف الأب، وبعدئذ يقارن هذه الميزة مع ميزة
الأجيال القادمة :

صعد أبوه إلى المقعد حيث جلس قبل ذلك الأخ الأكبر ثم
ضرب البغال الهزيلة ضربتين همجيتين، بقضيب صفصاف
مقشر، لكن بدون انفعال. لم يكن ذلك حتى ساديا، لقد
كان بالضبط نفس الميزة التي ستدعو سلاسته في السنوات
القادمة إلى سحق المحرك قبل تشغيل محرك السيارة...

(1971، ص. 165. الطبعة الأصلية 1939)

يحدث التعليق حول الأجيال اللاحقة تحولا من الأب إلى شخص
أخرى أو خط قصة آخر، ومن ثم يشكل استباقا متباين القصة فيما
يتعلق بعالم «المهري المحترق» (رغم أنه غير ضروري لعالم قصة فوكنر
البطولية ككل). لكن مادام خط القصة المحتمل هذا لاحقا على نهاية
القص الأول (وليس هناك شيء آخر سيقال عنه على طول «المهري
المحترق») فإن الاستباق خارجي كذلك.

ويروي استباق خارجي آخر في نفس النص مقدما ما سيحدث بعد عشرين سنة، غير أنه يبقى لصيقا بالطفل، موضوع سرد سابق على الاستباق (ومن ثم فالاستباق خارجي لكنه متاثر بالقصة) :
بعد ذلك، بعد عشرين سنة، سيقول لنفسه، «لو كنت قلت إنهم أرادوا الحقيقة فقط، كان سيضربني مرة أخرى».

(ص. 167)

في كل الأمثلة الواردة حتى الآن، كانت للتحويل الزمني — سواء الاسترجاعي أو الاستباقي — تأثيرات من قبل الراوي المتموقع خارج القصة التي يرويها. قارن كل الأمثلة أعلاه بالمقطع التالي من «إيفلين» لجيمس جويس :

جلست قرب النافذة ترنو إلى المساء يغزو الشارع العريض، برأس متكئة على ستار النافذة، وفي أنفها رائحة كريتون مغبر. كانت ثعبة.

نزر قليل من المارة، والرجل الذي خرج من المنزل الأخير يمر متجها إلى بيته. تنهى إلى مسمعها صوت قدميه تطقطقان على طول الرصيف الصلب وبعد ذلك تدوسان على مجاز رماد أمام المنازل الحمراء الجديدة. في وقت، كان هناك حقل اعتادوا اللعب فيه كل عشية مع أطفال أناس آخرين. بعد ذلك اشتراه رجل من بلفاست، وشيد عليه منازل — ليست مثل منازلهم البنية الصغيرة، لكن منازل بقرميد لامع وأسقف براقية. اعتاد أطفال الشارع العريض اللعب جماعة في الحقل... والآن، كانت سترحل مثل الآخرين، ستترك مسكنها...

لكن في سكنها الجديدة، في بلاد مجهولة بعيدة، لن يكون

الوضع مثلما كان، بعدئذ ستتزوج — هي، إيفلين،
وسيعاملها الناس باحترام آنذاك، ولن يتعامل معها مثلما تم
التعامل مع أمها.

(1961، ص. ص. 34 — 35. الطبعة الأصلية 1914)

بعكس الأمثلة الأخرى، فالاسترجاعات والاستباقات هنا ليست
منسوبة إلى الراوي، بل مصفاة عبر (أو حسب الاصطلاح الشكلائي،
محفزة عن طريق) ذكريات، مخاوف، وآمال الشخصية. إن وضع
المفارقات المحفزة للشخصية مختلف عن وضع تلك التي للراوي، لأنها
لا تنحرف تماما عن الكرونولوجيا. ففعل التذكر، التخوف أو الأمل
هو جزء من التجلي الخطي للقص الأول في «إيفلين». فقط مضمون
الذكرى، التخوف والأمل هو ما يشكل حدثا ماضيا أو مستقبليا.
هكذا، إذا استخلصنا القصة من النص، فإن أحداثا مثل اللعب مع
أطفال أناس آخرين (استرجاع) أو كونها محترمة في بلاد جديدة
(استباق) ستظهر مرتين على نحو محتمل : مرة كحدث في الماضي
أو حدث مخطط للمستقبل، ومرة كجزء من الفعل الحاضر للتذكر،
التخوف، الأمل. وإنه بسبب الفعل الحاضر المعرفي أو الانفعالي تحتفظ
مثل هذه الأحداث، على الأقل إلى حد ما، بمكانتها «الطبيعية» في القص
الأول.

الديمومة :

لعل ما يشكل قلقا فيما يتصل بالديمومة أكثر مما يتصل بالترتيب
أو التواتر هو الصعوبة المتأصلة في مفهوم زمن النص، كما يشير إلى
ذلك جنيت. بالإمكان وبسهولة، نقل الترتيب أو التواتر من زمن
القصة، بصرف النظر عن الطبيعة الاصطلاحية لهذا الزمن، إلى خطية
(مكان) النص. وليس من الحرج القول إن سلسلة الأحداث أ تأتي

بعد سلسلة الأحداث ب في التنظيم الخطي للنص وإن سلسلة الأحداث ج يتم قولها مرتين في النص. مثل هذه القضايا مشابهة تماما لتلك التي نشكلها حول القصة : الحدث أ يسبق الحدث ب ضمن كرونولوجيا القصة، الحدث ج لا يحدث إلا مرة فقط، الخ. بيد أنه من الصعب جدا وصف ديمومة النص وديمومة القصة على نحو مواز، لسبب بسيط وهو عدم وجود طريقة لقياس ديمومة النص. في الواقع، القياس الزمني المتوفر فقط هو زمن القراءة، والذي يختلف من قارئ إلى آخر، ولا يزود بمعيار موضوعي.

لهذا السبب، فإيجاد «معيار» لقياس تغيرات الديمومة أصعب من إيجاد نقطة الاحالة إلى الترتيب. ولنتذكر أنه بالنسبة للترتيب، «المعيار» هو إمكانية المصادفة الدقيقة بين زمن القصة، وزمن النص، ورغم أن هذا الأخير يعني التنظيم الخطي في النص، فبالإمكان مع ذلك التحدث عنه ك «ترتيب». من ناحية أخرى، مادام لا يمكن لأي حدث أو أي نقل نصي لحدث ما أن يملي زمن قراءة ثابتة، فليس هناك طريقة للتسليم بتكافؤ بين ديمومتين «كمعيار» افتراضي. كما لا يمكن حتى لقطع من حوار صرف، تم اعتباره من طرف البعض كحالة لمصادفة خالصة بين ديمومة — القصة وديمومة — النص، أن يظهر توافقا تاما. قد يعطي حوار انطبعا بروايته لكل شيء قيل في الواقع أو في التخيل، دون زيادة أي شيء، ومع ذلك لن يكون قادرا على نقل المعدل الذي قيلت فيه الجمل أو مدة فترات السكوت. من ثم، بالاصطلاح فقط يمكن للمرء التكلم عن التكافؤ الزمني للقصة والنص في الحوار. ومن المرجح أن هذا الاصطلاح ناشئ عن حقيقة أن الحوار هو نقل للغة في اللغة، كل كلمة في النص تمثل، على نحو محتمل، الكلمة المتلفظة في القصة، في حين لا يبدو النقل اللساني للوقائع غير اللفظية مستلزما أي معدل محدد وخاص للسرد.

مادام مستحيلا وصف تنوعات الديمومة على أساس «معياري» تطابق متعذر بين القصة والنص، يستحسن القيام بمحاولة تعريف من جديد للعلاقات بين «الديموميتين»، وافترض نوع «معياري» آخر وفقا لذلك. إن العلاقات التي نحن بصدددها، ليست في الواقع بين ديمومتين، بل بين الديمومة في القصة (المقاسة بالدقائق، الساعات، الأيام، الشهور، السنوات) وطول النص المكرس لها (في السطور والصفحات)، أي العلاقة الزمانية / المكانية⁽⁸⁾. فالسرعة هي الحجم المقدم من قبل هذه العلاقة بصفة عامة. لذلك، يقترح جنيت استخدام ثبات السرعة كـ «معياري» يتم به قياس درجات الديمومة، عوض ملائمة القصة والنص. إن ثبات السرعة في السرد هو المعدل اللامتغير بين ديمومة القصة والامتداد النصي، مثلا حين تتم معالجة كل سنة من حياة شخصية ما في صفحة واحدة على طول النص⁽⁹⁾.

ومتخذين السرعة الثابتة كـ «معياري»، بإمكاننا التمييز نميز بين شكلين من التحويرات: التسريع والتبطيء. يحدث أثر التسريع عن طريق تكريس قطع قصير من النص إلى فترة طويلة من القصة، متناسبة مع «المعياري» المؤسس لهذا النص. ويحدث أثر التبطيء عن طريق عكس الاجراء، أي تكريس قطع طويل عن النص إلى فترة قصيرة من القصة. والسرعة العليا هي «الحذف» (omission)، حيث الفضاء النصي الصفر يتوافق مع ديمومة قصة ما. في «توم دجونز» لهنري فيلدنغ، على سبيل المثال، يصر الراوي على منح القارئ فرصة توظيف الحصة المدهشة التي هو مولاها لملء هذه الأمكنة الزمنية الفارغة بتخميناته، وبعدئذ يترك له «فراغ اثنتا عشر سنة لاستخدام موهبته» (1964)،

(8) كما يقول جنيت، إن غونتر مولر قد اقترح هذا قبل ذلك سنة 1948.

(9) تجدر الإشارة في هذه النقطة إلى أن الصعوبات الاضافية تنشأ حين لاتناقش ديمومة — القصة ولا تستنتج.

ص 71. الطبعة الأصلية 1749، أورده بوث 1961،
ص. ص. (170 — 171). من جهة أخرى تتمظهر السرعة الدنيا
كـ «وقفة واصفة»، حيث يتوافق قطع من نص ما مع ديمومة القصة
الصفر⁽¹⁰⁾. يبدأ وصف سولاكو وخليجه في «نوسترومو» لكونراد
(1963، ص. ص. 17 — 21. الطبعة الأصلية 1904) وكذا
خليج شانداربور في «الطريق إلى الهند» لفورستر (1963،
ص. ص. 9 — 11 الطبعة الأصلية 1924) في بداية الروايتين بوقفة
واصفة. وبالإمكان إيجاد وقفة في منتصف القص في الوصف الطويل
قليلا ليونفيل لابي الذي يقاطع الفعل في «مدام بوفاري» بين رحيل
آل بوفاري نحو هذه القرية ووصولهم إليها (1965، ص. ص. 49 —
51، الطبعة الأصلية 1857).

نظريا، بين هذين القطبين ثمة عدد لامتناه من السرعات الممكنة،
أما في الممارسة، فإنها مختزلة على نحو اصطلاحي في التلخيص
والمشهد. في التلخيص تكون السرعة عبر «التكثيف» أو «الضغط»
النصي لفترة قصة ما داخل تعبير قصير من مقوماتها الأساسية، على
نحو نسبي. وبطبيعة الحال، يمكن أن تتنوع درجة التكثيف من تلخيص
إلى آخر، منتجة بذلك درجات متعددة للتسريع..

مثال لذلك نوره من مستهل «ضحك في الظلام» لنابوكوف :
يحكى أنه كان في برلين، ألمانيا، رجل يدعى ألبينوس. كان
ثريا، محترما، وسعيدا. وذات يوم هجر زوجته في سبيل
عشيقته الشابة. كان يحب ولم يكن محبوبا، فانتهد حياته
بنكبة.

(10) ليس كل وقفة وصفا، ولا كل وصف وقفة (جنيت 1972، ص. 128 —
129).

هذه هي كل القصة. لو لم تكن فائدة وممتعة من قولها، لتركناها هاهنا، ورغم أن ثمة أمكنة وافرة على شاهد القبر اللصيق به الطحلب، على النسخة المختصة من حياة الرجل أن تحتويها، فكل تفصيل مرحب به.

(1969، ص. 5، الطبعة الأصلية بالروسية 1933)

هكذا يتم تلخيص القصة برمتها في بضع جمل. أما التفاصيل الموعودة والمرحب بها في الواقع، فستكون هي التوسيع والتبطيء المشكلين حجم الرواية.

في المشهد، كما أشرنا سابقاً، تعتبر، اصطلاحاً، ديمومة القصة وديمومة النص متطابقتين. والشكل المشهدي الأكثر صرفاً هو الحوار، مثل التحوار المتوتر بين الزبائن غير المرتقيين وصاحب المطعم في «القتلة» لهيمنغواي :

«سأخذ قطعة خاصرة خنزير مشوية مع صلصة تفاح وهريس طماطم»، قال الرجل الأول.

«لم يتم إعدادها بعد».

«ولماذا وضعتموها في قائمة الطعام؟»

إنها في قائمة العشاء؛ قال جورج معللاً. بإمكانك تناولها في الساعة السادسة».

نظر جورج إلى الساعة المعلقة على الحائط خلف التُّضُد. «إنها الخامسة».

«والساعة تقول الخامسة وعشرين دقيقة»، قال الرجل الثاني.

«إنها عشرون دقيقة ثابتة».

(1965، ص 57، الطبعة الأصلية 1928)

متألفا على وجه الحصر من حوار وبعض «الارشادات المسرحية»، فالمقطع يشبه مشهدا من مسرحية أكثر من اعتباره قطعا من قص. وقد كتبت كذلك روايات بأكملها أو على وجه القصر على شكل حوار في فترات مختلفة من تاريخ الأدب، مثل «جاك القدري» (1796) و «ابن أخ رامو» (1821) لديدرو، وكذا عدد من أعمال المؤلف الاسباني بيو باروخا.

حسب بعض المنظرين (لوبوك 1921 ؛ كيزر 1948 ؛ لامبرت 1955، وإيوين 1978) بالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر صرف للمشهد، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا. ضمن هذه النظرة، ما يميز مشهدا ما هو كم الإخبار القصصي والمحو النسبي للراوي، مثل ما، على سبيل المثال، في نقل رد فعل القسم على نطق شارل بوفاري لاسمه :

وانفجر التلاميذ في ضجيج صاخب، حاد، مضطرد... فأخذوا يصيحون وينبحون، ويدقون الأرض بأقدامهم : «شار بوفاري.. شار بوفاري !» في نغمات مسترسلة، لم تكن تهدأ — بعد مشقة بالغة — إلا لتعود في ناحية من حجرة الدراسة، أو في صف بأكمله من صفوف التلاميذ تتخللها — هنا وهناك — ضحكة مكتومة، كصاروخ لم يخمد بعد تماما..^(*)

(1965، ص. 3 في الترجمة الانجليزية)

بعد فحصنا للدرجات الأربع الاساسية للديمومة على نحو منفصل، من الأفيد الآن رؤية مثل كيف يتعدل فيه نص مابين اثنتين من هذه الدرجات، في هذه الحالة المشهد والتلخيص. تمتد «التربية العاطفية»

(*) هذه الترجمة لمحمد منذور «مدام بوفاري» دار الاداب، بيروت، بدون تاريخ، (ص. 7) (المترجم).

لفلوير على طول 400 صفحة مغطية فترة إحدى عشرة سنة تقريبا. وهذا ينتهي بمشهد شغب الشارع الذي يحدث سنة 1851. في هذا المشهد يشاهد فريدريك / البطل، أحد أصدقائه السابقين يسقط صريع رصاصة يطلقها عليه رجل أمن لا يعدو أن يكون واحدا من أصدقائه السابقين كذلك. الاستشهاد التالي يبدأ على مقربة من الفصل 5 من الجزء III :

تقدم دوساردي خطوة إلى الأمام وشرع يصيح :
«تعيش الجمهورية !»

سقط على ظهره، بذراعيه ممدودتين.
انبعثت صرخة رعب من الحشد. التفت رجل أمن حوالبه،
وفريدريك بضم فاجر عرف سينيكل.

— VI —

سافر.

وصل إلى معرفة كآبة الباخرة، والبرد المستيقظ في الغيمة، وملل
المناظر الطبيعية والخرائب، ومرارة الصداقات المتقطعة.
عاد.

شارك في المجتمع، وربط علاقات غرامية. لكل ذاكرة الحاضر —
الدائم لذلك جعلتها تفهه، وفوق ذلك غاب عنف الرغبة وزهرة
الاحساس. كما تضاءلت طموحاته الفكرية. مرت السنون، وتحمل
خمول فكره وكسل قلبه.

عند نهاية مارس 1867، أثناء الغروب، بينما كان وحيدا يطالع،
دخلت امرأة.

«السيدة أرنوكس!»

«فريدريك!»

(1970، ص. ص. 411 — 412)

في أسطر قليلة جدا من النص يكتف فلووير ست عشرة سنة، قبل العودة إلى سرعة مشهد لسرد اللقاء المتجدد بين فريدريك والمرأة التي عشقها دوما.

مثل المثال السابق، كثيرا ما يتم تقييم التسريع والتبطي من لدن القارئ كمؤشرات ذات أهمية ومركزية. على نحو مألوف، فإن الأحداث أو الحوارات الأكثر أهمية تقدم بشكل مفصل (أي مبطأة). غير أن هذه الحالة لا تحدث دائما، أحيانا ينتج تأثير الصدمة أو السخرية عن طريق التلخيص الموجز للحدث المركزي الأشد أهمية وتقدم الأحداث التافهة مفصلة. في «الناس» لنشيوخوف، مثلا، يقدم الفعل الأوجي اليائس للخادمة المربية، فارغا، بإيجاز شديد في عبارة ثانوية :

ضاحكة وغامزة، ومحركة أناملها على الرقعة الخضراء، تسلفت فارغا خلسة إلى المهد، وانحنت على الطفل. وبعد أن خنقته، تمددت بسرعة على الأرض، وهي تضحك بنشوة لكونها ستنام، وبعد دقيقة كانت تغط في نوم عميق مثل ميت.

(1927، ص 147. الطبعة الأصلية بالروسية 1888)

أكثر تطرفا هي «مركيزة أو —» لكلايست (1962)، ص. ص. 39 — 90 الطبعة الأصلية بالألمانية، 1806) حيث تحذف في النص اللحظة الأكثر أوجا في القصة. وفيما تومئ الاشارات إلى احتمال أنه خلال هذه اللحظة تغتصب مركيزة «أو» المغمی عليها من قبل الكونت «ف» يتفادى النص بحجل التأكيد على

هذا الاستنتاج حتى النهاية. في هذا المثال، يتصادف الحذف في الديوممة بوضوح مع ثغرة الإخبار الدائمة (انظر الفصل 9).

التواتر

التواتر، مكون زمني لم تتم معالجته في نظرية القص قبل جنيت، هو العلاقة بين عدد المرات التي يظهر فيها الحدث في القصة وعدد المرات التي يروى فيها (أو يشار إليه) في النص. من ثم، يستلزم التواتر التكرار، وهذا الأخير هو تشييد ذهني يتحقق عبر إزالة الميزات الخاصة لكل واقعة مع الاحتفاظ فقط بتلك الميزات التي تشترك فيها الواقعة مع الوقائع المشابهة لها. على نحو صارم، ليس هناك حدث متكرر في كل الأحوال، كما أن ليس هناك تشابه بين القطع المتكررة في النص مادام تموقعها الجديد يضعها في سياق مختلف، مغيرا بالضرورة معناها. هذه المفارقة طورها بورخيس في «بيير مينار، مؤلف كيشوت» (1974، الطبعة الأصلية بالاسبانية 1956). في هذا النص، وعن طريق مقال نعي مزعوم حول كاتب فرنسي رمزي مغمور، نعلم أن المشروع الأدبي الأكثر طموحا لدى هذا الكاتب هو كتابة دون كيشوت مرة أخرى. قبل موته المبكر، ينجح مينار، فقط، في تأليف الفصلين 9، 38 وشذرة من الفصل 22، كلها متطابقة في كل كلمة مع أجزاء نص سيرفانتس (الطبعة الأصلية بالاسبانية 1605 — 1616) وكما يعلق الراوي التخيلي، ففس النص الصادر عن الفرنسي المنحط المحب للجمال وعن الجندي الاسباني المتقاعد يتخذ معنى مختلفا تماما، يحرز الأول على ثرائه من التغييرات المتداخلة في التاريخ والثقافة.

باعتبارها تشييدات ذهنية، فعلاقات — التكرارات بين أحداث القصة وسردها في النص يمكن أن تتخذ الأشكال التالية :

فردى، أي قول مرة واحدة ما «حدث» مرة واحدة. ولأن هذا الشكل القصصي أكثر شيوعا، فلا داعي لذكر بعض الأمثلة. ثمة ظاهرة أقل شيوعا تنتمي إلى نفس المقولة، هي ظاهرة روي «n» مرات ما «حدث» n مرات، مادام هنا كل إشارة كذلك في النص تتوافق مع كل واقعة في القصة. هذا التطبيق تمت محاكاته على نحو ساخر في «دون كيشوت» عندما يروي سانشو قصة صياد وجب عليه نقل ثلاث مائة من الماعز في مركب لا يتسع إلا لشخص واحد. وبينما سانشو يروي، يبدو جليا أنه يروم قول الحدث ثلاث مائة مرة، متوافقة مع عدد الرحلات التي يقوم بها الصياد. ويعلق دون كيشوت بنفاد صبر : «اعتبر أنها نقلت كلها... ودعك من الذهاب والاياب هكذا، وإلا فسوف لن تنقلها ولو مرت سنة» (1950، ص. 154). لكن، من وجهة نظر نظريا قد يرى إلى التطبيق الأكثر شيوعا لقول مرة واحدة ما «حدث» مرة واحدة كمثال خاص للنوع الأكثر شمولاً «قول n مرات ما «حدث» n مرات، (و «n» هنا تساوي 1).

تكراري، أي قول n مرات ما «حدث» مرة واحدة. هكذا، فالحدث الرئيسي في «أبسلوم، أبسلوم!» لفوكنر (1936)، قتل تشارلز بون من طرف هنري ساتين، يروى إحدى وثلاثين مرة، أحيانا مع وأحيانا بدون تغيير الراوي، المبرر، الديمومة، الفاعل القصصي، الأسلوب، الخ (ريمون كنعان، يصدر قريبا).

تكرار متشابه، أي قول مرة واحدة ما «حدث» n مرات. مثل ما في مستهل «قوس قزح» لـ لورانس، حيث تُروى مرة واحدة الأنشطة المتكررة دوريا لرجال برانغوين عبر السنين :

كانت حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة هكذا، جس نبض وجسد التربة التي انفتحت على أخذودهم من أجل الحبوب، وأمسست ناعمة وطرية بعد حرثهم لها، والتصقت بأقدامهم

بثقل يجذب كما الرغبة، متمددة ومستجيبة لَمَّا تجز
المحاصيل... كانوا يأخذون ضرع البقرات، فتهبهم الحليب،
وتنبض في أيدي الرجال، نبض دم حلمات البقر يخفق في
أيدي الرجال.

(1973، ص. 8. الطبعة الأصلية 1915)

المقطع تكراري متشابه بوضوح، مصورا الطبيعة الدورية للعلاقات
بين الأجيال وداخل كل جيل قبل حدوثها⁽¹¹⁾.

كثيرا ما تم الاقتراح بأن إحدى مميزات القصص المعاصر هو المعالجة
الدمرة للمقولات المتنوعة للزمن. ولكن بدا لي ذلك صحيحا بالأساس
(مع بعض الاستثناءات بطبيعة الحال) إلا أنه لا يبطل المقولات المقدمة
هنا. على العكس، يمكن للتدمير أن يتصور فقط في مقابل أرضية (أو
حتى ضمنها) شبكة من الامكانيات، مثل ما حاول هذا الفصل
تسليطه. علاوة على ذلك، وفيما قد تخضع معالجة الزمن لتغيرات
مختلفة، فإنه في حد ذاته ضروري لكل من القصة والنص. وبإزالتها
(إذا أمكن ذلك) يزول كل تخيل قصصي.

(11) يقول جنيت في إحالة (1972، ص. 146) إن نمذجته عن التواترات
لا تتضمن إمكانية أخرى كي يورد عنها مثلا، أعني تلك التي تروي عدة مرات
حدثا «يقع» عدة مرات لكن بعدد مختلف. ثمة مثل مهم لهذا النوع في «وردة
لايملي» لفوكنر (1930). حيث يروي النص أربع مرات حدثا يقال إنه وقع
كل يوم سبت خلال فترة تمتد حوالي سنتين — الرحلة الجريفة لايملي وبارون
على متن عربة بعجلات خضراء. نهتني إلى ذلك إحدى طالباتي، أنا إيششتاين.

النص : التمييز

كأحد التشييدات ضمن القصة المجردة، يمكن وصف الشخصية فيما يتعلق بشبكة سمات الشخصية لكن هذه السمات قد تظهر أو لاتظهر في النص. من ثم كيف يتوصل إلى التشييد ؟ يتم ذلك عن طريق جمع مؤشرات الشخصية المتنوعة والمتوزعة على طول سلسلة النص المتصلة، واستنتاج السمات منها حين يكون ذلك ضروريا. إنها المؤشرات التي أروم تعريفها تحت عنوان «التمييز».

مبدئيا، يصلح كل عنصر في النص كمؤشر للشخصية، وعلى نحو عكسي، قد تفيد مؤشرات الشخصية في اغراض أخرى كذلك (انظر النقطة حول عكسية التراتيبات في الفصل 3، ص 55). بيد أن هناك عناصر أكثر ترددا، رغم أنها غير مشتركة مع التمييز على وجه الحصر، وهذه هي موضوع هذا الفصل. فعند دراسة نصوص معينة، يتوجب تذكر أن نفس وسائل التمييز قد تستخدم على نحو مختلف من طرف مؤلفين مختلفين أو في آثار مختلفة من قبل نفس المؤلف وأحيانا حتى داخل نفس الأثر. لكن ضمن هذا التقديم العام للتمييز، فمثل هذه الاختلافات لايمكن استكناها.

ثمة نوعان أساسيان من المؤشرات النصية للشخصية : التعريف المباشر والتقديم غير المباشر (إيوين 1971 ؛ 1980، ص. ص. 8 — 47)⁽¹⁾. النوع الأولي يُسمَّى السمة عن طريق

(1) (أ) القسط الكبير مما قيل في هذا الفصل مستمد من إيوين 1971، 1980 مع تعديلات وأمثلة من عندي. (ب) يتحدث إيوين عن الوسائل المباشرة وغير المباشرة للتمييز، إلا أنني غيرت عنوانه، مادامت مقولته الأولى لاتتضمن سوى وسيلة واحدة.

الصفة (مثلا «كان طيبا»)، إسم مجرد («لم تعرف طيبوبته حدودا»)، أو نوع إسم، بأية حال («كانت عاهرة بحق وحقيقة») أو قسم من أقسام الكلام («لم يكن يحب سوى نفسه»). النوع الثاني، من جهة أخرى، يعرضها ويضرب لها مثلا بطرق متنوعة، تاركا للقارئ مهمة استنتاج الميزة التي تتضمنها.

التعريف المباشر

«كانت إيزابيل آرتشر فتاة ذات نظريات عدة ؛ كان خيالها نشطا بشكل لافت للنظر... وأفكارها كتلة متشابكة من المخططات الغامضة...» — هكذا يعرف راوي هنري جيمس بعض السمات المرموقة لبطلته «صورة امرأة» (1966، ص. 49، الطبعة الأصلية 1881). لكن هذه التسمية لميزات الشخصية لا يمكن أخذها بعين الاعتبار كتمييز مباشر إلا إذا صدرت عن الصوت الموثوق به في النص (حول «الأصوات انظر الفصل 7. ص. ص. 129 — 133 — 140 — 152). فلو تم نطق نفس الكلمات من قبل أهل ألباني، مثلا، لكانت ستحمل ثقلا أخف، على نحو محتمل، وتفيد، بشكل عكسي، لتمييزها و (إن لم يكن أكثر) لآرتشر. إذا نعتت شخص ضيقة التفكير وغبية أحداً ك : شخص ذي نظريات عدة، أو اعتبرت خيال الشخصية «نشطا بشكل لافت النظر»، فإن أراءهم لاحتاج إلى اعتبارها كتأكيد موثوق به لهذه الميزات في شخصية قد لا تكون استثنائيتها سوى في أعين المشاهدين الاغبياء. هكذا، قد يكون تعليق المشاهدين إشارة على ارتيابهم من النظريات أو على قلة خيالهم عوض تعريف جدير بالثقة للشخصية التي يناقشونها. غير أنه حين تنسب هذه الميزات الاستثنائية إلى إيزابيل من لدن راو موثوق به، فالقارئ مدعو ضمنيا إلى قبول هذه التعريفات⁽²⁾.

(2) لكن هناك نصوصا ك «أبناء وعشاق» (1913) للورانس تتضارب فيها مثل هذه التعريفات مع التمييزات غير المباشرة، وتكون النتيجة محيرة.

يقترّب التعريف من التعميم والمفهومية، إنه كذلك تصرّحي وواقع — زمني. وبالتالي، فهيمته في نص ماتكون عرضة لإحداث انطباع عقلاّني موثوق به، وسكوني. قد يكون هذا الانطباع مخففا إذا بدت التعريفات نابعة، تدريجيا، من التفاصيل المجسدة، أو ممثلة مباشرة عن طريق سلوك معين، أو مقدمة بمعية وسائل أخرى للتمييز. وعندما تم فهم شخصية الانسان في الفترات الأولى من نشأة الرواية، وتقريبا حتى نهاية القرن الماضي، كتوليف لمجموعة من الميزات التي يشترك فيها كثير من الناس، اعتبرت طبيعة التعريف التصنيفية والتعميمية كمصدر قوة. ولم يعكر وضوحها وأثرها «المغلق» صفو أدب تتمظهر فيه هذه الميزات نفسها بطرق عديدة ومختلفة كذلك. فالخصيصة الاقتصادية للتعريف وقدرتها على توجيه استجابة القارئ قد عهد بها إلى الروائيين التقليديين. من جهة أخرى، بات من الصعب تحمل التعميم والتصنيف في فترة النزعة الفردية والنسبية مثل فترتنا هذه، كما تم فهم اقتصاد التعريف كشيء محتزل. علاوة على ذلك، وفي يومنا هذا، حين يفضل الشيء المثير للعواطف والمتعذر الفصل فيه على النهاية وعلى ما هو محسوم فيه، وحين يوضح التوكيد في الدور الحيوي للقارئ، فإن الوضوح والقدرة الموجهة للتعريف المباشر كثيرا ما تعتبر سلبيات بدل إيجابيات. كنتيجة، فالتعريف نادرا ما يستعمل بتواتر في تخييل القرن العشرين، ويميل التقديم غير المباشر إلى الهيمنة (إيوين 1980، ص.ص. 51 — 52).

التقديم غير المباشر

يكون أي تقديم غير مباشر حين يعرض سمة أو يضرب لها مثلا بطرائق متنوعة، بدل التلميح لها. البعض من هذه الطرائق سيتم التطرق إليه في المناقشة التالية.

الفعل

قد تضمن سمة عن طريق أفعال مرة واحدة (أو لا — روتين)، مثل قتل ميرسو للعربي في «الغريب» لكامو (1942)، وعن طريق أفعال اعتيادية، مثل كنس إيفلين للمنزل في قصة جويس القصيرة التي تحمل نفس الاسم (1914). تميل أفعال مرة واحدة إلى استحضار المظهر الدينامي للشخصية. في المقابل، تميل الافعال الاعتيادية إلى إظهار المظهر الثابت والسكوني للشخصية، وكثيرا ما تكون لها آثار هزلية أو ساخرة، مثلاً حين تتعلق شخصية ما بعادات قديمة في وضع يجعلها غير ملائمة. وعلى الرغم من أن فعل المرة الواحدة لا يعكس الميزات الثابتة، فلا يمكن اعتباره خصيصة شخصية غير ذات أهمية. بالعكس، فآثره الدرامي كثيراً ما يوحي بأن السمات التي يُظهرها تكون أشد حسماً، على نحو كيفي، من العادات المتعددة التي تمثل روتين الشخصية.

يمكن لكل من أفعال المرة الواحدة والاعتيادية أن تنتمي إلى واحدة من المقولات التالية : فعل مهمة (أي شيء منجز من قبل الشخصية)، فعل حذف (شيء على الشخصية القيام به ولم تنجزه)، والفعل المتأمل (مخطط غير محقق أو هدف الشخصية)⁽³⁾. فكل من قتل ميرسو (مرة واحدة) وكنس إيفلين (الاعتيادي) فعل مهمة. بالنسبة لفعل مهمة حاسم وذو مرة واحدة، بإمكاننا العودة إلى رواية أخرى لكامو، «السقوط» (1956)، حيث الذي يظل هوساً لدى الشخصية الراوية وهماً مركزياً في النص، هو فشل الراوي في القفز إلى النهر وإنقاذ

(3) هذه نسخة معدلة للتصنيف المقترح من قبل هـ. م. دليسكي في محاضراته سنة 1965. يدرج دليسكي «فعل الذهن» و«الفعل الرمزي» في نفس التصنيف إلا أن هذين الفعلين يبدوان لي مؤسسين على مقاييس مختلفة ومن ثم سيتم دمجهما في أجزاء أخرى من هذا الفصل.

المرأة الغارقة. أما الحذف الاعتيادي فهو ما يميز «إيملي» لفوكنر (1930) مثلاً حين تهمل بشكل متكرر تسديد ضرائب البلدية. في حين يمكن للفعل المتأمل أن يُضمَّن سمةً كامنةً ويقترح الأسباب الممكنة لتركها كامنة، كما في المقطع التالي من «ربيع الأنسة جين برودي» لسبارك :

ثم فجأة أرادت ساندي أن تكون لطيفة مع ماري
ماكغريغور، وفكرت في إمكانيات الشعور بالود من غير أن
تكون ودودة مع ماري عوض توبيخها... لكن معنى
حضور الأنسة برودي، مجرد ماكان على طرف لسان
ساندي في أن تكون ودودة معها، كبح الدافع.
(1971، ص. 30، الطبعة الأصلية 1961)

إن كون ميل ساندي في أن تكون ودودة وكذا محوه تحت تأثير
الآنسة برودي بالامكان أن يلمح في هذا الفعل المتأمل. وقد تضمن
سلبية الشخصية أو ارتدادها عن الفعل حين تصبح الأفعال المتأملة
اعتيادية. النموذج الأصلي المشهور لهذه الخصيصة هو هاملت، بطبيعة
الحال.

يمكن لكل هذه الأصناف من الأفعال (لكن لا تحتاج إلى) أن يمنح
لها بعد رمزي. ويكفي مثالين لذلك. قبل المشهد الغرامي الأول،
بقليل، بين كوني تشاترلي وحارس منطقة الصيد في رواية لوارنس،
يصادف الاثنان دجاجة وفرخا :

«هناك!» قال، مقدماً يده إليها. أخذت الشيء الأسمر الصغير
بين يديها، وهناك وقف... لكنه رفع رأسه الصغير الجميل
والأنيق الشكل بجسارة، نظر حواليه بحدة، وأطلق «صوتا»
ضعيفاً. «كم هو فاتن! كم هو جسور!» قالت بهدوء.

وجاثما بجانبها، كان الحارس يشاهد بحيا فرح الفرخ الصغير الجري في يديها. وفجأة لمح دمعة تسقط على رسغها. ... كانت تجثو وتدفع بيديها ببطء إلى الأمام بتستر لتمكين الفرخ من الركض إلى عش الأم مرة أخرى... عاد بسرعة نحوها وجثم بالقرب منها ثانية، أخذ صغير الدجاج من بين يديها، لأنها كانت خائفة من الدجاجة، وأعادها إلى الخم... أشاحت بوجهها وأذرفت دمعا بشكل متستر.

(1961، ص. 119، الطبعة الأصلية 1928)

إن سلوك كوني في هذا المشهد يرمز إلى ثوقها للدفع، الحب والأمومة، وكل ذلك مغيب في زواجها.

وفيما تكمن رمزية مقطع لورانس في أفعال مهمة (احتضانها للفرخ بين يديها، بلطف، إرشاده نحو عش الأم، وبكائها)، يقدم المثال الثاني، المقتطف مرة أخرى من «صورة امرأة» مغزى رمزيا عن فعل الحذف :

كانت [إيزابيل] تعلم أن هذا الباب الصامت غير المتحرك ينفتح على الشارع ؛ ولو لم تكن الأضواء الجانبية مليئة بورق أخضر، لكان بالامكان أن تطل على الرواق البني الصغير وعلى رصيف القرميد البالي. لكن لم تكن لها رغبة في ذلك، لأن ذلك كان سيتعارض مع نظريتها في أن هناك مكانا غريبا وغير مرئي في الجانب الآخر — مكان صار في خيال الطفل، حسب طباعه المختلفة، منطقة البهجة أو الرعب... لم تفتح قط الباب المغلق ولم تزل الورق الأخضر (المتجدد من قبل أياد أخرى) عن الأضواء الجانبية، ولم تقنع نفسها قط أن الشارع السوقي يمتد بعيدا.

(1966، ص 25)

إن عدم فتح إيزابيل للباب المنفتح على الشارع يوحي بشكل رمزي بتفضيلها للوهم على الواقع، خاصية ستلعب بعد ذلك دورا مهما في سيرتها الدرامية.

الكلام

يمكن أن يكون كلام الشخصية، سواء في الحديث أو كمنشأ صامت في الذهن، مؤشرا لسمة أو لسمات في كل من المضمون والشكل. ففي «الصخب والعنف» لفوكتنر، يوحي مضمون عبارة لجيسن بالدرجة الأولى بتعصبه الأعمى :

«أعطي لكل ذي حق حقه، بصرف النظر عن الدين أو أي شيء آخر. لا أكن حقدا لليهود»، أقول، «إنه مجرد الجنس».

(1965، ص. 173 الطبعة الأصلية 1931)

يبد أن التناقض الباطني (يعطي للناس حقهم بصرف النظر عن الدين، ومع ذلك يكره اليهود ك جنس) والكليشيه الأساسي («بعض أفضل أصدقائي يهود» أو بعض التعابير المشابهة) كلها تلعب بوضوح دورا في التأكيد على خصيصته المنطقية الخادعة لـ (أو أي) تعصبه الأعمى. على نحو مشابه، فما تقوله شخصية ما عن الآخر قد لا يميز المتكلم عنه وحسب بل أيضا الذي يتكلم (انظر ص. 92).

يشكل الشكل أو أسلوب الكلام وسيلة شائعة للتمييز في نصوص تكون فيها لغة الشخص مفردة ومميزة عن لغة الراوي. قد يكون الأسلوب مؤشرا للأصل، المكان المسكون، الطبقة الاجتماعية أو المهنة. بالتالي، فالسمات المقولية لليهودي والخاصة تستحضر عن طريق التعابير العبرية والييدية وكذا عن طريق قلب العبارات في المقطع التالي من «هيزوك» ليلو :

«وأمسكت ب...»

«بماذا ؟ Beged»

«Beged . معطف»

«كساء، أيها اللص الصغير Mamzer ! آسف على أيك.
ياله من وريث خلفه ! Kaddish ما ! ستأكل لحم وفخذ
خنزير، قبل أن يوارى جثثانه تحت التراب. وأنت، يا
هيرزوك بتلك العينين البهيموثيتين — V'yaizov bigodo
«b'yodo ؟»

«وتركه في يديها».

«ترك ماذا ؟»

«Bigdo الكساء».

«انتبه إلى خطوتك، يا هيرزوك، يا موسى. أملك تعتقد أنك
ستصبح Lamden عظيما — حاخاما. لكنك تعلم، كم أنت
كسول. فقلوب الأمهات تتقطع mamezeirim مثلك !
إيه ! هل أعرفك، يا هيرزوك ؟ بكل ما في الكلمة من
معنى».

(1973، ص. ص. 137 — 138. الطبعة الأصلية. 1964)

بالإضافة إلى المظهر الاجتماعي للشخصية الذي يظهره الأسلوب،
يمكن للخصائص الفردية أن يوحى بها عن طريقه. فوفرة العبارات
الثانوية والنوعية المتكررة في لغة عدد من شخوص هنري جيمس
تتضمن نزعتها اتباع كل الفوارق الدقيقة لفكرة أو إحساس ما وكذا
ميزة اجتهاد الفكر.

ينقل الفعل والكلام سمات الشخصية عبر علاقة سبب ونتيجة
يفك مغاليقها القارئ «عن طريق العكس» : X قتل التنين، «إذن»
فهو شجاع ؛ Y تستعمل عدة كلمات أجنبية، «إذن» فهي

«تفاجئة»⁽⁴⁾. لكن يمكن للتقديم غير المباشر الاعتماد، كذلك، على علاقة التجاور المكاني. وهذا هو حال المظهر الخارجي والمحيط. هنا كذلك قد يقدم ترابط نسبي، رغم كونه غير مهيمن، مثلما حين لا يوحى لباس رث أو غرفة وسخة بالحالة المتأزمة للشخصية وحسب، بل يكون نتاجا لها أيضا. وثمة اختلاف آخر بين نوعين من المؤشرات غير المباشرة. الأول يتموقع في الزمن فيما يكون الثاني لا زمنيا. مرة أخرى فالاختلاف غير مطلق، ذلك لأن وصف المظهر الخارجي أو محيط شخصية ما قد يحيل على نقطة معينة في الزمن («في ذلك اليوم ارتدت معطفًا أسود» الخ). إلا أن هذا الوصف المحدد — زمنيا — يميل إلى تمييز المزاج المؤقت بدل «الميزة الشخصية الدائمة أو الثابتة نسبيا» التي هي تعريف لسمة الشخصية عند تشاتمان (1978، ص. 127).

المظهر الخارجي

منذ بداية التخيل القصصي، استعمل المظهر الخارجي لتضمين سمات الشخصية، ولم يكن ذلك إلا تحت تأثيرات لافاتير، الفيلسوف وعالم اللاهوت السويسري (1714 — 1801)، الذي اكتسبت نظريته حول الفيزيولوجيا ذات الارتباط بين الاثنين مكانة علمية — زائفة. لقد علل لافاتير صورا لعدد من الوجوه التاريخية وكذا لبعض ممن عاصروه (انظر المثال عند إيوين 1980، ص. 57 — 58) بهدف توضيح الضرورة والارتباط المباشر بين المقومات الوجهية وسمات الشخصية. والحق أن أثر نظريته على بلزاك وعلى مؤلفين من القرن التاسع عشر كان كبيرا. لكن وحتى في قرننا هذا، لما أصبحت

(4) السببية «الطبيعية» هي : X شجاع، وبالتالي قتل التنين ؛ Y تفاجئة ولهذا تستعمل عدة كلمات أجنبية.

الصلاحية العلمية لنظرية لافاتير غير مترابطة تماما، فالارتباط الكنائي بين المظهر الخارجي وسمات الشخصية مازال مصدرا قويا في يد العديد من الكتاب. وعلى المرء أن يميز في هذا الارتباط بين تلك المقومات الخارجية المدركة كخارجة عن سيطرة الشخصية، مثل الطول، لون العينين، طول الأنف (المقومات التي بدأت تنحسر بفعل تقدم مواد التجميل المعاصرة والجراحة التجميلية) وتلك التي، على الأقل، تتوقف على الشخصية، كالحلاقة والملابس. وفيما يتم تمييز الأولى عبر التجاور وحده، فللثانية معاني سببية إضافية (إيوين 1980، ص. 59). وبالإمكان إيجاد كلا الصنفين في وصف لورا بطللة «يوداس المزهرة»، لبورتر، فكل منهما يوحى بقمعها للدفع، الجنس والاستمتاع المرح (joie de vivre) :

(أ) ... بيد أن الكل كان يطري عينيها الرماديتين، وشفتها السفلى المستديرة الناعمة والواعدة بالمرح، لكنها دائما قائمة، دائما مطبقة بشكل شديد تقريبا.

(1971، ص. 389. الطبعة الأصلية 1930)

(ب) ... هذه الفتاة البسيطة التي تحجب نهديها المستديرين والمكتنزين بلباس داكن، وتخفي ساقها الطويلتين، الجميلتين والنفيستين تحت تنورة ثقيلة. تقريبا نحيفة ماعدا الاكتناز المبهم لصدرها مثل أم مرضعة...

(1971، ص. 392)

أحيانا يتحدث الوصف الخارجي مباشرة، وأحيانا أخرى تفسر علاقته بسمة ما من قبل الراوي مثلا : «كانت عيناه الدعجاوان تعبران عن الحزن والبراءة» ؛ وقد توظف مثل هذه الشروح كتعريفات مقنعة بدل توظيفها كتمييز مباشر. يحدث هذا حين تنسب ميزة غير مرئية — مثل ما في كناية ما — إلى أحد أعضاء جسم الشخصية عوض

الشخصية ككل (مثل «عينها الحاذقتان، بدل «إنها حاذقة»). يسمى إيوين هذه بـ «الوصاف الظاهرية» مميزا إياها عن صنف المظهر الخارجي الذي تمت مناقشته حتى الآن (1980، ص. 61).

المحيط

كثيرا ما تستعمل، كذلك، الأشياء الفيزيقية المحيطة بالشخصية (الغرفة، المنزل، الشارع، المدينة) وكذا محيطها البشري (العائلة، الطبقة الاجتماعية) ككنايات إيحائية للسمة. وكما مع المظهر الخارجي، تكون علاقة التجاور ملحقة بعلاقة السببية على نحو متواتر. إن منزل الانسة إيميلي الخرب بغيره الكثيف ورائحته الشديدة الرطوبة، كناية على تفسخها، لكن تعفن المنزل هو كذلك نتيجة لفقرها ومزاجها الرهيب. مرة أخرى، وكما مع المظهر الخارجي، فالارتباط العلمي الزائف بين الشخصية والمحيط قد تم تأسيسه في القرن التاسع عشر. فعقيدة الجنس، واللحظة والوسط، التي قام بتفسيرها المؤرخ والفيلسوف الفرنسي هيوليت تاين (1828 — 1893) كان لها تأثير حاسم على استغلال المحيط في كتابة بلزاك وزولا. بيد أن السببية التي افترضتها هذه العقيدة كانت أقل وضوحا في استعمال بلزاك للكنايات المكانية من استعمال زولا لها. هذا الاختلاف قد يوضح عن طريق مقارنة مفصلة (لا يتسع المجال لها) لوصف منزل فوكيه وسكانه في «الأب غوريو» (1834) ووصف المنجم وعماله في «جيرمينال» (1885).

الدعم عن طريق التناظر

أعالج التناظر كدعم للتمييز عوض معالجته كنوع مستقل لمؤشر — الشخصية (مساويا للتعريف المباشر والتقديم غير المباشر) ذلك أن

قدرته التمييزية تعتمد على التأسيس الرئيسي، بوسيلة أخرى، للسمات التي يتأسس عليها. على سبيل المثال، ليس محتملا أن يدل مشهد طبيعي كتيب وموحش ضمنا على تشاؤم شخصية ما. غير أنه قد يعزز إدراك القارئ لهذه السمة مجرد ما أن تظهر من خلال فعل الشخصية، كلامها أو مظهرها الخارجي⁽⁵⁾.

يجب أن يذهب التفاضل بين التناظر والمؤشرات الأخرى للشخصية إلى مدى أبعد شيئا ما. مادامت العناصر الاستعارية (المتناظرة) تميل إلى أن تكون ضمنية في الكنايات، قد يتساءل المرء حول الفرق بين ما أدعوه تناظر ومثل هذه الأشكال من التقديمات الكنائية كالمظهر الخارجي والمحيط. أليست صرامة لباس لورا موازية لصرامة شخصيتها، وأليس تعفن منزل الأنسة إيميلي متناظر مع انحطاطها؟ الإجابة على السؤالين تكون إيجابا، ومع ذلك فهذه التقديمات غير المباشرة مؤسسة بالأساس على التجاور، علاقة إما غائبة عن أو تقريبا أقل هيمنة في التناظرات المناقشة هنا. علاوة على ذلك، وكما رأينا أنفا، كثيرا ما يستلزم التقديم المباشر سببية — قصة ضمنية. من جهة أخرى، يكون التناظر رابطا نصيا بشكل صرف، مستقلا عن سببية — القصة. وكما يشير إيوين، كثير من التناظرات، وليست كلها برغم ذلك، قد تم تطويرها عن طريق التصورات المستلزمة للسببية، مثل الاعتقاد القروسطي بعلاقات السبب والنتيجة بين الاضطراب في عالم الانسان والجيشان في الطبيعة، لكنهما مدركان كتمييز متناظر على نحو صرف، عندما يكف الارتباط كارتباط فعال

(5) سنة 1971 عالج إيوين «التمييز المتناظر» بتكافؤ مع التمييز المباشر وغير المباشر. ويبدو أنه تردد سنة 1980 بين إخضاعه إلى التقديم غير المباشر (ص. 49) ومعالجته كنوع مستقل للتمييز (ص. ص. 99 — 100) رغم تحليل رؤيا داخل مكانته المختلفة (ص. ص. 100 — 101) المتأسس عليها تعليقي أعلاه.

بشكل قوي (1980، ص 100). وبرغم أن التحول من نوع إلى آخر لا مفاجيء ولاصرف، وأن كلا منهما قد يتداخل في التطبيق في كثير من الأحوال، فالفرق لايزال صالحا من حيث المبدأ.

ستتم أدناه مناقشة ثلاث طرائق بواسطتها يمكن للتناظر أن يدعم التمييز، بدون افتراض شمولية هذه الطرائق، إذ في كل منها قد يؤكد التناظر إما على التشابه أو التقابل بين العنصرين المقارنين، كما قد يكون التناظر إما مقررا على نحو صريح أو على نحو ضمني، يُترك للقارئ استكناهاه.

الأسماء المتناظرة

حسب هامون (1977، ص. ص. 147 — 150، الطبعة الأصلية 1970)، يمكن للأسماء أن توازي سمات — الشخصية في أربع طرائق: (أ) مرئي، كحين يتوحد الحرف O مع شخصية دائرية وثخينة والحرف I مع شخصية طويلة ونخيفة (الأمثلة التي يرددها). (ب) سمعي، سواء في المحاكيات الطبيعية كطينين الذباب في إسم «Beelzebub» أو بشكل أقل محاكيا للطبيعة على نحو صارم «Akaky Akakievitch» المستهزء به بفعل إسمه، في «المعطف» لغوغول (1842). (ج) نطقي، مثل «Gradgvind» في «أوقات صعبة» لديكنز (1854)، الموحية بالميزة الأساسية للشخصية عن طريق نطق الاسم وحركات العضلات التي يفرضها. (د) مرفولوجي، كحضور «bœuf» (الثور) في «Bov / ary» أو تضام «hors + La» (خارجا + هناك) في اسم المخلوق العجيب في «Le Horla» لموباسون (1887).

على نحو قريب من مقولة هامون الأخيرة، رغم عدم تأسيسها على المرفولوجي، فالضم هو الارتباط الدلالي الذي يناقشه إيوين (1980)،

ص. ص. 102 — 107). في الاليغوريات، يمثل الاسم السمة أو السمات الأساسية للشخصية : Pride, Lust, Goodman. والاستعمال المعاصر القيم لذلك يوجد في «المرتفعات المتثاقبة» لزينوفيف (1976) التي تنتقد المجتمع السوفييتي في فيض من السكيتشات الموجزة لبعض القوالب ك : «Careersit», «Slanderer», «Chatterer», Sociologist» وفي الأخير Truth-teller. وحتى في بعض النصوص غير الاليغورية كثيرا ما يلجأ إلى الموازنة الدلالية بين الاسم والسمة. فالسيدة Newsome في «السفراء» لهنري جيمس (1903) تمثل العالم الجديد، والخائن في «ربيع الآنسة جين برودي» لستبارك يدعى «ساندي الغريب، والحسنة الطامسة لذاتها والتي منحت اسمها لاحدى قصص موباسون تسمى «الآنسة لؤلؤة» (1886). وأحيانا يتأسس التناظر على الإحالات الأدبية أو الميثولوجية، كما في اسم «ديدالوس» في «صورة الفنان في شبابه» لجويس (1916)، ناقلا بذلك إلى ستيفن الابداع، الكبرياء، وإمكانية الانهيار المتوحدة مع سلفه الاغريقي.

بدل التأكيد على التشابه، يمكن للتناظر أن يركز كذلك على التقابل بين الاسم والسمة، خالفا على نحو متواتر أثرا ساخرا. وهذا هو الحال في «تحت أعين الغرب» لكونراد (1911) حين يبدو رازوموف، ابن العقل (من جذور بولونية) وقد استحكمت فيه الحوافز اللاواعية بشكل متردد أكثر من العقل، إذ كثيرا ما، وعلى نحو دقيق، يتباهى بعقلانيته. ومثل التشابهات، يمكن للتقابلات أن تحددها الإحالات الأدبية. حين يمنح اسم لوارا، المقتبس من سونيتات بيترايك المجددة، إلى ثورية جاحدة للحب في «يوداس المزهري» لبورتر، تكون النتيجة اصطداما يحدد بشكل ساخر الانحراف المتضمن في تقشف لورا. ورغم أن «يوليسيس»، ليس هو اسم الشخصية الرئيسية في رواية جويس (1922)، فوضعية عنوانه توحى بتناظر مع

الشخصية الرئيسية، بلوم، والتقابل بين البطل الميثولوجي ونظيره
العصري يسلط الأضواء الساحرة على الأخير.

المشهد الطبيعي المتناظر

كما رأينا في (ص. ص. 101 — 102)، فالمحيط الاجتماعي أو
الفيزيقي للشخصية لا يقدم فقط سمة أو سمات بشكل غير مباشر، بل
ولكونه من صنع الانسان، فقد يسببها أو يتسبب عن طريقها (X)
يعيش في ضاحية فقيرة جدا، إذن فهو غير مبتهج أو — العكس
بالعكس — Y متأزمة، إذن، فمنزلها مهمل. من جهة أخرى، يكون
المشهد الطبيعي مستقلا عن الانسان، ولذلك، لا يضمر علاقة
سببية — القصة مع الشخص، على نحو طبيعي، (رغم أن اختيار
الشخصية للعيش أو قضاء وقتها في موقع طبيعي ما قد لا يوحى بعلاقة
سبب — نتيجة). إن التناظر المؤسس من قبل النص بين مشهد طبيعي
ما وسمة — شخصية ما قد يكون إما «قويا» (مؤسسا على التشابه)
وإما «معكوسا» (مؤكدًا على التقابل). في «مرتفعات وودرينغ» لبرونتي
(1847) يتشابه هيثكليف وكاثارين مع البرية التي يعيشان فيها، مثلما
توازي طبيعة عائلة لينتون الهدوء المخيم على المكان الذي تقطن به.
من جهة أخرى، في قصيدة بياليك القصصية «في مدينة الذبح»
(1904) تتأكد وحشية القتلة (وكذا لامبالاة الإله) بواسطة التقابل
الحاد بين المذبحة المنظمة والمشهد الطبيعي التافه الذي تحدث فهي :
«سطعت الشمس، ازهرت الأفاقيا، وإربا إربا قطع الذباحون»
(الترجمة الحرفية لشلوميت). وقد لا يكون المشهد الطبيعي متناظرا مع
سمة الشخصية فحسب، بل أيضا مع المزاج العابر، غير أنه في هذه
المقدرة لا يكون مؤثر شخصية على نحو صارم.

التناظر بين الشخص

حين تُقدّم شخصيتان في نفس الظروف، فالتشابه أو التقابل بين

سلوكهما يؤكد السمات المميزة لكليهما. ثمة، بالتالي، تمييز تبادلي في السلوك المتقابل للاخوة كارامازوف الأربعة عند دوستيفسكي حيال أيهم (1880). على نحو مشابه، تحدد قسوة الأخوات في «الملك لير» لشيكسبير، طيبة كورديليا (والعكس بالعكس) بواسطة التقابل، غير أن الناظر يوحى كذلك بالتشابه بين الأختين الطيبة والشريرة : فيما تقنع ريغان وغونيريل الحقيقة عن طريق المبالغة في المشهد الافتتاحي، تقنعها كورديليا عن طريق تصريح أضعف.

بعد رسمنا للمقولات العامة الأساسية المتصلة بالتمييز، يبدو من الملائم أن نخلص إلى بعض الاعتبارات المستقاة من دراسة نصوص فردية. أولاً، إن مؤشر الشخصية لايوحي دائماً بسمة مع استثناء أخريات، فقد يتضمن الحضور المشترك لعدة سمات، أو يسبب للقارئ تردداً بين عنوانات متنوعة. ثانياً، إن عد أدوات التمييز المستعملة في النصوص الفردية غير كاف. وقد يكون بناءً، على سبيل المثال بهدف تعيين نوع التمييز المهيمن في نص معين أو شخصية معينة. وهذا يمكن أن يتصل، بحسب اهتمام الناقد، بصنف الشخصية موضوع النقاش، الاهتمام الموضوعاتي بالأثر، الجنس الذي ينتمي إليه، الأشياء المفضلة لدى المؤلف، معايير الحقبة، وماشابه ذلك. على نحو مواز فالشيء المهم هو فحص التفاعل بين الوسائل المتنوعة للتمييز. والنتيجة، كما عملية القراءة، ستكون مخالفة بحسب ما إذا كانت المؤشرات تكرر نفس السمة بطرق مختلفة، تكمل الواحدة الأخرى، وتتداخل على نحو جزئي، أو تتعارض فيما بينها (إيوين 1971، ص. 24). مثل هذا التحليل لن يكون إلى قاصداً إحداث تعقيدات وفوارق دقيقة بعيدة كل البعد عما يمكن عرضه هنا.

النص : التبئير

التبئير و / مقابل السرد

تقدم القصة في النص عبر وساطة «موشور»، «منظور»، «زاوية الرؤية»، منطوقة من قبل الراوي، رغم أنها ليست بالضرورة له. ومقتفية أثر جنيت (1972)، سأسمي هذه الوساطة «التبئير». لكن مادام محتملا أن القراء الانجلو ساكسونيين سيربطون «الموشور»، «المنظور»، «زاوية الرؤية»، بمصطلح «وجهة النظر» الأكثر شيوعا، سأبدأ بشرح لماذا اخترت «التبئير» كبديل له.

يعتبر جنيت أن لـ «التبئير»، درجة من التجريدية التي تلغي الإيحاءات المرئية، على وجه التخصيص، لـ «وجهة النظر»، وكذا للمصطلحات الفرنسية المعادلة لها، «الرؤية» (بويون، 1946) أو «الحقل»، (مثل ما في «تقييدات الحقل» لدى بلين، 1954) (جنيت 1972، ص. 206)⁽¹⁾. لكن، يبدو لي أن مصطلح «التبئير» لا يخلو من إيحاءات بصرية — تصويرية، و — مثل «وجهة النظر» — يجب على حسه المرئي الصرف أن يتسع ليشمل التوجه المعرفي، الانفعالي، والايديولوجي (انظر ص. ص. 118 — 123). إن سبب اختياري لـ «التبئير» مختلف عن جنيت، رغم أنه يكمن بشكل دقيق في معالجته له كمصطلح تقني. وإن لمعالجة جنيت إيجابيات كبيرة في حل اللبس بين المنظور والسرد، لبس كثيرا ما يحدث حين يتم استعمال «وجهة النظر» أو مصطلحات مشابهة.

(1) يربط كذلك جنيت «التبئير» بالمصطلح الذي اقترحه بروكس ووارن (1959، الطبعة الأصلية 1943) «بؤرة السرد».

كما بين جنيت، فأغلب الدراسات حول وجهة النظر (ك بروكس ووارن 1959. الطبعة الأصلية 1943 ؛ شتانزل 1955 ؛ فريدمان 1955 ؛ بوث 1961 ؛ رومبرغ 1962) تعالج مسألتين مرتبطتين لكنهما مختلفتان كما أو أنهما تتغيران على نحو متبادل. ومصاغتين بإيجاز، فهاتان المسألتان هما «من يرى؟» مقابل «من يتكلم؟» واضح أن أي شخص (و «بالتناظر» أي أداة قصصية)⁽²⁾ قادر على الرؤية والكلام، وحتى على القيام بهما معا — أمر يُسهل الخلط بين النشاطين. علاوة على ذلك، يستحيل تقريبا الكلام بدون خيانة «وجهة النظر» لشخص ما، إذا ما حدث ذلك عبر اللغة المستعملة فقط، كذلك، فأني شخص (و «بالتناظر» أي أداة قصصية) قادر على تولي قول ما يراه شخص آخر أو ما قد رآه. هكذا، قد يكون الكلام والرؤية، السرد والتبئير منسوباً، وليس بحاجة، إلى نفس الأداة. هذا الفارق بين النشاطين ضرورة نظرية، ولا يمكن للعلاقات المتبادلة بينهما أن تدرس بدقة إلا على أساسه.

أمل أن توضح الأمثلة الخاصة كلا أسباب اللبس وتضمينات الفوارق. من المتفق عليه بصفة عامة أن في «صورة الفنان في شبابه» كل شيء يرى من خلال عيني ستيفن. وحسب بوث، «أي رؤية داخلية مؤكدة، مهما كان عمقها، تحول مؤقتاً الشخصية ذات الذهن المجلو إلى راوٍ» (1961، ص. 164). إذا ما تم قبول ذلك، لا يصير ستيفن أداة التبئير («مبئراً») فحسب بل راوياً كذلك⁽³⁾. لكن وحتى

(2) لدي شكوك كبيرة حول صلاحية تشخيص «الأدوات القصصية» (بمعنى معالجتها كما لو كانت بشراً). والحق يقال إنني لهذا السبب استعمل مصطلح «أداة». مع ذلك، ثمة لمسة من التشخيص في هذه النقطة من المناقشة — محتفظ بها لأنها قد تكون واحداً من أسباب الخلط الذي أحاول شرحه.

(3) رغم أن بوث يتحدث في الكتاب برمته عن «وجهة النظر» والسرد كما لو كانا نفس الظاهرة، فإنه لا يخلط بين الاثنين عند مناقشته لستيفن (1961، ص. 163).

في المقاطع التي تقترب فيها اللغة من «ترجمة» إدراكات ستيفن، يبقى التواصل اللفظي والتعبير غير اللفظي منفصلين. لنأخذ على سبيل المثال، مستهل الرواية :

في يوم من الأيام، وكان يوما جميلا جدا، كانت هناك بقرة قادمة عبر الطريق، وقابلت هذه البقرة القادمة عبر الطريق صبيا صغيرا لطيفا جدا اسمه الطفل «تاكو».

قص عليه أبوه هذه القصة، وكان ينظر إليه من وراء نظارته. كان له وجه كثيف الشعر. أما هو فكان الطفل «تاكو». وسارت البقرة عبر الطريق إلى حيث تسكن «بيتي بيرن» التي تباع فطائر الليمون^(*).

(1963، ص. 7. الطبعة الأصلية 1916).

لا تتقل اللغة إدراكات الطفل فحسب، بل تحتوي أيضا على تعابير صيبانية. ومع ذلك فهي ليست لغة ستيفن وليس الراوي في هذا المقطع هو ستيفن. لشيء واحد، هو أن الطفل الذي مازال يتبول في السرير (انظر الفقرة التالية في الرواية) يكون عاجزا على صياغة جمل مكتملة كالتي تم الاستشهاد بها آنفا. ولشيء آخر، ففي هذا المقطع تتم الاحالة على ستيفن بضمير الغائب «له»، «هو» (he, him)، وهو اجراء من المحتمل عدم اتخاذه لو كان هو الراوي نفسه في القصة (رغم أن هناك من قد يبرهن على قدرة الأطفال على فعل ذلك).

على نحو مشابه، يكون التعبير والسرد منفصلين في ما يدعى بالنص الاستعادي بضمير المتكلم، رغم أنه عادة ما تتجاهله الدراسات حول

(*) اعتمدنا ترجمة، ماهر بطوطي دار الآداب، الطبعة الثانية، 1978، ص. 7 (المترجم).

وجهة النظر⁽⁴⁾. يروي بيب في «الآمال الكبرى» الأحداث التي وقعت له في الماضي :

«يجب أن تنتظر هنا، أيها الطفل، قالت إيستيلا واختفت، وأغلقت الباب.

انتهزت فرصة تواجدي لوحدي في الفناء، للنظر إلى يدي الخشتين وجزمتي الوضيعة. لم يكن رأيي حول هذه الأشياء الإضافية مرضيا، فلم تضايقني قط من قبل، لكنها أقلقتنني الآن، كلواحق مبتذلة.

(1978، ص. ص. 91 — 92، الطبعة الأصلية 1860 — 61)

على الرغم من أن ذلك تسجيل للأشياء كما رآها الطفل، وأحس بها، وفهمها، فكلمات مثل «أشياء إضافية» و «لواحق» ليست في معجم الطفل، بشكل واضح. إن الراوي هو بيب، البالغ، فيما المبثر هو بيب، الطفل⁽⁵⁾.

بالامكان الآن، وعلى نحو صريح تصيغ تضمينات للمناقشة الآتية.

أ — مبدئيا، التبئير والسرد نشاطان مختلفان.

ب — في ما يدعى ب «مركز وعي ضمير الغائب» («السفراء» لجيمس، و «صورة...» لجيمس جويس) يكون مركز الوعي (أو «العاكس») هو المبثر، فيما يكون مستعمل ضمير الغائب هو الراوي.

(4) سيتم تعديل الاصطلاحات المتصلة بالسرد في الفصل 7.

(5) في الواقع إن الوضيعة أكثر تعقيدا، مادام الراوي بيب كثيرا ما يتحرك كمبثر أيضا، فالقصة أحيانا تكون مبارة من قبل الطفل المحجرب وأحيانا من قبل الراوي البالغ.

ج — التبئير والسرد منفصلان كذلك في القص الاستعادي بضمير المتكلم.

د — فيما يتعلق بالتبئير، ليس ثمة اختلاف بين مركز وعي ضمير الغائب والسرد الاستعادي بضمير المتكلم. في كل منهما المبئر شخصية ضمن العالم المتمثل. أما الاختلاف الوحيد بينهما فهو هوية الراوي. هـ — لكن، أحيانا قد يتوحد التبئير والسرد، كما سيتم استجلاؤه في القسم التالي.

حتى الآن، قمنا بمناقشة التبئير وأداته، المبئر. لكن لا يكون القص مبالاً من قبل شخص ما فحسب، وإنما يكون كذلك حول شخص أو شيء آخر (بال 1977، ص. 29). بتعبير مخالف، يحتوي التبئير على الذات / الفاعل والموضوع. إن الذات («المبئر») هي الأداة التي يوجه إدراكها العرض، فيما يكون الموضوع («المبأر») هو ما يدركه المبئر (بال 1977، ص. 33). وسيؤخذ كل من المبئر والمبأر في الاعتبار ضمن التصنيف التالي.

أنواع التبئير

ثمة مقياسان سيتم استخدامهما في هذا القسم لعرض أنواع التبئير المختلفة: الموقع الموصول بالقصة، ودرجة الاستمرار. وستعالج المقولات المعروضة هنا بشكل أكثر إسهاباً في القسم القادم، حيث ستناقش مظهراتها في الأوجه المختلفة للتبئير.

الموقع الموصول بالقصة

يمكن أن يكون التبئير خارجياً أو داخلياً بحسب القصة⁽⁶⁾. عندما

(6) على نحو متعمد يحيد الفرق عندي بين التبئير الخارجي والداخلي عن تصنيف جنيت «للمحكي» إلى اللامبأر، المبأر على نحو داخلي والمبأر على نحو خارجي =

يتم الاحساس باقترب التبئير الخارجي من الاداة الراوية، تسمى أدواته آنذاك «الراوي — المبرر» (بال 1977، ص. 37). وهذا هو نوع التبئير المهيمن في «توم دجونز» لفيلدينغ (1749)، «الأب غوريو» لبلزاك (1834) و «الطريق إلى الهند» لفورستر (1924)، على سبيل الحصر. غير أن التبئير يمكن أن يقع كذلك في القص بضمير المتكلم سواء عندما تكون المسافة الزمنية والسيكولوجية بين الراوي والشخصية صغرى (مثل ما في «الغريب» لكامو، 1957) أو عندما يكون الادراك الذي من خلاله تنقل القصة، هو إدراك الذات الراوية بدل إدراك الذات المجربة. والمثال الهام والاشكالي لذلك هو «Araby» لجويس (1914) الذي ستم مناقشته أدناه.

كما يقترح المصطلح، فمحل التبئير الداخلي يكون داخل الأحداث المتمثلة. وعلى نحو عام يأخذ هذا النوع شكل شخصية — مبررة، مثل Sartoris Snopes الصغير في «الهرى المحترق، لفوكنر (1939) أو ييب الطفل في عدة أجزاء من «الآمال الكبرى». لكن أحيانا لا يكون التبئير الداخلي إلا وقفة نصية، برغم أن مثل هذه الوقفة غير المشخصة تميل إلى أن تُمنح من لدن القراء ذوي مييزات الشخصية.

= (1972، ص. ص. 206 — 207). يتوافق «اللامبار» عنده مع «التبئير الخارجي» عندي و «المبار على نحو داخلي» متناظر مع «التبئير الداخلي» عندي. غير أن مقولته الثالثة («المبار على نحو خارجي») متأسس على مقياس مخالف وسيتم دمجها في مكان آخر من مناقشتي. كما برهنت بال بشكل مقنع (1977، ص. ص. 28 — 29)، يتأسس تصنيف جنيت على مقياسين مختلفين : فيما يحيل الفرق بين اللامبار والمبار على نحو داخلي على موقع المدرك المبرر، يحيل الفرق بين المبار على نحو داخلي والمبار على نحو خارجي على الموضوع المدرك (المبار). ويبدو أن استعمال شتانزل لـ «الخارجي والداخلي» (1981، ص. ص. 5 — 6) مقترَب من استعماله، وكذا أوسينسكي (1973، ص. 130 وموضع آخر).

لنعرض مثالا كلاسيكيا عن «الغيرة» لروب غرييه، في هذا الاطار :
الآن دلفت أ... إلى حجرة النوم من الباب الداخلي المنفتح
على المدخل الرئيسي، لاترى النافذة العريضة المفتوحة التي
من خلالها — من الباب — بإمكانها رؤية هذه الزاوية
للمصطبة. عادت الآن ناحية الباب لغلقه وراءها...

عمرد الدرازين الثقيل ليس له طرف متروك في الأعلى.
واللون الرمادي للخشب المعروض تلمع شقوقه الطويلة
الرقيقة. في الجانب الآخر من الدرازين، على طول ستة أقدام
أسفل مستوى الفيراندا، تبدأ الحديقة.

لكن بعيدا عن حجرة النوم تمر العين على الدرازين وتلمس
السطح إلى حد أبعد فقط، على المنحدر المقابل للوادي
الصغير، وسط مزرعة أشجار الموز، والشمس لا تبين بين
كثافة الأوراق الكبيرة الخضراء. ومع أن هذا القطاع لم يتم
حرثه إلا مؤخرا، فما زال بالإمكان رؤية صفوف الأشجار
المتقاطعة بوضوح، ونفس الشيء بالنسبة لجل الملكية المشاهدة
من هنا...

(1965، ص. ص. 39 — 40 الطبعة الأصلية بالفرنسية 1957)

ليس ثمة مبثر مشخص هنا أو في مكان آخر في «الغيرة» ومن
النظرة الأولى قد يبدو التعبير خارجيا. بيد أن تعابير مثل «بإمكانها
رؤية هذه الزاوية»، «بعيدا عن حجرة النوم تمر «العين» على
الدرازين»، «الملكية المشاهدة من «هنا» تتضمن موقعا داخل القصة
تراقب منه الأشياء. لقد كان موريس (1963) الأول الذي حدس
— كما فعل العديد من القراء بعده — أن «العين» تنتسب إلى الزوج
الغيبور الذي «تلون» رؤيته الحقائق المنقولة في النص.

إن أحد الاختبارات للتمييز بين التعبير الخارجي والداخلي هو

محاولة «إعادة كتابة» القطع المعين بضمير المتكلم. إذا كان ذلك ملائما — فالقطع مبئر على نحو داخلي، أما إذا حدث العكس — فالتبئير خارجي (بارث 1966، ص. 20 ؛ جنيت 1972، ص. 240). وليس واضحا ما إذا كان بالامكان وضع تعريف لهذه الملائمة بمصطلحات نحوية صارمة أو بمصطلحات الاحتمال الأكثر مراوغة. وكما بإمكان المبئر أن يكون خارجيا أو داخليا بحسب الأحداث المتمثلة، فالمبئر يمكن أن يرى إما من خارج أو من داخل⁽⁷⁾. إلا أن التصنيفين المتوازيين لا يتوافقان بالضرورة (وهذا هو لماذا اختار «الخارجي / الداخلي للأول و «من خارج / من داخل» للآخر). قد يدرك مبئر خارجي موضوعا إما من خارج أو من داخل. في الحالة الأولى، لا تقدم إلا التظاهرات الخارجية للموضوع (شخص أو شيء) مثل ما في عدد من قصص الانجيل :

واستيقظ إبراهيم باكرا في الصباح، وركب حماره، وأخذ معه اثنين من فتيانه، واسحق ابنه وشق الخشب للنار المقترحة، ونهض متجها صوب المكان الذي أوصاه به الرب. (سفر التكوين 22 : 3)

فإبراهيم سيضحى بابنه، ومع ذلك لا يتم تقديم سوى أفعاله الخارجية، أما أحاسيسه وأفكاره فتبقى مبهمة. في الحالة الثانية، يقدم المبئر الخارجي (الراوي — المبئر) المبئر من داخل، نافذا إلى أحاسيسه وأفكاره. وهذا هو ما يحدث في المقطع التالي من «أبناء وعشاق» للورانس :

لم تعتقد [ميريام] في قرارة نفسها أنها ستراه ثانية. لم تصدق

(7) بشكل مفيد، يمكن ربط هذا الفرق بمحور «النفاد إلى الحياة الباطنية، المناقش في الفصل حول الشخصية (ص. ص. 65 — 66).

نفسها أولا، وشككت فيما إذا كانت قادرة لأن تكون كما سيطالها به. بكل تأكيد لم تر نفسها قط سعيدة طوال حياتها معه. لقد رأت المأساة، الحزن، والتضحية أمامها. في التضحية كانت فخورة، وفي نكران الذات كانت قوية، لأنها لم تأمل من نفسها تحمل الحياة اليومية. كانت مستعدة للأشياء الكبيرة والأشياء العميقة، كالمأساة. لكن كفاية الحياة اليومية الوضيعة هو ما لم تستطع تحمله.

(1962، ص. 265. الطبعة الأصلية 1913)

على نحو مشابه، قد يدرك المبرر الداخلي الموضوع من داخل، خاصة حين تكون هي نفسها كلا من المبرر والمبأر، مثل مولي بلوم في «يوليسيس» لجويس (1922)، لكن إدراكه أو إدراكها قد يكون أيضا مقتصرًا على التظاهرات الخارجية للمبأر، مثل ما في المقطع المستشهد به من «الغيرة» وفي عدة نصوص قصصية لكافكا وهيمغواي.

درجة الاستمرار

قد يبقى التبئير ثابتًا طوال القصص، كما في «الذي علمته ميري» لجيمس (1897)، لكن يمكن كذلك أن يتعاقب بين مبررين مهيمينين إثنيين، كما في «ماندالا الصلب» لوايت (1966)، أو ينقل بين عدة مبررين، كما في «الصخب والعنف» لفوكنر (1931). وليس هذا التمييز بين التبئير الثابت، المتغير والمتعدد أقل تطبيقًا في المبأر منه في المبرر.

أوجه التبئير

أشرت في بداية هذا الفصل بأن الحس المرئي الصرف لـ «التبئير» ضيق جدا. وقد حان الوقت لمناقشة الأوجه المتنوعة للظاهرة

ولاستجلاء كيف يتمظهر المقياس الخارجي / الداخلي نفسه في كل منها. وسيتم تشغيل درجة الاستمرار في الوقت المناسب⁽⁸⁾.

الوجه الادراكي

يتحدد الادراك (البصر، السمع، الشم، الخ) عن طريق رابطتين أساسيين : المكان والزمان.

المكان

« مترجما » إلى مصطلحات مكانية، يأخذ الموقع الخارجي / الداخلي للمبئر شكل نظرة عين الطائرة مقابل نظرة ملاحظ محدود. في الشكل الأول، يكون المبئر متموقعا في نقطة عالية عن موضوع أو مواضيع إدراكه. هذا هو الموقع الكلاسيكي للراوي — المبئر، مقدما سواء نظرة بانورامية أو تبئير أشياء «تحدث» في «ذات الآن» في أمكنة مختلفة. على أن المناظر البانورامية تكون متكررة في بداية ونهاية القص أو في أحد مشاهدته (أو سينسكي 1973، ص. 64)⁽⁹⁾. مثل ذلك يوجد في وصف سولاكو في بداية «نوسترومو» لكونراد (1904) ووصف شاندرابور في مستهل «الطريق إلى الهند» لفورستر (1924). أما التبئير المتزامن الآني فيمثل على نحو ملائم من قبل Voss لوايت (1960، الطبعة الأصلية 1957). ففيما يصارع فوس بهدف عبور الصحراء الاسترالية، تقدم للقارئ لوحة خاطفة عن المرأة التي تركها

(8) يتأسس العرض التالي بالدرجة الأولى على أوسينسكي (1973 الطبعة الأصلية بالروسية 1970) مع تعديلاتي، لكن أيضا على نفس المقولات المقترحة من قبل تشاتمان (1978)، شتانزل (1981) ورون (غير منشور). أما أوسينسكي فلا يفرق دائما بين السرد والتبئير، ولا بين الراوي والمؤلف.

(9) لا يستعمل أوسينسكي مصطلح «بانوراميك» الذي استعرفته من لوبوك (1963، الطبعة الأصلية 1921).

خلفه في سيدني (1960، ص. 394). وفيما بعد، بمجرد ما يصل آخر أحياء البعثة إلى البروز الصخري حتى يهوي. ويوحى تبئير متزامن آني بأن ما أن يحذق قائد فرقة الإنقاذ في نفس «الصخور الوعرة على مسافة قريبة» (ص. 427) حتى يعلن عن قرار العودة إلى الساحل والتخلي عن البحث عن البعثة المفقودة.

تستحيل أي نظرة بانورامية أو متزامنة آنية حين يرتبط التبئير بشخصية أو موقع غير مشخص داخلي في القصة. في مثل هذه الحالات، إذا كانت الشخصية — المبئر داخل غرفة مغلقة، فالغرفة نفسها يمكن أن تقدم من خلال عينها، وليس الشارع، ما لم تكن هناك نافذة من خلالها تطل على الشارع (مثل ما في «إيفلين» لجويس، 1914). وإذا ما خرج المبئر الداخلي إلى الشارع فيما بعد، فالقارئ قد يرافقه. هذا التقيد يشرح لماذا يتم وصف داخل منزل الانسة إيميلي في «وردة لإيميلي»، لفوكنر من قبل مندوبية الضرائب وبعدئذ مرة أخرى في النهاية، بعد موتها. ولأن النص برمته مبأر على نحو داخلي من طرف أحد أهل المدينة، ولأنه لم يسمح لأحد بدخول منزلها لسنوات عديدة، فالمبئر الداخلي لا يدرك إلا الداخل إذا ما «صاحب» المقتحمين له.

قد يتحول التبئير المكاني أو النظرة من عين الطائر إلى الملاحظ المحدود أو من نظرة ملاحظ محدود إلى نظرة آخر. هكذا في «الحرب والسلم» (1864 — 1869)، «يرافق» القارئ بيير إلى معركة بوردينو، لكنه لا يبقى مرتبطاً بإدراكات بيير طوال الحرب. «بعد أن وصلنا إلى ساحة المعركة، لسنا مقيدين بالبقاء معه؛ فقد نتركه ونرتكن إلى مواقع مكانية أخرى» (أو سبنسكي 1973، ص. ص. 58 — 59).

الزمن

في حالة المبئر غير المشخص، يكون التبئير الخارجي كلاً زمنياً، واستعادياً في حالة الشخصية المبئرة لماضيها. من جهة أخرى، يكون التبئير الداخلي متزامناً مع الحقائق المنظمة من قبل المبئر. بمعنى آخر تكون تحت تصرف المبئر الخارجي كل الأبعاد الزمنية للقصة (الماضي، الحاضر، والمستقبل، فيما يبقى المبئر الداخلي مقتصرًا على «حاضر» الشخص (أو سينسكي 1973، ص. ص. 67، 113). المثال المفيد لذلك هو «وردة لايميلي». فالراوي والمبئر في هذا القص هما نفس «الشخص»: أحد أهل مدينة إيميلي. إلا أن الموقع الزمني لل اثنين المواجه للأحداث المروية يجلوها كاداتين منفصلتين «على نحو زمني يكون الراوي خارجاً عن القصة، عالماً بالنهاية حين يشرع في السرد. ومع ذلك يختار عدم البوح بفهمه الاستعادي، مقتصرًا في إدراكاته على معارف أهل المدينة أثناء الأحداث. هكذا، فالمبئر ليس بمواطن كراو بل أهل المدينة (وهو واحد منهم) كملاحظين محدودين في المرحلة الأولى. هذا الاختيار للمبئر الداخلي يمنح المعقولة لكبح الحقائق المستعملة بهدف خلق أثر الصدمة حين يُروى اكتشاف جثة هوامر.

الوجه السيكلولوجي

فيما يكون للوجه الإدراكي علاقة بالجمال الحسي للمبئر، يهتم الوجه السيكلولوجي بذهنه وانفعالاته⁽¹⁰⁾. وكما توحى بذلك الجملة الآنفة، فثمة مكونان محددان كذلك: التوجه المعرفي والانفعالي للمبئر تجاه المباءر.

(10) يجب أخذ هذه المصطلحات على نحو استعاري عند تطبيقها على أداة قصصية عوض شخص حقيقي.

المكون المعرفي

الاطلاع، الحدس، الاعتقاد، الذاكرة — هذه بعض من مصطلحات المعرفة. ومتصورا ضمن هذه المصطلحات، يصير التعارض بين التبئير الخارجي والتبئير الداخلي تعارضا بين المعرفة اللامحدودة والمعرفة المحدودة، من حيث المبدأ. المبئر الخارجي (أو الراوي — المبئر) يعرف كل شيء عن العالم المتمثل وحين يقيد معرفته، فإنه يقوم بذلك لاعتبارات بلاغية (مثل محاولة خلق أثر المفاجأة والصدمة في «وردة لايملي»). من جهة أخرى تكون معرفة المبئر الداخلي مقيدة عن طريق التعريف : لكونه جزءا من العالم المتمثل، لا يعلم كل شيء عنه.

يقدم أوسبنسكي مثالا هاما من «الأبله» لدوستيفسكي (1868)، حيث نفس الحدث يُرى في بادئ الأمر من خلال عيني الأمير ميشكين الذي يعرف ولا يشك في شيء، وبعدئذ — بعد فقرتين — من خلال عيني المبئر الخارجي :

تألقت عيني روغوزين والتوت قسما وجهه بفعل ابتسامة مسعورة. رفع يده اليمنى، ومض شيء بداخلها، ولم يفكر الأمير في التحقق منه.

(أوردها : أوسبنسكي 1973، ص. 82)

إن ما في يد روغوزين، «شيء غير محدد لدى الأمير الجاهل. بالنسبة للراوي — المبئر، من جهة أخرى، فهو سكين بوضوح :

كان يُفترض في أن الاحساس بمثل هذا الرعب المفاجئ، برفقة الأحاسيس المروعة الأخرى في تلك اللحظة، قد شل

فجأة روغوزين، وأنقذ الأمير من طعنة السكين المحتومة
الموجهة إليه.

(أوردها أوسبنسكي 1973، ص. 82) (11)

المكون الانفعالي

يسبب التعارض «الخارجي / الداخلي» في تحويله الانفعالي، تبئرا
«موضوعيا» (حياديا، غير متضمن) مقابل تبئير «ذاتي» (ملون،
متضمن). ويمكن رؤية ذاتية المبتئر الداخلي عن طريق مقارنة مناسبتين
نشاهد أثناءهما إيما حديقتهما بتوست (Tostes). تحدث الأولى قبل فترة
قلقها الكبير، وبالتالي تكون حيادية لدى الشخصية :

أما الحديقة فكانت مستطيلة تحدها جدران من الطين —
حفت بهما أشجار المشمش — وتنتهي بسياج من الأشواك
يفصل بينهما وبين الحقول. وكانت تتوسطها «مزاولة»
— ساعة شمسية — من الأردواز، أقيمت على قاعدة
حجرية.. وأربعة أحواض من نبات «النسرين» تحيط — في
انتظام — بحوض خامس زرعت فيه نباتات أكثر نفعا..
وتحت شجيرات السرو في الطرف الأقصى للحديقة قام
تمثال من الجص يمثل قسا يقرأ في كتاب الصلوات^(*).

(1965، ص. 23. الطبعة الأصلية، بالفرنسية 1857)

(11) يعطي أوسبنسكي أمثلة تحت عنوان «الذاتي / الموضوعي». لكن يبدو لي أن
الذاتية والموضوعية تنتمي إلى المكون الانفعالي أكثر من المكون المعرفي، وأن
المقاطع من «الأبله»، من جهة أخرى، تضرب مثلا للتبئير المعرفي بدل
الانفعالي. لايفرق أوسبنسكي بين هذين النوعين، معالجا إياهما تحت
«السيكولوجي».

(*) محمد منذور، ص 46 (المترجم).

وترى إيما نفس الحديقة كمكان للمرض، الدمار والموت، معادلة لمراجها اليأس في ذلك الوقت :

وكانت إيما تهبط إلى الحديقة في الأيام الرائقة، فإذا الندى قد خلف فوق الكرب وشيا من الفضة، تتخلله خيوط طويلة شفافة تمتد من كرنبة إلى أخرى.. ولم تكن شقشقة العصافير تتردد بل كان كل شيء يبدو مخلدا إلى النوم، والعرائش مكسوة بالقش، والكروم تمتد — كثعبان كبير مريض — تحت أقبية الجدران، حيث يرى الانسان — إذا ما اقترب — الخنافس وهي تزحف!... وإلى جدار السياج من ناحية غابة الصنوبر كان تمثال القس بالقنسوة ماضيا في قراءة كتاب الصلوات وقد فقد قدمه اليمنى، بينما عبث الصقيع بطلائه فخلف على وجهه قرحا بيضاء^(*).

(1965، ص. 46)

مادامت الحديقة جامدة، فالوجه السيכולوجي للتبئير لا يتصل إلا بالمبئر البشري المدرك له. لكن حين يكون المبدأ بشرا كذلك، فذاتيته لا تكون أقل اتصالا به عن ذاتية المبئر. وكما أشرنا آنفا (ص. ص. 111 — 113)، يمكن إدراك المبدأ إما من خارج أو من داخل. النوع الأول يقيد كل الملاحظات للتمظهرات الخارجية، تاركا الانفعالات تستشف منها، مثل ما في «القتلة» لهيمنغواي (1928) حيث توتر القتلة يدل ضمنا عن طريق نظراتهم المتكررة للساعة أو أسئلهم المتكررة المغضبة. ويجلو النوع الثاني «الحياة الباطنية» للمبئر سواء بواسطة جعله هو المبئر (المونولوجات الداخلية كأحسن مثال) أو بواسطة تخويل المبئر الخارجي (راوي — مبئر) امتياز النفاذ إلى

(*) منذور، ص 90.

وعى المبأر (كما في جل روايات القرن التاسع عشر). حين تتم رؤية المبأر من داخل، خاصة عن طريق مبئر خارجي، تبدو مؤشرات في النص مثل «فكر»، «أحس»، «بدا له»، «عرف»، «أدرك». من جهة أخرى، حين يتم ترك الحالات الباطنية للمبأر لتدل ضمنا عن طريق السلوك الخارجي، فإن تعابير موجهة — موحية بالمكانة التأملية لمثل هذا التضمين — كثيرا ما تحدث : «ظاهريا»، «من الجلي»، «كما لو»، «بدا» الخ. ويسمى أوسبنسكي هذه بـ «ألفاظ التغريب» (1973، ص. 83).

الوجه الايديولوجي

يتألف هذا الوجه الذي كثيرا ما يحال عليه كـ «معايير النص»، من «نسق عام لرؤية العالم على نحو تصوري، وطبقا له يتم تقييم أحداث وشخص القصص (أو سبنسكي 1973، ص. 8). في الحالة الأشد بساطة، تقدم «المعايير» من خلال منظور مهيمن وحيد، هو منظور الراوي المبئر. وإذا ما برزت إيديولوجيات إضافية في مثل هذه النصوص، فإنها تصير خاضعة للمبئر المهيمن، محولة بالتالي الذوات المقيمة الأخرى إلى مواضيع للتقييم (أوسبنسكي 1973، ص. 8 — 9). على نحو مخالف، تؤخذ إيديولوجيا الراوي — المبئر دائما كـ «موثوقة»، ويتم تقييم الإيديولوجيات الأخرى في النص من هذا الموقع «الأكثر علوا». في الحالات الأشد تعقيدا، يفسح المبئر الخارجي الموثوق والوحيد المجال لتعددية المواقع الإيديولوجية المشكوك في صلاحيتها من حيث المبدأ. البعض من مثل هذه المواقع قد يتزامن جزئيا أو كلية، والبعض آخر يتعارض بشكل متبادل، ويحدث التفاعل بينها قراءة للنص «متعددة الأصوات» و «لا وحدوية» (باختين 1973، الطبعة الأصلية بالروسية 1929). بطبيعة الحال، نستحضر بسرعة دوستيفسكي. ففي «الجريمة والعقاب» (1866)،

على سبيل المثال، تبرز إيديولوجيا النص (أو مساءلته للأيديولوجيا) من تماس وجهات نظر راسكولنيكوف مع أفعاله وكذا مع آراء رازومويفين، سونيا، سفيدريغبالوف والضابط المجهول في الحانة.

قد تمثل شخصية موقعها الأيديولوجي من خلال طريقتها في رؤية العالم أو سلوكها ضمنه، لكن، كذلك — مثل راسكولنيكوف — من خلال مناقشتها الصريحة للأيديولوجيتها. على نحو مشابه، قد تكون معايير الراوي — المثير ضمنية في التوجه الذي يعطيه للقصة، ويمكن أن تصاغ كذلك على نحو صريح. من ثم، وبالإضافة إلى مساهمتها في التعبير، تلعب الأيديولوجيا أيضا دورا في القصة (الشخص) من جهة، وفي السرد من جهة ثانية. ولأن ذلك قد يكون صحيحا في كل أوجه التعبير فسيتم اقتراحه في الفقرة الاستنتاجية من هذا الفصل.

العلاقات المتبادلة بين الأوجه المتنوعة

قد تتزامن الأوجه الإدراكية، السيكلوجية، والأيديولوجية، لكن قد تنتمي كذلك إلى مثيرين مختلفين، وحتى متضادين. هكذا، ففي «الآمال الكبرى» يكون المثير الإدراكي دائما هو يب، الشاب المحرب، فيما تميل الأيديولوجيات لأن تكون مبنية من قبل يب الكهل الراوي (تشانمان، 1978، ص. 158). ويمكن إيجاد تناقض مشابه بين الأوجه السيكلوجية والأيديولوجية في «الآخوة كارامازوف» لدوستيفسكي (1880): كثيرا ما يتم الكشف عن سيكلوجية فيودور بافلوفيتش كارامازوف من داخل، رغم تقديمه كشخصية غير متعاطف معها من وجهة نظر أيديولوجية (أوسينسكي 1973، ص. 105).

مؤشرات لفظية للتعبير

القول إن التعبير يُبلغ بواسطة مؤشرات لفظية متنوعة لا يعني إخفاء

التمييز بين التعبير والسرد الذي بدأت به. في حد ذاته، يكون التعبير غير لفظي. لكن، ومثل أي شيء آخر في النص، يتم التعبير عنه بواسطة اللغة. إن لغة أي نص إجمالاً هي لغة الراوي، لكن بإمكان التعبير أن «يلونها» بطريقة يجعلها تبدو كنقل لإدراكات أي أداة مستقلة. هكذا، فكل من حضور المبرر وليس الراوي والتحول من مبرر إلى آخر قد يوماً إليهما عن طريق اللغة.

المثال المفيد لهذه الالمامة هي التسمية. كما يبين أوسبنسكي (1973، ص. ص. 20 — 43)، يضلل استعمال الأسماء المتنوعة لنابليون في «الحرب والسلام» لتولستوي، الاختلافات وكذا تغييرات الموقف تجاهه. في المراحل الأولى، يسميه الروس «Bonaparte» مركزين على جنسيته أو «Buonaparte» مزاجين أجنبيته بتأكيدهم على أنه ليس حتى فرنسياً. من جهة أخرى، يسميه الفرنسيون «Napoleon» وبعد ذلك، «L'empereur Napoleon». ومع التقدم في استيلائاته، يتحول جل الروس إلى «Napoleon»، أما أولئك الذين لا يفعلون ذلك، فيؤكدون بالتالي على الجانب الوطني بقوة. إن التحول في التسمية يمكن أن يشير إلى تغيير المبرر ضمن نفس الفقرة أو الجملة. لنورد مثلاً عن اللقاء بين نابليون والأمير أندري الذي يسقط بعد إصابته بجروح في ساحة أوسترليز :

لم يلتفت [اندري] ولم يشاهد الرجال الذين، قدر من خلال أصواتهم وصوت الحوافر المكتومة، كانوا يركضون نحوه وتوقفوا.

كانوا: نابليون و ضابطين مساعدين يرافقانه. وكان بونايرت في جولة في ساحة الحرب يتفقد الموتى والجرحى...

(1971، ص. 310. الطبعة الأصلية بالروسية 1864 — 9)

وكما يقول أوسبنسكي، «قد يخامرنا الشعور بوجود تحول من

وجهة نظر الملاحظ المستقل (المستعمل اسم «نابليون») إلى وجهة نظر الأمير أندري (الذي يستعمل اسم «بونابرت»، لأنه يلائم موقفه المتغير تجاه نابليون في لحظة القص) (1973، ص. 31) (12).

يبد أن الأسماء ليست هي الوسائل اللفظية الوحيدة للإشارة على التأثير. فلم يتم تثبيت السلسلة الكاملة للامكانيات الأسلوبية بعد، كما أنها ليست خاصة بالقص. لذلك سأقيد نفسي ببعض الأمثلة من «Araby» لجويس (1961، الطبعة الأصلية 1914) (13). في هذا القص، يتحدث راو بالغ عن نفسه كطفل (بعمر غير محدد). أحيانا تكون لغته «ملونة» من قبل إدراكاته لحظة السرد (تأثير خارجي)، وأحيانا من قبل إدراكات ذاته الصغيرة (تأثير داخلي)، وأحيانا أخرى يظل غامضا بين الاثنين. فجملة مثل «لم أكلمها قط، ماعدا بعض الكلمات العرضية، ومع ذلك فاسمها كان مثل استدعاء لكل مزاجي الأحمق» (ص. 28) تضلل الراوي البالغ كمثير عبر صفة «الأحمق» التقييمية. على نحو مشابه، ورغم أن المعجم والتركيب لـ «نسيت بماذا أجبت بنعم أم بلا» (ص. 29) يمكنهما أن ينسبا إلى طفل بمقتضى بساطته، فالنسيان يمكن التعرف عليه في استحضار الماضي. هكذا تشير لفظة «نسيت» إلى مثير خارجي عن طريق الایماء إلى المسافة الزمنية والمعرفية من الحدث. من جهة أخرى، تعكس مقارنة صمت

(12) أ — يظهر أوسينسكي أيضا نفس المعالجة للكلام الروسي مقابل الفرنسي في «الحرب والسلام». ب — يعالج أوسينسكي مثل هذه المؤشرات اللفظية كـ «مستوى عباراتي»، بتكافؤ مع أوجه أخرى (أو «مستويات» (planes) ضمن اصطلاحاته) للتأثير (أو «وجهة النظر» بلغته). وكما وجب توضيحه في عرضي، فأني أرى علم العبارات كطريقة لنقل التأثير، وليس واحدا من أوجهه. لقد تفاديت أيضا مصطلح «مستوى» حيث يبدو لي أنه موحيا بتصور تراتبي بشكل مضلل.

(13) إني مدينة لروث غانسبورغ لمساعدتها لي على إنجاز هذا النص.

السوق بصمت الكنيسة — «ميزت صمتا مثل الصمت الذي يكتسح كنيسة بعد الصلاة» — ربط الطفل بين عالم الدين الذي ترى فيه وعالم السوق الذي أعطاه إياه بعدا شبه — ديني. بالنسبة للطفل فخيبة أمله متشابهة عند انتهاء كل من الطقسين. المؤشر الآخر لمبئر الطفل الداخلي هو الانفعالي، الصيغة العميقة (non-sequitur) للشرح العرضي في المقطع التالي :

وجدت بعض الكتب بأغلفة ورقية. كانت صفحاتها ملتفة وندية : «رئيس دير الرهبان» لوالتر سكوت، «الناقل المخلص» و «مذكرات فيدكوك» أحببت الأخير بشدة، لأن أوراقه كانت صفراء.

(ص. 27)

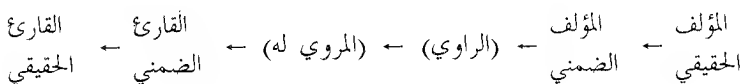
ولعل الأكثر أهمية هي تلك الحالات التي يكون فيها الاختيار بين المبئر الخارجي والمبئر الداخلي إشكاليا أو مستحيلا. لنأخذ على سبيل المثال، «خيل إلي أي حمل كأس القربان بشكل آمن وسط حشد من الأعداء» (ص 29). إن اللغة هنا هي لغة الراوي، أما المبئر فيمكن أن يكون إما المبئر أو الطفل. كروية لدى الطفل، يكون التأكيد على عالم المناسبات الدينية التي يتخيل فيها الطفل نفسه بطلا. وكروية لدى الراوي، فالتأكيد يكون على الطبيعة الكليشية لتخيل الطفل، وتكون النبرة ساخرة. أو لتأمل في الجملة الأخيرة : «محدقا في الظلام، رأيتني كمخلوق يسوقه ويسخر منه الغرور، والتهبت عيناى بالكرب والغضب، (ص. 33). إن التجنيس السجعي لـ «تسوق، تسخر، كرب، غضب» هو للراوي على نحو واضح، مثلما هو اختيار «التحديق، الذي يُرجع صدى وصف المنازل في مستهل الفقرة («حذق في كل منها») والترابط المؤسس بين «جهل» الطفل و «الشارع المعتم» في البداية. لكن هل الوعي الذاتي («رأيتني») هو للطفل لحظة تجربته أو للبالغ بعد سنوات ؟ الجملة لا تقدم حلا نهائيا.

في هذا الفصل، تمت معالجة التعبير كعامل نصي مرتبط بكل من القصة والنص. وبالإمكان تحدي هذه النظرة باقتراح أن التعبير لا يرتبط بهذه المظاهر للقص فحسب، بل مصنف ضمنها، في الواقع، وبالتالي يغيب أثناء تحليل «النص» تماما (رون، غير صادر). تقول الحجة، إذا كان المبرر شخصية، فأفعال إدراكاته هي جزء من القصة، إذن. وإذا كان راويا، فالتعبير ليس سوى واحدا من الاستراتيجيات البلاغية تحت تصرفه. غير أن هذا الافتراض لم يتم تطويره بعد على نحو كاف بهدف تعزيز هذا الاقتناع، لكن في المستقبل، قد يعدل النظرية ما بعد الجينية [نسبة إلى جنيت] المقدمة هنا.

السرد : المستويات و الأصوات

المشاركون في وضعية التواصل القصصية

ناشداً تمفصل رؤى السرد التي أعلن عنها بوث بشكل خاص تقريباً (1961) ضمن نموذج سيميائي للتواصل، ألحق تشاتمان (1978، ص. 151) الرسم البياني التالي :



من ضمن المشاركين الستة المدرجين في هذا الرسم، يترك إثنان خارج الاجراء القصصي الخاص : المؤلف الحقيقي ونظيره القارئ الحقيقي. ويتم «تمثيلهما»، في النص بواسطة أداتين بديلتين يسميهما بوث وعدد آخر (مثل أيزر — 1974 ؛ بييري 1979) «المؤلف الضمني والقارئ الضمني»⁽¹⁾. وأكثر من مجرد وضعة نصية، يبدو مؤلف بوث الضمني كبنونة ذات توجه إنساني، كثيراً ما يشار إليها كـ «ذات المؤلف الثانية» (1961، ص. 67 وأمكنة أخرى). حسب هذه الرؤية، المؤلف الضمني هو الوعي المستحكم في الأثر ككل، مصدر المعايير الجسدة في الاثر. وعلاقته بالمؤلف الحقيقي يُسلّم بأنها ذات تعقيد سيكولوجي كبير، ولا تحلل إلا بالكاد ما لم يُقترح (بوث 1961، ص. 75) بأن المؤلفين الضمنيين كثيراً ما يكونوا أسمى بكثير في ذكائهم ومعاييرهم الأخلاقية من الرجال والنساء الفعليين الذين

(1) يتحدث جيسون (1950) عن «القارئ الساخر».

هم المؤلفون الحقيقيون. في أي حدث، يتم التسليم مقدما بأن الاثنين ليسا بحاجة ولا هما، في الواقع، في كثير من الأحيان، متطابقان، قد يجسد مؤلف ما في أثر ما أفكارا، اعتقادات، انفعالات مخالفة أو حتى متعارضة مع ماهو سائد في الحياة الحقيقية، وقد يجسد كذلك أفكارا، اعتقادات وانفعالات مختلفة في آثار أخرى. هكذا، وفيما يكون المؤلف بدمه ولحمه عرضة لتقلبات الحياة الحقيقية، يكون المؤلف الضمني في أثر معين متصورا ككينونة ثابتة، متأسكة مع نفسها، على نحو مثالي، داخل الأثر.

وميزا عن المؤلف الحقيقي، يختلف كذلك المؤلف الضمني عن الراوي. فأغلب القراء يشعرون بشكل حدسي أن المؤلفين الضمنيين في «دوقتي الأخيرة، لبرونين (1842) أو «زيت الكلب» لبيرس (1909 — 1912) على سبيل المثال لا يتعهدون بمعايير رواة هذه النصوص. وفي عرضه للفرق بين المؤلف الضمني والراوي، يبدو أن تشاتمان يعطيه تأويلا سيميائيا على وجه التخصيص :

عكس الراوي، بإمكان المؤلف الضمني ألا يقول لنا شيئا. فليس له — أو بالأحرى — (It) — صوت ولا وسائل مباشرة للتواصل. إنه يعلمنا بشكل صامت، من خلال التصميم الكامل، بكل الأصوات، وبواسطة كل الوسائل التي اختارها لتعليمنا

(1978، ص. 148)

من ثم، وفيما لا يعرف الراوي إلا على نحو دائري كـ «صوت» قصصي أو «متكلم» في النص، فالمؤلف الضمني — على نحو متعارض وتعريفي — صامت وأبكم. بهذا المعنى، يجب رؤية المؤلف الضمني كشئيد يستنتجه ويجمعه القارئ من كل مكونات النص. والحق أن

الكلام عن المؤلف الضمني كتشديد مؤسس على النص يبدو لي أكثر
أماناً من تخيله كـ «وعي» مشخص أو «ذات ثانية».

مثل المؤلف الضمني، القارئ الضمني تشديد أيضاً. وكما أن الأول
يختلف عن المؤلف الحقيقي والراوي، فالقارئ الضمني يتميز عن
القارئ الحقيقي والمروي له (انظر ص. ص. 172 — 174).

حسب تشاتمان، لكل نص مؤلف ضمني وقارئ ضمني، أما
الراوي والمروي له فغير إلزاميين (لهذا وُضعا بين قوسين في الرسم
البياني) (ص. 150). حين يحضر هذان الأخيران يتقدم التواصل من
المؤلف الضمني إلى الراوي إلى المروي له وفي الأخير إلى القارئ
الضمني. وحين يغيبان، يكون التواصل مقتصرًا على المؤلف الضمني
والقارئ الضمني.

النقطة الأخيرة هي إحدى الصعوبتين الكبيرتين التي وجدت في
رسم تشاتمان. إذا كان المؤلف الضمني تشييداً ليس إلا، وإذا كانت
خاصيته المحددة (في تعارضه مع الراوي) تكمن في أن ليس له «صوت
ولا وسيلة مباشرة للتواصل» (ص 148)، فإن ذلك يبدو تناقضاً
اصطلاحياً في توزيعه على دور المتلقي في وضعية التواصل⁽²⁾. هذا
لا يعني إنكار مغزى المؤلف الضمني أو أهميته في التحليل أو حتى
في مجرد فهم التخيل القصصي. على العكس، أعتقد أن هذا المفهوم
مهم وكثيراً ما يكون حاسماً في تحديد موقف القارئ لمكون رئيسي
كالراوي (في أغلب حالات اللاموثوقية، انظر ص. ص. 148 —
152). إن إدعائي هو أنه إذا وجب على مفهوم المؤلف الضمني أن
يكون مميزاً، عن المؤلف الحقيقي والراوي على نحو متأسك، فعليه ألا
يكون مشخصاً. ومن الأفضل أن يعتبر كجملة من المعايير الضمنية

(2) يصعب أيضاً رؤية كيف يمكن القول إن «IT» — كبنوة لاشخصية
ضمنية — «اختارت» وسيلة تواصلها (تشاتمان 1978، ص. 148).

عوض متكلم أو صوت (بمعنى ذات). ومن ثم يستنتج أن المؤلف الضمني لا يمكن أن يكون مشاركا في وضعية التواصل القصصية على نحو حرفي⁽³⁾.

اعتراضي الثاني على رسم تشاتمان يتعلق بمعالجته للراوي والمروي له. ففيما يكمن التعديل الأول الذي اقترحت في عزل المؤلف والقارئ الضمنيين أثناء وصف وضعية التواصل، يقتضي اقتراحي الثاني تضمين الراوي والمروي له كعاملين أساسيين، وليس مجرد اختياريين في التواصل القصصي. ومن ثم أرفض عبارة «كما قد يكون أو لا يكون الراوي، فقد يكون أو لا يكون المروي له» (تشاتمان 1978، ص 150)⁽⁴⁾. في نظري هناك دائما حكاء في الحكاية، على الأقل وبمعنى أن أي تلفظ أو تسجيل للتلفظ يقتضي شخصا يتلفظه⁽⁵⁾. وحتى حين يُقدِّم نص قصصي مقاطع لحوار صرف، مخطوط وجد في زجاجة، أو رسائل منسية أو يوميات، فهناك إلى جانب المتكلمين أو كتاب هذه الخطابات، سلطة راوية «أكثر سموا» مسؤولة على «الاستشهاد» بالحوار أو «نسخ» التسجيل المكتوب.

(3) انظر النقاش بين بال و برونزوير (1981، ص. ص. 193 — 210).

(4) مثل هذه التصريحات تتلف احتراسا تشاتمان عند تحليل أن مقولته عن «القصص اللامروية»، قد تسمى «المروى على نحو أصغر» (مثلا، ص. 147). والانطباع الذي يشكله شخص ما هو أنه رغم رغبته في سبق الاعتراضات الممكنة، لا يؤمن تشاتمان بالقصص «اللامروية» (انظر أيضا ص. 155 حول مقطع من «يوليسيس» لجويس: «ليس هناك راوٍ»).

(5) يعبر فالور (1977، ص. 78) عن نفس الرؤية عند اتفاقه مع بوث. من جهة أخرى، تظهر رؤية تشاتمان متأثرة بلساني كورودا (1973، 1975) وبانفيلد (1973، 1978 a، 1978 b، 1981) الذين بدورهم يقتربون، في هذه القضية، من الباحثة الألمانية كيت هامبرغر (1973، الطبعة الأصلية بالألمانية 1957).

عكس تشاتمان، أُعرف الراوي، على نحو أصغر، كأداة، على الأقل، تروي أو تلتزم بنشاط ما يخدم حاجيات السرد. إن كتابة اليوميات أو الرسائل شكل من السرد، رغم أن من يكتبها قد لا يكون قاصدا ذلك، أو قد يكون واعيا بما يرويّه. من جهة أخرى، يعتقد تشاتمان «أن تدوين اليوميات لا يكون بحاجة إلى الرواية على الرغم من أنه كثيرا ما قد يروي. فقد تُنظم قصة ما في شكل رسائل لا تعتبر فيه كل جملة إلا على علاقة هنا — الآن بين المراسلين، (1978، ص. 170). وعوض ثنائية تشاتمان بين الراوي الغائب والراوي الحاضر، اقترح تمييز أشكال ودرجات الإدراكية للراوي في النص. نفس الشيء يطال المروي له. بالنسبة لي هو أداة يتوجه إليها الراوي، على نحو أقل، بشكل ضمني. المروي له من هذا النوع يكون دائما ضمنيا، حتى حين يصير الراوي مرويا لنفسه. مثل هذه الحالة توجد في «الغريب» لكامو (1942) التي يعتبرها تشاتمان قصا بدون مروي له، وهو عكس ما أرى.

من ضمن المشاركين الستة في رسم تشاتمان، أربعة منهم متصلون بتصورى للسرد : المؤلف الحقيقي، القارئ الحقيقي، الراوي والمروي له. علاوة على ذلك، وكما اقترحت في المدخل، فالعملية التجريبية للتواصل بين المؤلف والراوي هي أقل اتصالا بشعرية التخيل القصصي منها بنظيرتها في النص. هكذا، سيعالج هذا الفصل المشاركين الإثنين فقط : الراوي والمروي له التخيليين. وستتم الإشارة إلى المؤلف والقارئ الضمنيين عند الاقتضاء، أما التحليل الأكثر إفادة لهذه التشييدات فسيحتفظ به حتى الفصل 9.

العلاقات بين السرد والقصة

العلاقات الزمنية

مادام السرد حدثا كأي شيء آخر، فبإمكانه إضمار علاقات زمنية

متنوعة مع أحداث القصة. وهذه مصنفة من قبل جنيت تحت أربعة عناوين. تقول لنا الفطرة السليمة إن الأحداث لا تروى إلا بعد أن تقع («سرد لاحق») مثل ما في «توم دجونز» لفيلدينغ (1749)، «الآمال الكبرى» لديكنز (1860 — 1861) و «السيدة دالوي» لولوف (1925)، للإشارة فقط لبعض النصوص التي يستعمل فيها هذا النوع من السرد بشكل متواتر. على أن المسافة بين السرد والأحداث. تتنوع من نص لآخر: حوالي خمس عشرة سنة في «الآمال الكبرى» ويوم واحد في «الغريب»، لكن لا يكون السرد بعد الحدث (عادة في صيغة الماضي) الامكانية الوحيدة. ولأسباب واضحة، نادرا ما يكون السرد سابقا للأحداث («سرد سابق»). إنه نوع السرد التوقعي الذي عادة ما يستعمل صيغة المستقبل، لكن أحيانا صيغة الحاضر. ولئن كانت الأمثلة على ذلك زاحرة في التنبؤات التواتية، فالنصوص الحديثة التامة المكتوبة بمسحة توقعية قليلة. بدلا من ذلك، يميل هذا النوع من السرد إلى الظهور في القص من داخله على تشكل تنبؤات، لعنات أو أحلام الشخص التخييلية، كالرؤيا لشرح المستقبل التي يقدمها الملاك ميكائيل إلى آدام في الكتابين XI -- XII من «الفردوس المفقود» لميلتون (1667)، وهو قص تتأكد طبيعته التوقعية من قبل المعرفة التاريخية للقارئ الحديث. وبطبيعة الحال، كل استباق «جواب» لسرد سابق.

النوع الثالث من السرد هو المتزامن الآني مع الفعل، على سبيل المثال التقرير أو تدوين اليوميات⁽⁶⁾. في «التعديل» لبوتور، يبدو الراوي الذي يتوجه إلى نفسه بظهير المخاطب، أنه يتلفظ بأفعاله لحظة القيام بها :

(6) إذا ما قبل أحد رؤية ديريدا «Différance» (1973) فلن يكون هناك — أي سرد متزامنا آنيا مع الفعل. ماهو مقبول تقليديا «كسرد متزامن آني، هو السرد المبعد، على نحو أصغر من الفعل.

وضعت قدمك اليسرى على فرزة البرميل، وعبثا حاولت
بكتفك الأيمن دفع اللوح المنزلق بعيدا شيئا ما... ثم،
حقيبتك... ترفعها وتحس بعضلاتك وأعصابك.

(1957، ص. 9، الترجمة الانجليزية لشلوميت)

حين لا يكون القول والفعل متزامنين آنيا، بل يلحق الواحد الآخر
بالتناوب يكون السرد من النوع الرابع أي مقحما. والأمثلة
الكلاسيكية لهذا النوع هي الروايات الرسائية كـ «العلاقات الخطرة»
للاكولو (1782) التي كثيرا ما تخدم فيها كتابة الرسائل كلاً من رواية
حدث ماضي حديث وتشعل فتيل حدث مستقبل قريب.

ليست المسافة بين القصة والسرد هي التي تحدد وحدها التحديد
الزمني لهذا الأخير. من حيث المبدأ، السرد كذلك ديمومة (بمعنى
الزمن الذي يستغرقه لقول شيء). ومع ذلك، تتجاهل أغلب
التخييلات هذه الديمومة على نحو اصطلاحى، وتعالج السرد كما لو أنه
كان فوريا (في كثير من الأحوال يستثنى من هذه القاعدة القص داخل
القص). والنتيجة المفارقة لتجاهل هذا الاصطلاح متمسحة بشكل
فطن في «تريسترام شاندي» (Tristram shandy) لستورن (1760).
فبعد سنة كاملة من الكتابة، يدرك تريسترام أن كل ما كتبه ليس
سوى اليوم الأول من حياته. هكذا، يتوانى السرد دائما خلف المعيش.
بقدر ما يكتب، بقدر ما يتوجب عليه الكتابة عن ذلك، وبالتالي يبدو
إتمام مشروع الكتابة مستحيلا.

مثل ديمومة فعل السرد، لا يكون المكان الذي وقع فيه الفعل بحاجة
إلى الإشارة إليه، ولا القارئ بحاجة إلى مثل هذا التفصيل. مرة أخرى
القص داخل القص هو الاستثناء. على سبيل المثال تصف «قلب
الظلام» لكونراد (1902) بتفصيل الباخرة التي يقع على متنها سرد
مارلو، كما تؤسس كثيرا من التناظرات بين سرده والقصة التي يرويها :

كل من السرد والأحداث يحدث في قلب الظلام، وفي كلا الحالتين تختزل شخصية (مارلو، كورتز) إلى صوت، الخ.

علاقات الاختصاص : المستويات القصصية

أغلب ما قلته حتى الآن تعلق بسرد «القصة»، لكن قد يكون هناك سرد «في» القصة كذلك فالشخصية التي تكون أفعالها مواضيع للسرد، يمكن أن تلتزم بدورها بأن تروي قصة. وداخل قصتها قد تكون بطبيعة الحال أيضا شخصية أخرى تروي قصة أخرى، وهلم جرا ضمن ارتداد لانهائي. مثل هذا القص داخل القص يخلق تراصف مستويات بواسطته يكون كل قص داخلي خاضعا للقص الذي يدمج فيه.

ضمن هذه البنية التراتبية، المستوى الأشد علوا هو المستوى الآني الأعلى على القص الأول، المتعلق بسرده (يسمى جنيت 1972 ذلك «المستوى خارج حكائي، حكايته تناظر تقريبا «القصة» عندي). في هذا المستوى يقدم راوي «حكايات كنتيرييري» لتشوسر (حوالي 1390 — 1400) حُجَّاجه، ويروي بيب البالغ في «الآمال الكبرى» طفولته، ويوجه بورتنوي «شكاواه» إلى الطبيب النفساني الصامت. إن الذي يخضع على نحو آني للمستوى الخارج حكائي هو المستوى الحكائي المروي بواسطته، أي الأحداث ذاتها : رحلة الحجاج إلى ضريح القديس Thomas à Becket، عشق بيب لإيستلا، وصراع بورتنوي مع الأم اليهودية. قد تتضمن الأحداث سرد الأفعال الكلامية — سواء شفاهية، مثلما حين يتولى حجاج تشوسر قول القصص، أو كتابية، مثل روايات سيبستيان في «الحياة الحقيقية للفارس سيبستيان» لنابوكوف (1941). وتشكل القصص التي تقولها الشخصيات التخيلية، مثلا استغلال بائع صكوك الغفران، درجة

قصصية ثانية، ومن ثم مستوى تحت حكائي (أي مستوى «تحت» مستوى آخر من الحكائية)⁽⁷⁾. والسرد يكون دائما في مستوى قصصي أعلى من القصة التي يرويها. هكذا، فالمستوى الحكائي يروي من قبل راوٍ خارج حكائي، والمستوى التحت حكائي من قبل راوٍ داخل حكائي.

قد تكون للقصص تحت / حكائي وظائف متنوعة في علاقته مع القص الذي يدمج فيه. هذه الوظائف أحيانا ماتقدم على نحو منفصل وأحيانا منظمة :

أ — الوظيفة الفعلية : ثمة قص تحت / حكائي يحافظ على أو يدفع إلى الأمام ب «فعل» القص الأول عن طريق كونه مبروياً، في الواقع تماماً، بصرف النظر (أو تقريباً بصرف النظر) عن مضمونه. المثال الكلاسيكي لذلك هو «ألف ليلة وليلة». فحياة شهرزاد متوقفة على السرد والشرط الوحيد الذي على قصصها أن تحققه هو تقوية اهتمام السلطان.

ب — الوظيفة التفسيرية : يقدم المستوى التحت / حكائي شرحاً للمستوى الحكائي، مجيباً عن أسئلة ك : إلى م تقود أحداث الوضعية الحالية ؟ في هذه الحالة، ما يمتلك الأهمية الأولى هي القصة المروية وليس فعل السرد ذاته. فسرد توماس سوتبان في «Absalom» «! Absalom لفوكنر (1936) لطفولته إلى الجنرال كومبس،

(7) تعتمد مناقشتي حول المستويات القصصية بشكل كبير على جنيت (1972)، ص. ص. 238 — 251)، أما الأمثلة فهي في الغالب من عندي. أفضل «تحت حكائي» عند بال (1977 — ص. ص. 25، 59 — 85) على «ميتاحكائي» عند جنيت، باعتبار أن الأخير يشوبه الخلط بالنظر إلى المعنى المعارض لـ «ميتا» في المنطق واللسانيات (مستوى فوق وليس تحت). يعتذر جنيت على هذا الخلط في ص. 239 n. I. انظر المناقشة الإضافية عند بال، 1981، ص. ص. 41 — 59.

وخاصة لمجابهته المحترقة مع الخادم الأسود (مستوى تحت — تحت حكائي) يشرح كيف فقد سوتبان براءته وأمسى متكلا على نفسه، شخص لا — أخلاقي هو.

ج — الوظيفة التيمانية : تكون العلاقات المؤسسة بين المستوى التحت / حكائي والمستوى الحكائي علاقات تناظر، أي التشابه والتقابل. وتهيمن هذه الوظيفة في «الحياة الحقيقية للفارس سيبيستان» لنابوكوف. لنورد مثالا ضمن العديد من الأمثلة : تناظر بشكل آخاذ القصة في آخر رواية لسيبيستان «أسفودل الشاك» (مستوى تحت — تحت حكائي) بحث ٧ عن «حياة حقيقية» لنصف أخيه سيبيستان (مستوى حكائي). وموضوع رواية سيبيستان هو رجل يغرق وفي حوزته سر، حقيقة مطلقة، لإفشائها، لكنه يموت قبل تلفظه بكلمة يمكن أن تغير حياة كل من بإمكانه الاستفادة من هذا البوح. بنفس الطراز، يسعى ٧ يائسا للوصول إلى سيبيستان المحتضر، معتقدا «أنه يملك شيئا يقوله لي، شيئا ذا أهمية لحدود لها» (1971، ص. 162، الطبعة الأصلية، 1941)، غير أن سيبيستان يلفظ أنفاسه دون أن تفوه شفتاه بشيء (حول هذا التناظر وتناظرات أخرى في الرواية، انظر ريمون B 1976)، ص. ص. 489 — 512).

يُعرف التناظر، الذي يتأخم الهوية، جاعلا المستوى التحت حكائي كمرآة وصورة مطابقة ثانية للحكائي، بالفرنسية كـ إرصاد (mise en abyme). ويمكن وصفه كمعادل في التخيل القصصي لشيء مثل لوحة مايكس الشهيرة لغرفة تتضمن نسخة مصغرة لنفس اللوحات المعلقة على أحد الجدران. ومنذ تعبير جيد Gide عن ميله إلى الارصاد، الذي وصفه في مذكراته كنقل لتيمة الأثر إلى مستوى الشخص (1948، ص. 41)، تمت مناقشة التقنية بكثرة، خاصة في العالم الناطق بالفرنسية (ك : ريكاردو 1967، 1971 ؛ دالباخ

1977 ؛ بال 1978). المثال الشهير لجيد هو «مزيفو النقود» (1949) حيث تلتزم إحدى الشخصيات بكتابة رواية مشابهة للرواية التي تظهر فيها. لكن نظراً لمحدودية مجال هذا الدراسة، فلن أشير إلى الإحصاء إلا بإيجاز، دون سبرغور تنويعات أنواعه، وظائفه ومغازية. من حيث المبدأ، يتأثر الانتقال من مستوى قصصي إلى آخر من قبل فعل السرد الذي يلفت انتباه القارئ إلى النقل. هكذا، في «حكايات كنترييري» :

وشرع يلقي، بمرح حقيقي جدا
حكايته حالا، كما كتبت هنا.

التمهيد العام II. 857 — 858

لا يوماً أحياناً إلى الانتقال، وبُنتهك فصل المستويات. حين يتوجه الراوي في «بيير أو الالتباسات» إلى القارئ بتعليق ك : «في الوقت الذي يدور بيير ولوسي تحت شجر الدردار، دعنا نقول من كانت لويس تارتان، (1964، ص. 45 الطبعة الأصلية 1852)، فإنه يعالج السرد (مستوى خارج حكائي) كما لو كان هذا الأخير معاصراً للأحداث المروية (مستوى حكائي)، وبالتالي عليه أن يملأ «الفترات الميتة» في القصة. ولارتدادات الراوي في «تريسترام شاندي» نفس التأثير عندما يقاطع تقديم السيدة شاندي بـ : «في هذا الموقف أنا مصمم على تركها تقف لخمس دقائق حتى أعرض قضايا المطبخ... لنفس الفترة» (1967، ص 353). إلى جانب تقويض الفصل بين السرد والقصة، تضع «تريسترام شاندي» كذلك المروي له والقصة في نفس المستوى : تقوم بذلك عندما تطلب من «القارئ العزيز» مساعدة تريسترام للوصول إلى سريره (1967، ك 285).

كثيراً ما تلعب النصوص الحديثة ذات الوعي — الذاتي بالمستويات القصصية بهدف مساءلة الخط الفاصل بين الواقع والتخييل أو تقترح

أنه قد لا يكون هناك واقع بصرف النظر عن سرده. المثال الصارم لتعاضدية المستويات القصصية هو «ثرو» (Thru) لكريستين بروك روز⁽⁸⁾. فعلى نحو متكرر تعكس الرواية التراتبية، محولة بذلك الموضوع المروي إلى أداة راوية والعكس بالعكس. ويسقط الفارق بين الخارج والداخل، المحتوي والمحتوى، الذات الراوية والموضوع المروي، المستوى الأعلى والمستوى الأدنى، محدثا مفارقة يصوغها النص بإيجاز كلي: «الذي يخترع يخترعك أيضا» (1975، ص. 53).

نمذجة الرواية

يشكل مستوى القصة الذي ينتمي إليه الراوي، مدى مشاركته في القصة، درجة إدراكية دوره، وأخيرا موثوقيته، عوامل حاسمة في فهم القارئ للقصة وموقفه منها. بحسب هذه المقاييس سيتم تقديم تنوع الرواية. إلا أن هذه المقاييس غير مقصورة، وتسمح بالضم — المتعارض بين الأنواع المختلفة.

مستوى القصة

يكون الراوي الذي هو «أعلى» أو فوق القصة التي يرويها، «خارج حكايتها»، مثل المستوى الذي هو جزء منه (جنيت 1972، ص. 255 — 256). ينتمي إلى هذه المقولة رواية فيلدينغ في «توم دجونز» (1749)، «الأب غوريو» لبلزاك (1834)، «أبناء وعشاق» للورانس (1913)، لكن أيضا، وكما سأبرهن حالا، «الآمال الكبرى» لديكنز (1860 — 1861). من جهة أخرى، إذا كان

(8) أشار إلى هذا النص ضمن سلسلة New Accents كل من هاوكس (1977) و فاولر (1977)، في سبيل تقنيات تجريبية متنوعة. لأجل مناقشة مفصلة لهذه الرواية انظر ريمون — كنعان 1982.

الراوي كذلك شخصية حكاية في القص الأول الذي يرويهِ راو خارج حكائي، فيكون من درجة ثانية أو راويا داخل حكائي (جنيت 1972، ص. ص. 255 — 256). الأمثلة على ذلك، مارلو في «قلب الظلام» لكونراد وبائع صكوك الغفران في «حكايات كنترييري». ثمة كذلك رواة من درجة ثالثة (أي تحت حكائي)، درجة رابعة (تحت — تحت حكائي)، الخ. في «دورة اللولب» لجيمس (1898)، الراوي الخارج حكائي مجهول «أنا»، والراوي الداخل حكائي هو دوغلاس، والراوي التحت حكائي هي المربية.

مدى المشاركة في القصة

يمكن أن يكون كل من الراوي الخارج / حكائي والراوي الداخل / حكائي غائبين أو حاضرين في القصة التي يرويانها، يسمى الراوي الذي لا يشارك في القصة «متباين القصة» (جنيت 1972، ص. ص. 255 — 256)، فيما يكون الراوي الذي يتعهد بدور فيها، على الأقل في بعض تظاهرات «ذاته»، متماثل القصة (ص. ص. 255 — 256).

إن الرواة الخارج حكائين في «توم دجونز»، «الأب غوريو» و «أبناء وعشاق» ليسوا بأي معنى مشاركين في القصص التي يروونها (إنهم بالتالي خارج حكائين ومتباينو القصة). بالتحديد، فما يمنح هؤلاء الرواة الميزة التي كثيرا ما تسمى بـ «العلم بكل شيء» هو كونهم غائبين من القصة وكون سلطتهم الروائية الأعلى متصلة بالقصة. ولعل «العلم بكل شيء» مصطلح مبالغ فيه، خاصة بالنسبة للرواة الخارج حكائين الحديثين. برغم ذلك، فالمميزات التي يوحى بها المصطلح مازالت متصلة بالموضوع، أعني الألفة، من حيث المبدأ، مع الأفكار الأعمق وأحاسيس الشخص؛ معرفة الماضي، الحاضر والمستقبل، الحضور في الأمكنة التي يفترض أن تكون فيها الشخص لوجودها

(مثلا، جولة فردية أو أثناء مشهد غرامي في غرفة مغلقة) ومعرفة ما يحدث في أماكن عدة في ذات الآن (إيوين 1974، ص. ص. 144 — 146).

لتقارن بين رواة فيلدينغ، بلزاك ولورانس مع ييب في «الآمال الكبرى». مثلهم، يشكل ييب سلطة روائية أعلى في علاقته بالقصة التي يرويها من «أعلى». ورغم أنه، من حيث المبدأ، غير عليم بكل شيء، فإنه حين يروي القصة، يعلم «كل شيء» عنها، مثل الرواة الخارج حكايتين السابقين. فهو يعلم حل اللغز المتعلق بهوية المحسن الغامض (تفصيل حاسم يخفيه عن القارئ لمدة طويلة)، وله علم بالأحداث المتزامنة الآنية التي تحدث في أمكنة مختلفة، مثلا زواج إيستيلا وطلاقها أثناء الفترة التي يقضيها المعجب بها في الطفولة في لندن والقاهرة، وله وعي بالانفعالات الأعمق للشخص كالحاجة إلى الانتقام المحفز ميس هافيشام على استغلال إيستيلا بهدف سحق قلوب الرجال، الخ. لكن، وعكس الرواة الخارج حكايتين الآخرين، فييب يقول قصة يشارك فيها لما كان حدثا. إنه بالتالي راو متماثل — لا ومتباين القصة.

مثل الرواة الخارج حكايتين، يمكن للرواة الداخل حكايتين أن يكونوا أيضا إما متبايني القصة أو متماثلي القصة. فشهزاد شخصية تخيلية في قصة يرويها راو خارج حكاية. لكن في القصص التي ترويها هي نفسها، لاتبدو كشخصية، ومن ثم فهي راو متباين القصة — داخل حكاية. من جهة أخرى، يشارك أيضا كل من بائع صكوك الغفران لدى تشوسر، ولوكوود في «مرتفعات وودرينغ» (1847) في القصص التي يرويها: بالتالي فهما متماثلو القصة — داخل حكايتين.

تتنوع درجة مشاركة الرواة المتماثلي القصة (أكانوا خارج حكايتين

أو داخل حكايتين) من حالة إلى أخرى. يلعب كل من ييب (خارج — متائل القصة) وبائع صكوك الغفران (داخل — متائل القصة) دورا مركزيا فيما يتعلق بالقصص التي يرويها (أبطال — رواة) — أو بشكل مختلف، يرويان قصتهما (رواة حكايتون — ذاتيون، باصطلاح جنيت). من جهة أخرى فدور لوكوود ثانوي (راوي — شاهد).

درجة الادراكية

تندرج هذه الدرجة من الحد الأعلى للخفاء (كثيرا ما يؤخذ، على نحو خاطئ، كغياب كلي للراوي) إلى الحد الأعلى للتجلي⁽⁹⁾. فـ: «القتلة» لهيمنغواي، والتي تقريبا كلها محدودة في الحوار، عادة ما يشي عليها النقاد بفعل خفاء راويها (انظر المثال في الفصل 4، ص. 54). وبرغم ذلك، فالحوار «يستشهد به» شخص، هو نفس الشخص الذي يحدد هوية المتكلمين («سأل نيك»، «قال أل»، الخ)، ويصف المطعم وكذا المظهر الخارجي للشخص. من هذا «الشخص» إن لم يكن هو الراوي؟ علاوة على ذلك، في ثلاث نقاط من النص يصبح حضور الراوي أكثر إدراكا، مفضيا اطلاق الماضي: تشكل ماضي هنري من التقلات من الصالون إلى طاولة الطعام (1965، ص. 61، الطبعة الأصلية 1928) «لم يمسه نيك فمه بمنشفة قط» (ص. 65)، «كان أول أندرسن بطلا مصارعا من الوزن الثقيل» (ص. 66). ومن ثم يمكن اكتشاف علامات التجلي حتى في النص الذي يكون فيه الراوي، تقريبا، خفيا بشكل صرف. في الحالات

(9) هذه مصطلحات تشاتمان (1978، ص. ص. 197 — 252). إلا أنني أحصر «القصص اللامروية» تحت مقولة السرد الخفي. ويصف بوث نفس الظواهر كالرواة «الدراميين» مقابل الرواة «غير الدراميين» (1961، ص. 151 — 153).

الأقل صرفاً، ثمة عدد كبير من علامات التجلي التي يُعدها تشاتمان (1978، ص. ص. 220 — 252) في ترتيب تصاعدي للدراكية.

أ — وصف المكان والزمان : هذه العلامة الصغرى، على نحو نسبي، على حضور الراوي تحدث حتى عند هيمنغواي. لتأمل، على سبيل المثال، مستهل «تلال كالفيلة البيضاء» :

كانت التلال عبر وادي إيبرو طويلة وبيضاء. ففي هذا الجانب لم يكن ظل ولا شجر، وكانت المحطة بين سياجين تحت الشمس، بمحاذاة جانب المحطة تمدد دفء ظل المبنى، وعلى باب الحانة المفتوح علق ستار من عقد قضبان الخيزران لصد الذباب.

(1965، ص. 51، الطبعة الأصلية. 1928) (10)

بإمكان هذه الأشياء أن تشاهد في فيلم أو عرض مسرحي، على نحو مباشر. أما في التخييل القصصي فعليها أن تقال بواسطة اللغة، وهذه اللغة هي للراوي.

ب — تحديد هوية الشخص : تظهر عبارات كـ «إيماوودهاوس، المليحة، الذكية، الثرية، بمنزل مريح ومزاج سعيد...» (أوستن 1974، ص. 37. الطبعة الأصلية 1816) أو «قالت السيدة دالوي إنها ستشتري الورود بنفسها» (وولف 1974، ص. 5. الطبعة الأصلية 1925)، الاطلاع السابق على الشخصية من قبل الراوي الذي يمكن أن يحدد هويتها إلى القارئ في بداية النص. مثل هذه العبارات تتضمن كذلك افتراضاً بأن القارئ — المروي له لا يشترك في هذا الاطلاع، افتراض يميز أحد أدوار الراوي، بمعنى نقل ما يجمله الآخرون. يتخطى

(10) لاحظ أنه «في هذا الجانب» قد يشار إلى ضم ما ينقله الراوي مع إدراك المبرر. انظر الفصلين 6 و 8 (القسم حول غ ح).

راوي أوستن تحديد الهوية ليزود بتمييز كلي للبطل. من جهة أخرى، يحدد راوي وولف هوية الشخصية ليس غير، محيلا التفاصيل الإضافية إلى عبارات بين معقوفتين إما في شكل ملاحظات لشخص آخر أو في شكل أفكار السيدة دالوي. لنورد ملاحظة جار نطلع بواسطته على عمر كلاريسا ومرضها : «لها ميزة طائر، الزرياب، أخضر مائل إلى الزرق، مشرق، مفعم بالحوية، ورغم تجاوزها العقد الخمسين، فقد أمست شاحبة منذ أن داهمها المرض» (1974، ص. 6). وعلى الرغم من أن حضور الراوي أقل إدراكا في «السيدة دالوي» منه في «إيما»، فإننا، مع ذلك، نستشعره في النص الأول عبر تحديد الهوية.

ج — التلخيص الزمني : «يُفترض التلخيص رغبة لتعليل مرور الوقت، للإجابة على الأسئلة في ذهن المروي له حول ما حدث في الفترة الفاصلة. ولا يمكن للتعليل إلا أن يلفت انتباه من يشعر أنه ملزم بإجراء هذا التعليل» (تشاتمان 1978، ص. 223). إن التلخيص الموجز لمجمل حياة ألبينو في مستهل «ضحك في الظلام» لنابوكوف، وكذا ضغط ست عشرة سنة في «التربية العاطفية» لفلوبير (للاشارة فقط للتلخيص الوارد آنفا في الفصل السابق ص. 83 — 87) يتضمن حضور راو وكذا مفهومه لما يجب قوله بتفصيل وما يمكن روايته باختصار شديد.

د — تعريف الشخصية : فيما لا يتضمن تحديد هوية الشخصية إلا إطلاع الراوي السابق عليها أو معرفته بها، يقترح التعريف كذلك التجريد، التعميم أو التلخيص من لدن الراوي أيضا، كـرغبة في تقديم مثل هذه العنونة كتمييز موثوق به. على هذا النحو يعرف راوي جيمس البطل في «صورة امرأة» :

كانت إيزابيل آرتشر شابة ذات نظريات عدة، وكان خيالها نشطا بشكل لافت للنظر... وأفكارها كتلة متشابكة من

الخططات الغامضة التي لم تصحح قط من قبل أحكام من يتكلمون بالحق... كانت لها طريقها الخاصة التي قادت إلى ألف تعرج سخيف.

(1964، ص. 49، الطبعة الأصلية 1881)

مثل هذه التعريفات تميل إلى تحمل ثقل حينما يقدمها راو خارج حكائي، أكثر من حينما يقدمها راو داخل حكائي.

هـ — نقل ما لم تفكر فيه أو ثقله الشخص : إن الراوي الذي بإمكانه قول أشياء تكون الشخص على وعي بها أو تخفيها عن قصد، يبدو كمصدر مستقل للحقائق. مثال على ذلك من «تيس داربر فيلز» (Tess of the D'Urbervilles) لهاردي :

كان كل يوم، كل ساعة، يجلبان له ضربة أخرى لطبيعتها، وواحدة لها منه. وطالما حاولت تيس أن تعيش حياة مقموعة، إلا أنها تنبأت لقوة حيويتها.

(1963، ص. 143، الطبعة الأصلية 1891)

و — التعليق : يمكن أن يكون التعليق إما على القصة أو السرد. أحد أشكال التعليق على القصة هو «التأويل» كعندما يشرح راوي كارسن ماكالرز في «المقيم» الحالة الذهنية الكامنة خلف الرقة المفاجئة للشخصية (المقدم في السن) تجاه ابن عشيقته، الذي لم يكن يطيقه : «بيأس داخلي، حزن الطفل كما لو أن انفعالا يشبه الحب في قلبه تمكن من السيطرة على نبض الزمن» (1971، ص. 346. الطبعة الأصلية 1951). وغالبا ماتزود التأويلات بحقائق ليس حول الموضوع المباشر فحسب، بل حول المؤول. على سبيل المثال يطور راوي جيمس في «الينبوع المقدس» نظرية كاملة حول إمكانية العلاقات الشبة ابتزازية بين الضيوف الأربعة في المنزل الريفي الذي

يقوم بزيارته. عن طريق تأملاته المبلورة، نعلم، على الأقل، أشياء عنه (خياله المتطور بشكل كبير، استخفافه بالآخرين، نزعه لاستقطاب البشر، الخ) بالقدر الذي نكتشفه في الآخرين الذين يؤول سلوكياتهم. ولعل الأكثر إماطة للثام عن الموقف الأخلاقي للراوي هو «الأحكام». فمثل كثير من التأويلات والتعريفات، يقترب المقطع المستشهد به آنفا من «صورة امرأة» من الحكم. لكن هناك مقاطع أخرى في نفس الرواية أكثر حكما على نحو مباشر :

قد يتأكد بدون توان من أن إيزابيل كانت عرضة لذنوب الغرور، فغالبا ما عاينت برضا حقل طبيعتها، واعتادت على التسليم جدلا، وبالبرهان الهزيل، بأنها على حق، وتعاملت مع نفسها بحسب دواعي الاجلال.

(ص. 50)

لا ينحصر النوع الثالث من التعليق «التعميم» في شخصية معينة، حدث، أو وضعية بل يطال مغزى حالة خاصة بشكل يمكن تطبيقه على مجموعة، دولة، أو الانسانية جمعاء، بخلاصة القول. مثل هذا النوع يوجد في «أنا كارينينا» لتولستوي : «العائلات السعيدة تتشابه، وكل عائلة بئيسة تعيش بؤسها بطريقة الخاصة» (1950، ص. 3، الطبعة الأصلية بالروسية 1873 — 1876).

وعكس التأويل، الحكم والتعميم المرتبطين بالقصة، لايهتم التعليق على السرد بالعالم المتمثل فحسب، بل بالمسائل التي تمثله. في «منزل كتيب» لديكنز، تبدأ إايستر قصتها على هذا النحو : «أجد صعوبة في الشروع في كتابة حصتي على هذه الصفحات، لأنني أعلم أنني غير ذكية، كنت دائما أعرف، (1964، ص. 30، الطبعة الأصلية 1853) فايستر تعلق، على نحو تبريري، على إحساسها بعدم كفاءتها كراوية، لكن تحفظاتها لاتقوض صرح الواقع التخيلي للقصة التي

ترويهـا. لنقارن ذلك بـ «وات» (Watt) لبيكيت حيث يستتبع تاريخ عائلة لينتش بهامش :

خمسة أجيال، ثمان وعشرون نفسا، تسع مئة وثمانية سنة، كان هذا هو السجل الفخور لعائلة لينتش عندما دخل وات في خدمة السيد نوت^(*)

(1972، ص. 101، الطبعة الأصلية بالفرنسية 1953)

إن استخدام الهامش في الاثر التخيلي نادر، ويلفت الانتباه الآلي لحضور راو متأمل في سرده. إلى جانب ذلك، يتعارض الهامش مع الحقائق المقدمة في النص، وبالتالي يتلف معقولية النص أو موثوقية الراوي أو كلاهما معا. ومهما يكن، فإنه يؤكد على مكانة النص كبراعة فنية، مثيرا بذلك تأملات حول التخيلية والنصية اللتين هما نموذجيتان للقص الواعي بذاته.

الموثوقية :

الراوي الموثوق به هو من يفترض، نقله للقصة والتعليق عليها، من القارئ أن يأخذها كتقرير جازم للحقيقة التخيلية. من جهة أخرى، الراوي غير الموثوق به هو من ينقل القصة أو يعلق عليها وتكون للقارئ أسباب في الارتياب منها. بطبيعة الحال، ثمة اختلاف في درجات اللاموثوقية، لكن كيف بإمكان القارئ معرفة ما إذا كان يفترض فيه أن يثق أو يشك في تقرير الراوي ؟ ما هي المؤشرات التي يمنحها له النص بشكل أو بآخر ؟ لعل علامات اللاموثوقية أسهل للتحديد، ومن ثم يمكن للموثوقية أن تحدد، على نحو سلبي، عن طريق غياب العلامات.

(*) الوجهة المقدمة هنا غير صحيحة، وبالتالي فالحسابات الناتجة خاطئة على نحو مضاعف. [الهامش لبيكيت].

إن المصادر الأساسية للاموثوقية هي الاطلاع المحدود للراوي، تضمنه الشخصي، وقيمة مشروعه الاشكالي. ربما يكون الراوي الشاب المثال الواضح على المعرفة المحدودة (والفهم)، على سبيل المثال، المراهق الذي يروي أحداثاً مضطربة عن ماضيه الحديث العهد في «صائد في الجاودار» لسالينغر (1951). ويكون الراوي الأبله مثال آخر، كـ: بينجي لدى فوكنر في القسم الأول من «الصحب والعنف» (1931). لكن أحياناً ما يتفوه به رواة راشدون وسليمو العقل بأشياء لا يعرفونها حق المعرفة. فروزا في «أبسلوم ! أبسلوم !» تروي بتفصيل كبير مشاجرة سوتبين مع السود على مرأى من أبنائهم، ثم تضيف : «لكنني لم أكن هناك، لم أكن هناك لرؤية وجهي سوتبين تنظران إلى الساحة عبر المدخل إلى الدور العلوي» (1972)، ص. 30).

إن سرد روزا مشبوه فيه ليس بفعل محدودية معرفتها فحسب، بل بفعل حضورها الشخصي، كرهها لسوتبين، وحسها المستديم بالاذى المترتب عن اقتراحه المهين بأنه لن يتزوجها إلا إذا نجحاً في الرزق لمولود ذكر أولاً. هكذا، تقدمه كشیطان، تميز مشوه بوضوح بفعل غيظها الذاتي (رغم تبريره). ما يتم الإرتياب منه في هذا المثل هو تقييم روزا لأفعال سوتبين بدل نقل الأحداث ذاتها (مثل ما في المثال السابق).

المصدر الثالث الممكن للاموثوقية هو تلوين الراوي للتقرير بواسطة قيمة مشروع مشكوك فيه. تعتبر قيم الراوي الأخلاقية موضع شك إذا لم تتفق والقيم الأخلاقية للمؤلف الضمني للأثر المعين. إذا لم يتقاسم المؤلف الضمني القيم مع الراوي، فإن هذا الأخير موثق به في هذا الاطار، مهما بدت رؤاه بغیظة لبعض القراء. والإشكال الذي يرافق هذه العبارة هو أن قيم (أو «معايير») المؤلف الضمني صعب

الوصول إليها، على نحو مشهر. فقد تؤثر عوامل متنوعة في النص على وجود ثغرة بين معايير المؤلف الضمني ومعايير الراوي : حين تتعارض الوقائع مع رؤى الراوي، يتم الحكم على لاموثوقية هذا الأخير (لكن كيف يؤسس شخص ما «الوقائع الحقيقية» خلف ظهر الراوي ؟) ؛ حين تبرهن حصيلة الأفعال على خطأ الراوي، يطرح الشك، على نحو استرجاعي، في موثوقيته في نقل الأحداث السابقة، وحين تصطدم رؤى شخص آخرى، بتساوق ، مع رؤى الراوي، إذ ذاك يتولد ارتياب في ذهن القارئ ؛ وحين تتضمن لغة الراوي تناقضات داخلية، صور ذات حدين، وغيرها، فقد ينشأ عنها أثر كيد مرتد، يتلف موثوقية مستعملها.

دعنا نورد، كمثال ملموس، مقطعاً مسلياً ومروعاً من «زيت الكلب» لامبروز بيرس :

إسمي بوفر بينغز. ولدت من أبوين مخلصين في دينا حياة أكثر تواضعاً، كان أبي صاحب معمل، زيت الكلب، وكان لأمي استوديو صغير في ستر كنيسة القرية حيث تخلصت فيها من الرضع غير المرغوب فيهم... كانت عادي الالتقاء بالرضع في النهر المساعدة طبيعته على هذا الغرض، لكن تلك الليلة لم أجرؤ على ترك المزينة مخافة رجل الشرطة. «ومع ذلك» قلت لنفسى» لن يكون هناك مشكل إذا وضعتها في هذا الرجل. ولن يعرف أبي قط العظام وسط عظام الجرو، والنزر القليل من الأموات المترتب عن تدبير نوع آخر من الزيت لـ OL. Can الغير ممكن مقارنته، ليس مهما في ساكنة تنمو بسرعة.

(1952، ص. 800، الطبعة الأصلية 1909 — 1912)

تندرنا التناقضات والتنافرات في لغة الراوي بإمكانية لاموثوقية

تقييماته، رغم أن ذلك غير ضروري في رصده للوقائع. كيف بإمكان أحد الكلام عن أم تتخلص من رضع غير مرغوب فيهم (وتقوم بذلك في ستر كنيسة القرية) كـ «مخلصة» ؟ كيف بإمكان أحد وصف، على نحو مثير للانتباه، طبيعة تمد بنهر يستقبل الرضع الملقى بهم فيه ؟ هذه التصريحات الضعيفة تعمل بطريقة مشابهة. فبعد أن يرمي برضيع في الرجل، لا يهتم بوفر إلا التحقق مما إذا كان أبوه سيميز بين عظام الرضيع وعظام الجرو. وماذا إذا ترتب أموات عن هذا الاجراء ؟ حسنا، فهؤلاء «ليسوا بذى أهمية في ساكنة تتكاثر بسرعة». تقترح كذلك نتيجة الفعل بأن الرعب الذي تمارسه عائلة بينغز تصعب معالجته بشكل أخف. حين يمنع تدخل أهل المدينة مواصلة هذا العمل، يحاول الأبوان التلهفان للاستمرار في مهنتهما، أن يوقف كل واحد منها حياة الآخر، وينتهي بهما الأمر إلى أن يُسلقا في الرجل : «مثل سيء لل مناسباتيه العائلية»، يعلق الراوي بنبرته المدركة (ص. 803).

على نحو ممتع، فحتى المقطع بالعلامات الكثيرة للاموثوقية يكون إشكاليا. فبدل اعتباره لاموثوقا به، ومن ثم مرمى السخرية التي يتقاسمها المؤلف الضمني والقارئ، ألا يمكن رؤية الراوي وهو يروي، على نحو ساخر، تجارب ذاته الشابة ؟ وهل لا يمكن أن تكون التقابلات، التنافرات والتصريحات الضعيفة طريقة الراوي في عرض الرعب والأخلاقيات التي منها الطفل بريء ؟ كحجة مضادة، قد يستحضر شخص ما أنه حتى بعد الأحداث، لا يشعر الراوي بالندم على لأخلاقية سلوكه الشاب، بل فقط «بسبب فعل طائش [الإلقاء بالرضيع في رجل الكلاب] مستتبعا بشكل كئيب كارثة تجارية ، (ص. 803). بتعبير آخر، يرثي الراوي إثما تكتيكيا وليس خطأ أخلاقيا، وهو ما يدعوا المؤلف الضمني له القارئ بقصد انتقاده. لكن قد تعمل سخرية الذات هنا أيضا، متضمنة رعب كل من تبقى بشكل

دقيق عن طريق تقييد السخط الصريح في الفعل الحيادي الأكثر أخلاقاً.

لا يقيد الشك في الحالات الممكن أن تكون فيها كل من اللاموثوقية والسخرية منسوبتين إلى الراوي. فكثيرة هي النصوص التي تطرح صعوبة الحسم في ما إذا كان الراوي موثقاً به أو العكس، وإذا تحقق هذا الأخير — فإلى أي حد. بعض النصوص — المسماة قصصاً غامضاً — تجعل مثل هذا الحسم صعباً، واضعة القارئ في وضعية تقلب متواصل بين خيارين مستثنين على نحو متبادل. لنورد المثال الشهير، يمكن رؤية المربية في «دورة اللولب» لجيمس كراوية موثق بها، تروي قصة طفلين يلزمهما شبح، لكن يمكن أيضاً اعتبارها غير موثق بها، راوية عصابية، تنقل هلوساتها بشكل غير مقصود.

إن راوٍ خارج حكاية ما، خاصة عندما يكون كذلك متباين القصة، من المحتمل أن يكون موثقاً به. الحالات على ذلك نادرة جداً، مثل «البصا» لآلان روب — غرييه (1955) حيث يتناقض الراوي مع نفسه بشكل مستمر، وبذلك يمسى غير موثق به. لكن حين يصير راوٍ خارج حكاية ما أكثر تجلياً، فإن حظوظه في أن يصبح موثقاً به تقل، مادامت تأويلاته، أحكامه وتعميماته متنافرة دائماً مع المؤلف الضمني. أما الرواة الداخل حكايتين، خاصة عندما يكونون متماثلين القصة، كذلك، فإنهم إجمالاً أكثر عرضة للخطأ من الرواة الخارج حكايتين، لكونهم شخوصاً في العالم التخيلي أيضاً. من ثم فهم عرضة للاطلاع المحدود، للتورط الشخصي، ولمشروع القيمة الاشكالي، متسببين في كثير من الأحيان، في إمكانية اللاموثوقية⁽¹¹⁾.

(11) لأجل مقارنة اللاموثوقية، باعتبارها ليس مقوماً للرواة بل مظهراً لتنظيم نشاط القارئ وتوسيع مفهوم العالم التخيلي في كليته، انظر يعقوبي 1981، ص. ص. 118 — 126.

المروى لهم

رغم الالتفاتة الضعيفة للمروى لهم قبل العقد الأخير، إلا أنه لاغنى عنهم في التخيل القصصي كما الرواة (الدراسات الحديثة المهمة حول المروى لهم، والمتأسس عليها تحليلي، هي لـ برنس 1973، ص. ص. 253 — 261). على أية حال، المروى لهم هو الأداة المتوجه لها الراوي، وكل المقاييس لتصنيف الثاني تطبق على الأول.

مستعملين المستوى القصصي كمقياس، بإمكاننا التمييز بين المروى له الذي هو «فوق» القص الأول، أي خارج حكائي، والذي هو، كذلك، شخصية داخل القص، أي داخل حكائي. يمكن أن يتوجه الراوي مباشرة إلى المروى لهم الخارج حكايتين، مثلاً السلطان في «ألف ليلة وليلة» تتوجه إليه شهرزاد، أو رفاق مارلو على متن المركب نبلي المستمعين إلى قصته في «قلب الظلام». وبالتحديد، فالمروى لهم متموضع مثل الراوي في نفس المستوى القصصي (جنيت 1972، ص. 265). بطبيعة الحال، فقد يحتوي نفس المستوى القصصي على كل من المروى له الخارج حكائي والداخل حكائي، مثلما قد يتضمن كلا النوعين من الرواة.

وآخذين المقياس الثاني، بمعنى المشاركة في القصة، يمكننا أن نميز بين أولئك المروى لهم الذين يلعبون دوراً في الأحداث المروية لهم (مثلاً مدام دوميرتوي، فالنوت أوسيسيل في «العلاقات الخطرة») وأولئك الذين لايلعبون أي دور (مثلاً العالم النفساني في «شكاوى بورتني»).

مثل الرواة، يمكن أن يكون المروى لهم إما خفيين أو متجليين. وليس المروى له الخفي إلا مرسل إليه صامت للراوي، فيما يكون المروى له المتجلي مدركاً من خلال استنتاجات الراوي لاسئلته الممكنة

(كامو، «السقوط» 1956)، أجوبة المروي له الفعلية أو تعليقاته (الْحُجَاج في «حكايات كنترييري»)، أو أفعاله (العلاقات الخطرة). كما أوضح تشاتمان (1978، ص. 260) يمكن أن يكون المروي له، كما الراوي، موثوقا به أو العكس. تخول الموثوقية للمروي له الخارج حكائي (موازيا أو متطابقا مع القارئ الضمني)، وبدونها تكون مكانته كميزة عن القارئ الحقيقي لامتني لها. من جهة أخرى، يكون المروي له الداخل حكائي لامتوثوقا به، ومن ثم يتقاسم المؤلف الضمني والقارئ مرمى السخرية. مثل ذلك يحدث «حين تكون قيم القارئ الضمني التي يثيرها المؤلف الضمني في نزاع مع قيم المروي له التي يثيرها الراوي» (تشاتمان 1978، ص. 260 — 261). يدخل تريسترام شاندي، السيد، والراوي في حوار مع مروي لها يتم مخاطبتها بـ «السيدة» والتي يتم التأكيد على لاموثوقيتها بشكل متكرر :

— كيف يمكنك أن تكوني، أيتها السيدة، غافلة عند قراءة الفصل الأخير ؟ قلت لك فيه إن أبي لم يكن بابويا — بابوي ! لم تقل لي مثل هذا الشيء، أيها السيد. أيتها السيدة، أتمس منك إعادة قراءته مرة أخرى، وما قلته لك واضحا، على الأقل، مثل الكلمات، عن طريق استنتاج مباشر، يمكن أن يقول لك ذلك — إذن، ياسيدي، لعلي أغفلت صفحة ما — لا، ياسيدي، لم تغفل أي كلمة. — إذن، فقد أخذتني غفوة، ياسيدي. — إن كبريائي، ياسيدي، لا يخول لك هذا الملاذ.

(1967، ص. 82)

هكذا فـ «السيدة» مميزة عن القارئ الضمني (أو المروي له الخارج حكائي) الذي تَمَعُّهُ اليقظ لهذه الرواية ملتمس بشكل غير مباشر بذلك.

لقد اهتمت المناقشة الآتية للمشاركين في وضعية التواصل القصصية، العلاقات الزمنية والتراتبية بين السرد والقصة، والأنواع المختلفة للرواة والمروي لهم، بنقل كل من الأحداث والكلام. والحق إن الكلام حدث مثل أي شيء آخر، لكنه ذو مميزات خاصة به. وهذه الأخيرة تضيف تعقيدات مهمة لمشكل السرد. محور الفصل القادم، سيكرس لنقل الكلام.

السرد : تمثيل الكلام

وصف تاريخي موجز : الحكائية والمحاكاة

في الكتاب الثالث من «جمهورية أفلاطون» يفترض سقراط طريقتين لنقل الكلام : الحكائية والمحاكاة. والمقوم المميز للحكاية هو أن «الشاعر هو المتكلم نفسه من غير أن يحاول الإيحاء بأن أحدا آخر هو من يتكلم» (1963، ص. 638). من جهة أخرى، يسعى الشاعر إلى الإيهام بأنه ليس هو المتكلم. من ثم فالحوار، الحوار الفردي، الكلام المباشر بصفة عامة سيكون محاكاة، فيما سيكون الكلام غير المباشر حكاية (استنتاج يؤيده التحويل التالي لمشهد هوميروسي من حوار صرف إلى حكاية). ويجب أن يميز الاستعمال لكلا المصطلحين في كتاب الـ «جمهورية» عن المعاني المنسوبة إليهما في المراحل المختلفة من تاريخ الشعرية. لقد أصبحت «المحاكاة» المستعملة من قبل سقراط في معناها الضيق للنقل المباشر للكلام، تشير إلى مقدرة الأدب في تمثيل أو «تقليد» الواقع (معنى أوسع وجد سابقا في الكتاب العاشر) من الـ «جمهورية»⁽¹⁾. أما «الحكاية»، التي تحيل هنا على النقل غير المباشر للكلام فقد تم فصلها من قبل بعض علماء السرديات (مثلا ميتز 1968 ؛ جنيت 1972) عن فعل السرد وأصبحت تدل على تنابع الأحداث المجردة («القصة» بالنسبة لي). في «فن الشعر» لا يمحصر أرسطو (الذي اهتم بالدراما، وليس

(1) هذه القدرة المحاكائية للأدب تم تحديدها دائما، وكثير الخلاف بشدة حولها من قبل التفكيكيين اليوم.

بالقصص) «المحاكاة» في تمثيل الكلام بل يضمنها في مفهوم «تقليد فعل ما» (1951، ص. 34). ومستعملة بهذا المعنى الأوسع، تشكل «المحاكاة» لتشمل الحكائية كأحد أنواعها، ويكون التعارض الأفلاطوني الأصلي حياديا إلى حد ما. بدون الخوض في مناقشة للمعاني المتنوعة الممكنة لـ «تقليد فعل ما»، يكفي لأجل هدي في الإشارة بأن هناك فوق الحشبة شخصوا (ممثلين) يتحركون، يقومون بإيماءات ويتكلمون، بطريقة تناظر سلوك الناس في الواقع. من جانب آخر، تقل كل الأفعال والإيماءات في القص إلى الكلمات، وهكذا، كما سنرى لاحقا، يصير «تقليد فعل ما» مفهوما أكثر إشكالية داخله.

يعود استقطاب الحكائية والمحاكاة ليظهر تحت أسماء: «القول»، «العرض» أو «التلخيص» و «المشهد» في النقد الانجلو ساكسوني في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين. على نحو مفترض، «العرض» هو التمثيل المباشر للأحداث والحوارات، ويبدو الراوي مخفيا (كما في الدراما) أما القارئ فيترك ليرسم استنتاجاته مما «يرى» و «يسمع». من جهة أخرى، «القول» هو التقديم بواسطة الراوي الذي، عوض عرضه للأحداث والحوارات بشكل درامي ومباشر، يتكلم عنها، يلخصها، الخ.

ومتأثرا بوصية هنري جيمس الشهيرة: «مسرخوا، مسرخوا!» (مثلا 1962، ص. 265، الطبعة الأصلية 1907 — 1909)، يقيم بيرسي لوبوك العرض في مثاليته الأشد سموا، والتي على التخيل القصصي أن يطمح إليهما: «لايبدأ فن التخيل حتى يفكر الروائي في قصته كقضية يجب عرضها، إظهارها إلى حد أن تقول نفسها» (1963، ص. 62. الطبعة الأصلية 1921). على أساس هذا المعيار، يهاجم روائيين أمثال فيلدينغ، تاكري، وديكنز الذين يقول إن روايتهم، يلخصون ويعلقون. غير أنه في العقدين الماضيين انتقل البندول إلى

القول، وأمسى كتاب «بلاغة التخيل» لبوث (1961) إلى حد ما دفاعاً عن منهجه ورفضاً لما اعتبره تأويلاً مفرطاً ومحرفاً لجيمس من قبل لوبوك.

وبرغم أهمية هذه المناقشة المعيارية، إلا أنها غير متصلة بالدراسة النظرية والوصفية للتخيل القصصي. من وجهة النظر هذه، ليس ثمة شيء متأصل جيداً أو سيئاً سواء في القول أو العرض. ومثل أي تقنية أخرى، فكل منهما له إيجابياته وسلبياته، ونجاحهما وفشلهما النسبي متوقف على وظيفتهما في أثر معين ما.

مشكلة المحاكاة

علاوة على ذلك، وكما اقترحت سابقاً، فمفهوم «العرض» أكثر إشكالية مما يبدو بالنسبة للنقد الانجلو ساكسوني المشار إليه أعلاه. ومثل ما برهن عليه جنيت (1972، ص. 185 — 186)، فليس ثمة نص تخيل قصصي بإمكانه عرض أو تقليد الفعل الذي يبلغه، مادامت مثل هذه النصوص مصاغة من اللغة، وهذا الأخيرة دالة بدون تقليد. فاللغة لاتحاكي إلا اللغة، وهذا لماذا يقترب تمثيل الكلام من المحاكاة الصرف، لكن حتى هنا — أعتقد (انظر ص. 43) فهناك راو «يستشهد» بكلام الشخص، ومن ثم يختزل مباشرة «العرض». إن كل ما يمكن لقص ما أن يقترحه هو الايهام بما هو حقيقي، شكل خارجي للمحاكاة، لكنه يحقق ذلك عبر الحكائية (بالمعنى الأفلاطوني). بالتالي لايمكن الفارق الحاسم بين القول والعرض، وإنما بين الدرجات المختلفة وأنواع القول⁽²⁾.

(2) يعالج جنيت قضية الحكائية والمحاكاة في كليتهما تحت عنوان «التمط». وبعكس جنيت، أعتقد أنهما طريقتان للحكي، وليسا طريقتين للادراك، تصير الإدراكات هنا واحداً من مواضيع السرد.

كيف تخلق النصوص القصصية إيهاام المحاكاة ؟ من الملائم البدء بمناقشة النسخ اللفظي للأحداث الالفظية. قارن بين «كان جون غاضبا على زوجته» و «نظر جون إلى زوجته، بجين مقطب، وشفتين معقودتين، وقبضة مطبقة. بعدئذ نهض، أغلق الباب بشدة وترك المنزل». الوصف الثاني أكثر «درامية» وحيوية من الأول، باعتباره يقدم حقائق أكثر تفصيلا، ويختزل دور الراوي إلى دور «الكامرا»، تاركا للقارئ استنتاج الغضب. هكذا، فالإيهاام بتقليد الأحداث يتحقق عن طريق الإمداد بأكثر ما يمكن من الحقائق وأقل ما يمكن عن الخبر (جنيت 1972، ص. 187). ومادامت كمية الحقائق قد تمت مناقشتها تحت عنوان «الديمومة» (الفصل 4، ص. 80) وحضور الراوي تحت عنوان «درجات الادراكية» (الفصل 7 ص. ص. 143 — 148)، لم يبق هناك شيء جديد ذا أهمية للحديث عنه من هذا المنظور حول خلق «المحاكاة الادائية»، لذلك دعنا نلتفت إلى عرض الكلام ودرجات إيهاامه المحاكاتية المتنوعة.

أنواع عرض الكلام

اقترح في ماكهيل مقياس تصاعدي، متسلسل من الحكائي «على نحو صرف» إلى المحاكاتي «على نحو صرف» (1978، ص. ص. 258 — 259، انظر كذلك بيدج، 1973، ص. ص. 31 — 35)، وسأعيده بشكل حرفي تقريبا، برفقة أمثلة أوردها ماكهيل من ثلاثية «USA» لدوس باسوس (1938) :

أ — التلخيص الحكائي : نقل ضئيل جدا بأن فعلا كلاميا قد حدث، بدون تخصيص ماقيل أو كيف قيل، مثلا
عندما شرب تشارلي قليلا من الدجين شرع — يحكي
حكايات الحرب لأول مرة في حياته.

(المال الكبير، ص. 295)

ب — التلخيص الحكائي الأقل «صرفاً» : تلخيص لا يشير فحسب بل يمثل إلى درجة ما حدثاً كلامياً تُسمى فيه مواضيع الحوار : مكث إلى آخر المساء يحكي لهم هدايات الكفار الخارقة، المسح بالزيت على الخط الناري، رؤيا المسيح الشاب وقد شوهده يمشي وسط الجرحى في مركز الضماد خلال هجمة الغاز. (تسعة عشر، تسعة عشر، ص. 219)

ج — الصياغة الجديدة للمضمون غير المباشر (أو الخطاب غير المباشر) : سبك مضمون حدث كلامي، يتجاهل الأسلوب أو شكل «اللفظ» «الأصلي» المفترض، مثلاً قال له النادل إن جنود كارانزا فقدوا توريون وإن فيلا وزاباتا على مقربة من المقاطعة الفيدرالية.

(الموازي الثاني والأربعون ص. 320)

د — الخطاب غير المباشر، محاكيات إلى درجة ما : وهو شكل من خطاب غير مباشر، يخلق الايهام بـ «الاحتفاظ» أو «إعادة إنتاج» مظاهر أسلوب تلفظ، فوق وبمناى عن مجرد نقل لمضمونه، مثلاً عندما برزوا للعيان قال تشارلي ... إنه فكر في الذهاب إلى كندا بهدف التطوع والذهاب لرؤية الحرب الكبرى.

(الموازي الثاني والأربعون ص. 385)

هـ — الخطاب غير المباشر الحر : على نحو نحوي ومحاكيات يتوسط الخطاب المباشر وغير المباشر (سنشير إلى ذلك بإسهاب في القسم اللاحق). مثلاً

لماذا كان عليهم ألا يعلموا، ألم يكونوا خارجين عنها وبعيدين لرؤية المدينة الملعونة وكان من الأفضل أن يأتي مسرعاً.

(تسعة عشر، تسعة عشر، ص. ص. 43 — 44)

و — الخطاب المباشر : «استشهاد» بحوار فردي أو حوار ثنائي، وهذا يخلق الإيهام بالمحاكاة «الصرف» رغم أنه دائما مؤسلب بطريقة أو بأخرى، مثل :

قال فريد سامرز، «أيها الرفاق، إن هذه الحرب ابتزاز أحول وأشد هولا للقرن، لي ولمرضات الصليب الأحمر [هكذا]». (تسعة عشر، تسعة عشر، ص. 191)

ي — الخطاب المباشر الحر : خطاب مباشر مجرد من تلميحاته الاملائية الاصطلاحية. وهذا هو الشكل النموذجي للمونولوج الداخلي بضمير المتكلم، مثلا

وفجأة صار رأس فيني أكثر خفة، الطفل الذكي، هو أنا، الطموح، والذوق الأدبي... جي يجب على أن أنتهي من النظر إلى الخلف... وجيز، أحب قراءة الجميل، وأستطيع استخدام الليتوتيب أو أرقن إذا وافق لي أحد بذلك. خمسة عشر دولارا في الأسبوع... مريح بشكل حسن، عشر «دولارات زيادة».

(الموازي الثاني والأربعون، ص. 22، نقط الحذف لدوس باسوس)

الخطاب غير المباشر الحر

ضمن الدرجات السبع لعرض الكلام، الدرجة التي تسببت مؤخرا في زخرة الدراسات لدى كل من اللسانيين ومنظري القص هي الخطاب غير المباشر الحر⁽³⁾. (انظر على سبيل المثال بانفليد 1973، 1978 a، 1978 b، 1981 ؛ برونزوير 1970 ؛ كوهن

(3) من الآن فصاعدا سيعوض الخطاب غير المباشر الحر ب : خ غ ح، الخطاب المباشر ب : خ م، والخطاب غير المباشر ب خ غ.

1966، 1978 ؛ هيرنادي 1971، 1972 ؛ كورودا 1973 ؛
 ماكهيل 1978 ؛ بيدج 1972، 1973 ؛ باسكال 1962،
 1977 ؛ بيرى يصدر قريبا ؛ ورون (1981)⁽⁴⁾. بالتالي، ورغم
 كونه أحد أشكال نقل الكلام، اقترح تكريس مجال خاص على نحو
 مستقل لوصف موجز للمقومات اللسانية الرئيسية للخطاب غير
 المباشر الحر، وظائفه الأكثر شيوعا، ومكانته الخاصة داخل الشعرية.
 قبل البدء يجب الإشارة إلى أنه رغم تحديد النظرة «الاورثودوكسية»
 لـ خ غ ح في الضم اللساني لصوتين، فالمنظرون يعتبرون الظاهرة
 لسانية في جزء ما فقط. هكذا لا يناقش غولومب (1968،
 ص. ص. 251 — 262)، تحت ما يدعوه «الكلام المضموم»
 الحضور المشترك لصوتين إثنين فحسب بل الحضور المشترك لصوت
 الراوي والادراك ماقبل اللفظي للشخصية أو إحساسها. وتصنف بال
 (1981) الظاهرة تحت مفهومها لـ «الادماج» والتي تراه يعمل بين
 تلفظين أو تبعيرين، أو تلفظ وتبئير. ولعل الأكثر افراطا في هذه
 الظاهرة هو بيرى :

يتشكل الخطاب المضموم، بالاضافة إلى الاطار الرئيسي

(4) رغم أن دراسة هذه الظاهرة قد لاقت زخما في العقد الأخير، فلا بد من الإشارة
 إلى وصف مبكر. في ألمانيا وسويسرا سميت هذه الظاهرة بـ «erlebte Rede»
 وبحث فيها مهتمون كـ بوسار 1936 ؛ غلوسر 1948 ؛ هامبرغر 1951 ؛
 مير 1957 ؛ سبيتر 1968 (انظر أيضا التوليف التعليمي في العبرية الذي
 صاغه جوزيف إيوين 1968، ص. ص. 140 — 158 ؛ الخلاصة الانجليزية
 ص ص XII — XIII). في فرنسا سميت بـ «الأسلوب غير المباشر الحر»
 ودرسها بالدرجة الأولى بالي (1912) ولييس (1926). كان أولمان (1957)
 أول من أدخل مصطلح «الأسلوب غير المباشر الحر» إلى النقد الانجليزي. أما
 في إسرائيل فنوقشت بشكل متنوع كـ «كلام مضموم» (غولومب 1968)،
 «كلام متمثل» (إيوين 1968)، و«خطاب مضموم» (بيرى...).

للخطاب، عندما يكون البديل، الاطار الثانوي منشطا، وينظم بعضا من العناصر. وليس الاطار شكليا أو إطارا لسانيا رسميا. إن له مؤشرات أخرى — لسانية وتيماتية — وحالة تشييده، يكون دائما متنافرا مع الاطار الشكلي.

بحسبه، ليس خ ع ح إلا جزء من ظاهرة شاملة أكبر، بمعنى عينات بديلة منشطة ضمن عملية القراءة. لكن في دراستي تحت عنوان «السرد»، فالأكثر اتصالا هو المفهوم الأضيق من مفهوم بيرى. أما المظاهر المتشابهة فقد تمت مناقشتها تحت عنواني «التبشير» (الفصل 6) و «النص وقراءته» (الفصل 9).

المقومات اللسانية

تمنح المقومات اللسانية لـ خ غ ح انطبعا بضم الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر، مثل ما تبينه اللائحة التالية⁽⁵⁾ :

أ — الفعل الناقل للقول / الاعتقاد والرابط «أن» خ م : يكون الفعل الناقل إما حاضرا بشكل مباشر أو ضمينا بواسطة استخدام علامتي الاقتباس، لكن لا يخضع له التلغظ المنقول على نحو تركيبى. يكون الرابط «أن» غائبا (مثلا قال : «أحبها»). خ غ : يظهر الفعل الناقل دائما، جاعلا التلغظ المنقول خاضعا له، ويكون الرابط «أن» اختياريًا (لكنه بشكل منطقي حالة غيابه، مثلا قال إنه يحبها). خ غ ح : شطب الفعل الناقل + الرابط «أن» (مثلا كان يحبها).

(5) ماسيلي يعتمد بشكل كبير على ماكهيل 1978، ص. ص. 251 — 252.

وكما هو متعارض مع الرؤية النحوية التقليدية التي تشتق خ غ من خ م و خ غ ح من خ غ، يوضح بانفيلد (1973) لاقبولية هذا الاشتقاق. مثل ماكهيل، احتفظ بالوصف الاشتقاقي، على ما يبدو، كملاءمة في العرض. أيضا يضع ماكهيل المؤشرات التي تجعل القارئ يتعرف على خ غ ح، وهذه ليست نحوية فقط.

ب — مخطط — صيغة الزمن

و : خ غ ع	فإن : خ ع	إذا كان خ م
ماضي	ماضي	حاضر
(كان يحبها)	(قال : إنه كان يحبها)	(قال : «أحبها»)

الماضي البعيد	الماضي البعيد	الماضي
(كان قد أحبها)	(قال : إنه كان قد أحبها)	(قال : «كنت أحبها»)
		الماضي القريب
		(قال : «أحببتها»)

الماضي المستقبل	الماضي المستقبل	المستقبل
(كان سيحبها دائما)	(قال كان سيحبها دائما)	(قال : «سأحبها دائما»)

هكذا، يحتفظ خ غ ع ب «التحول الخلفي» لخاصية صيغة الازمنة
ل خ غ.

ج — ضمائر الشخصية والملكية

إذا كانت هذه ضميرا أول وثان في خ م، تصير ضمير الغائب
في كل من خ غ و خ غ ح. (أحبها تصير إذن «كان يحبها»).

د — الاشارات (أي التعابير الاشارية)

خ غ ح	خ م	خ م
الآن	انذاك	الآن
(يعيش في القدس)	(قال إنه عاش)	(قال : «أعيش في
الآن	في القدس انذاك)	القدس الآن)
اليوم	ذاك اليوم	اليوم
غدا	اليوم التالي	غدا
هنا	هناك	هنا

من ثم يحتفظ خ غ ح بالعناصر الاشارية لـ خ م.

هـ - الأسئلة

خ غ ح فعل + فاعل (كما في خ م) (هل كان يحبها؟)	خ غ فاعل + فعل (سألت إن [جاك]) كان يحبها)	خ م فعل + فاعل (سألت : «هل تحبني؟»)
--	--	--

و - صيغ النداء صيغ التعجب، التسجيلات المعجمية أو المقومات الجدلية

خ غ ح مقبول	خ غ غير مقبول	خ م مقبول
----------------	------------------	--------------

كخلاصة بكلمات ماكهيل، «يشبه خ غ ح خ غ في الضمير وصيغة الزمن، في حين يشبه خ م في عدم كونه خاضعا بصرامة إلى فعل القول / الاعتقاد «الأكثر علوا» وفي العناصر الاشارية، ترتيب كلمات الأسئلة، ومقبولية مقومات خ م المتنوعة» (1978)، ص. 252).

الوظائف

في نصوص تخيلية معينة، تكون لـ خ غ ح مجموعة متنوعة من الوظائف التيماتية تساهم أو تناظر المبدأ أو المبادئ التيماتية المنحكمة في الاثر قيد الدرس. هكذا «يوضح برونزوير (1970) كيف يُبلغ خ غ ح تيمة الذات المتقطعة والمتطورة في رواية لإيريس ميردوخ. على نحو مشابه يرى ماكهيل (1978) خ غ ح كتمثيل وتخيّل أنماط الحتمية عند دوس باسوس. مثل هذه الوظائف تختلف من نص إلى آخر أو من مجموعة كاملة إلى أخرى. كما أنها ليست سهلة الانقياد للتعميم. على أن الوظائف التي أهتم بها هنا، من جهة أخرى، عامة بشكل أكبر، وكل واحدة منها تتنوع مظهراتها التيماتية في نصوص تخيلية مختلفة.

أ — كثيرا ما تكون فرضية خ غ ح (حتى ولو لم يتم التفكير فيه بهذه المصطلحات) ضرورية بهدف تحديد هوية المتكلمين ومقومات — الكلام أو المواقف المنسوبة لهم. وهذا يساعد القارئ على فهم التطبيقات اللسانية «المنحرفة»، المواقف المرفوضة أو حتى الكذب، بدون إتلاف معقولية الأثر أو المؤلف الضمني رون 1981، ص. ص. 2.8 — 2.9).

ب — يعزز خ غ ح ثنائية اللفظ أو التعدد اللفظي للنص عن طريق تشغيل تعددية المتكلمين ومواقفهم، حتى حين تكون القطع المختلفة منسوبة بشكل جوهري إلى المتكلمين المحددين أو أكثر من ذلك حين لا تكون (ماكهيل 1978). في الحالات التي يكون فيها الغموض متعلقا بالمتكلم، فإنه، كذلك، يجعل العلاقة الاشكالية درامية بين التلفظ وأصله. وهذه الوظيفة تتعارض، على الأقل في بعض النواحي، مع الأولى، تقابل ينتج عن تأثير ذي حدين لخصيصة خ غ. ح.

ج — تساهم تعددية المتكلمين والمواقف، تعايش ما يدعوه ييري «العينات البديلة» في الكثافة الدلالية للنص...

د — بفعل قدرته على إعادة انتاج اللهجة الفردية لكلام الشخصية أو أفكارها — البعض قد يضيف الادراكات ما قبل اللفظية، سواء مرئية، سمعية أو لمسية — داخل لغة الراوي المنقولة، يكون خ غ ح أداة مناسبة لتمثيل تيار الوعي بالنسبة للتنوع المسمى «المونولوج الداخلي غير المباشر» بالدرجة الأولى (بانفيلد 1973 ؛ ماکهیل 1978).

هـ — يمكن لفرضية خ غ ح أن تساعد القارئ على إعادة تشييد موقف المؤلف الضمني تجاه الشخصية أو الشخص المضمنة. لكن قد يلاحظ هنا كذلك تأثير ذو حدين. من جهة، فحضور الراوي

كـمـمـيز عـن الشـخـصـية قـد يـخـلـق تـبـاعـدا سـاـخـرا. وـمـن جـهـة أـخـرى، قـد يـعـزـز كـلـام الرـاوي بـلـغة الشـخـصـية أو نـمـط التـجـرـبـة المـطـابـقـة التـعـاطـفـية مـن جـهـة القـارئ (إـيـوـين 1968 ؛ مـاـكـهـيل 1978 ؛ وـعـدـد آخـر). وـلـعل الأـكـثـر أـهـمـية هـي حـالـات الغـمـوض، حـيـث لـيـس لـلقـارئ وـسـيـلة لـلاخـتـيار بـيـن المـوقـف السـاـخـر وـالمـتـعـاطـف.

الوضع داخل الشعرية

لـا تـعـود الأـهـمـية الـخـاصـة فـي خ غ ح المـثـبـتـة مـن قـبـل نـظـريـة القـص المـعـاصـرة إـلى تـعـقـيـده الأسـلـوبي فـحـسـب، بـل إـلى تـشـكـيـله، فـي بـعـض النـواحي، لـانـعـكـاس مـصـغـر لـطـبـيـعة كـل مـن المـخـاـكـاة (بـالمـعـنى الواسع) لـلـتـمـثـيل وـالأدبـية.

وـلا يـكـون مـفـهـوم خ غ ح ذا مـعـنى إـلا داخـل المـخـاـكـاة (بـالمـعـنى الواسع) (رون، 1981)، ذـلـك أـن الـحـاجـة إـلى عـزـو القـطـع النـصـيـة إـلى المتـكـلمـين وـكـذا الدافـع إـلى تـعـلـيل التـصـرـيـحـات الخاطئة الجلية والتوفيق بـيـن التـناقـضـات الظاهريـة لا تـتـحـقـق إـلا حـيـن يـفـهـم النـص كـمـتـناظـر مـع (المـخـاـكـاتـي لـ) الواقـع فـي بـعـض النـواحي. وـسـوف يـمـيـل النـص الـلامـخـاـكـاتـي إـلى التـعـامـل بـفـوضـى شـديـدة مـع مـثـل هـذه الصـفـات المـعـزوة ؛ «فـداخـله، يـقـول بـارث، لا يـقـول الخـطـاب، أو مـن الأفضـل، اللـغة، شـيـئا عـلى الاطلاـق» (1974، ص. 41، الطـبـعة الأـصـليـة 1970). مـن ثـم لـيـس هـنـاك مـن مـعـنى لـتـشـيـيد فـرضـية خ غ ح بـهـدف الوـصـول إـلى تـعـويـض، غـيـر ضـروري وـجـزءـي فـي أـحـسن الأـحـوال، لأصـل التـلفـظـات.

إـذا فـقـد خ غ ح وـضـع ظاهـرة مـعـينة فـي النـصـوص الـلامـخـاـكـاتـية، فـإنـه يـكـتـسـب، عـلى نـحو مـتـناقـض ظاهريـا، وـضـع الـانـعـكـاس المـصـغـر لـطـبـيـعة كـل النـصـوص وـكـل اللـغـات، لـأن اللـغة، كـما بـرهن دـيـريـدا مرارا، (مـثـلا 1967، 1977)، «تـسـتـشـهـد» دأـيـما بـلـغة أـخـرى، مـشـكـلة نـفـسـها

على تكرارية لسانية وكليشهات ثقافية، لا يكون متلفظوها المباشرون حاضرين في أي مكان. من وجهة النظر هذه، تصوير اللغة كلها — في العمل إن لم تكن في الشكل النحوي — نوعا من الخطاب غير المباشر (لأجل مناقشة أكثر تفصيلا لهذه المسألة، انظر رون 1981، ص.ص. 17 — 18، 36 — 38).

فيما تسمى «المحاكاة» العلاقة بين الأدب وبعض نسخ الواقع، تعين «الأدبية»، على وجه التخصيص المظهر الأدبي (اللامرجعي) للأدب (انظر هو كس 1977 ص. ص. 71 — 73 لأجل مناقشة مفهوم الأدبية). وكما يُرى خ غ ح، في جل الأحيان، كمؤشر للمحاكاة، فيمكن، بالتالي — في القطب الآخر — أن يكون مفهوما كعلاقة للأدبية. بمعنى ضعيف وعلى نحو نسبي، يسم خ غ ح الأدبية فقط عن طريق التصوير بشكل ترددي ومركزي في الأدب أكثر مما يوجد في أشكال الخطاب الأخرى. ولربما بفعل الصعوبة التي سيعانها المتكلم عند محاولته الإنجاز الشفوي للحضور المشترك لخصيصة أصوات خ غ ح، تبدو الظاهرة أكثر ملائمة مع سجل الكتابة الصامت (ماكهيل 1978، ص.ص. 282 — 283، لاحقا على فولوشينوف 1973. الطبعة الأصلية بالروسية 1930). لكن رغم كون خ غ ح أدبيا على وجه الحصر، وعلى أية حال، فإنه من المميز الكافي للأدب أو التخيل امتلاك حلقة تخيلية حتى وحين يوجد في أنواع خطاب أخرى (برونزوير 1970، ص. 49).

بمعنى قوي — غير إحصائي — يعين خ غ ح الأدبية عن طريق كونه استبدالا، نوعا من إرصاد لما يعتبره بعض المنظرين الخصيصة الرئيسية للتخيل القصصي. حسب باختين (1973)، الطبعة الأصلية بالروسية 1929) يتشكل التقليد المركزي للرواية بواسطة نصوص غير متكاملة في خطابها (مونولوجي) لكن تعددي، متعدد الأصوات

«ديالوجي»). وتتحقق هذه الميزة المتعددة الأصوات عن طريق كل من تماس عدد من الأصوات في النص نفسه واندماج الخطاب السابق في النص، سواء كانت نصوصاً أدبية سابقة أو مظاهر اللغة أو الثقافة ككل. من هذا المنظور، يبدو خ غ ح مثل مرآة شكلية للظاهرة، العبر — لسانية الأوسع⁽⁶⁾. إن تعايش الأصوات المتنوعة داخله يخلق تعدد أصوات داخل — نصية، فيما يوجه الاحتفاظ بالسجل اللساني للمتكلم التلفظ نحو أصوات سابقة، وبذلك يخلق تعدد أصوات متناسبة. لكن من وجهة نظر ديريدا المشار إليها آنفاً، فقد تتم البرهنة على أن ميزة خ غ ح المستشهد بها، وكونها عامة في كل اللغة، تحرم هذه الظاهرة وكذا الأدب في كليته من وضعها الثقافي ذي الامتياز. مرة أخرى، يكشف خ غ ح عن طبيعته ذات الحدين، هذان الحدان هما خصيصة العديد من الظواهر في الأدب.

(6) كما يشير ماكهيل، لم يكن باختين وفولوشينوف مهتمين بالفوارق اللسانية وسط أنواع الخطاب بل الفوارق العبر لسانية «المؤسسة على أصناف ودرجات العلائق الديالوجية بين التلفظات المختلفة في نص ما أو بين التلفظات في نصوص مختلفة» (1978، ص. 263).

النص و قراءته

دور القارئ

«كيف تنتج النصوص عن طريق قراءتها» — هذا العنوان لقسم في كتاب إيكو (1979، ص. 3) تصيغ صارم لنزعة أصبحت صريحة أكثر فأكثر خلال العقد أو الخمس عشرة سنة الماضية⁽¹⁾. ففيما يعالج النقاد الانجلو ساكسونيون الجدد والنيويون الفرنسيون النص كموضوع مستقل تقريبا، يؤكد التوجه الجديد على العلاقة المتبادلة بين النص والقارئ :

لا يحيا النص إلا بقراءته، وإذا وجب فحصه، وجبت، بالتالي، دراسته من خلال عيني القارئ.

(آيزر b 1971، ص. ص. 2 — 3)

(1) للاشارة فقط إلى الممثلين المرموقين لهذا التوجه : ريفاتير (1966)، فيش (1970، 1980)، برنس (1973) وكولر (1975) في أمريكا ؛ بارث (1970) في فرنسا ؛ آيزر (a 1971، b 1971، 1974، 1978)، ورانين (1975) ويوس (1977) في ألمانيا ؛ إيكو (1979) في إيطاليا ؛ هروشفسكي (1974، a 1976)، ستورنبورغ (a 1974، b 1974، 1976) وبيري (a 1968، 1969، 1974، 1976، 1979 و — مع ستورنبورغ — b 1968) في إسرائيل. لأجل مراجعات لكتب إيكو، إنيجاردن، آيزر، ويوس، انظر دوليزيل (1980، ص. ص. 213 — 222) على التوالي. أود أن أشير في هذا الصدد إلى رسالة ماجستير لروث غانسبورغ ساعدتني على تنظيم بعض من أفكار حول الموضوع. عنوان الرسالة : «مهمة القارئ المستحيلة : قراءة لنصوص كافكا» (جامعة القدس العبرية، 1980، بالعبرية).

يتصور النص المكتوب ممتلكا لبعد فعلي يستلزم تشييد القارئ للنص غير المكتوب (أيزر 1974، ص. 31). هذه الفعلية تساهم في دينامية الشخصية لعملية القراءة وتمنح القارئ درجة من الحرية (لكن درجة مافقط مادام النص المكتوب يمارس رقابة ما على العملية).

وكما أن القارئ يشارك في إنتاج معنى النص، فهذا الأخير يشكل القارئ. من جهة «يتقي» قارئه المناسب، ويختط صورة لمثل هذا القارئ، عبر شفرتة اللسانية الخاصة، أسلوبه و «الموسوعة» التي يفترضها ضمينا (إيكو 1979، ص. 7). من جهة أخرى، وكما أن النص يشكل قبلها مقدرة ما يجلبها القارئ من الخارج، فإنه، بالتالي، خلال القراءة، يطور لدى القارئ مقدرة خاصة تكون بحاجة إلى أن تصل إلى حدود الامساك به، مغريا إياه، في غالب الأحيان بتغيير تصورات السابقة وتعديل مستقبله المتوقع. من ثم يكون القارئ صورة لمقدرة ما مجلوبة إلى النص ومبنا لمثل هذه المقدرة داخل النص.

التأثير الفلسفي خلف أغلب هذه المقاربات المتوجهة إلى القارئ هو الفينومينولوجيا [الظاهراتية]، وبشكل خاص تطبيق إينغاردن لنظرية هوسرل على الأدب (1973)، الطبعة الأصلية بالبولونية (1931). يميز إينغاردن بين المواضيع المستقلة والمواضيع التابعة. ولئن كانت للمواضيع المستقلة خاصيات محايثة (أي مقيمة، ملازمة) فقط، فإن الخاصيات التابعة مميزة بواسطة ضم الخاصيات المحايثة وتلك التي هي منسوبة إليها بالوعي. هكذا فليس للخاصيات التابعة وجود كلي بدون مشاركة الوعي أي بدون تنشيط علاقة الذات — الموضوع. ومادام الأدب منتما لهذه المقولة، فإنه يستدعي «تجسيذا» أو «تحققا» من لدن القارئ.

في هذا الفصل سأورد بعض مساهمات ظاهراتية القراءة في شعرية التخيل القصصي. لكن وعلى الرغم من هذا المنحدر الجديد، فإن

بؤرة الفصل (كما يدل عليه عنوانه) ستبقى هي النص. بالتالي سيعدل التحليل بعض الافتراضات البنيوية، لكنه لن يقوم بتمثيل «المراجعات» البعيدة المدى، على نحو أكبر لبعض الدراسات المتوجهة إلى القارئ، ذلك أنها كثيرا ما تكون في نزاع مع مشروع الشعرية القصصية. إلى جانب ذلك، سأركز بالدرجة الأولى على مظاهر تفاعل النص — القارئ الخاص بالتخييل القصصي. وسوف لن تناقش مشكلات استجابة القارئ أو تشكل المواقف بتفصيل، ماعدا حين تكون متأثرة بالكشف «الزماني» لكل من القصة والنص الذي يميز التخييل القصصي.

ثم استنتاج الاحالات المتواترة في الصفحات السابقة على عملية القراءة ودور القارئ، لكن من هو القارئ الذي أتكلم عنه ؟ هل هو «القارئ الفعلي» (فان ديك يوس)، «القارئ المتفوق» (ريفاتير)، «القارئ المختبر» (فيش)، «القارئ المثالي» (كولر)، «القارئ النموذجي» (إيكو)، «القارئ الضمني» (بوث، أيزر، تشاتمان، بيرى)، أو «القارئ المشفر» (بروك — روز) ؟ إن تحليل أوجه الشبه والاختلاف بين هذه المفاهيم المؤسسة لهذه الوفرة من التسميات سيقودني بعيدا عن خصوصية التخييل القصصي. ومن الكافي لغرضي هذا الإشارة إلى أن اللائحة تقدم رؤيتين متعارضتين تماما وفوارق ضئيلة متنوعة بينهما. في الطرف الأول من المفهوم يوجد القارئ الحقيقي، سواء فرد خاص أو المقروئية الجماعية لحقبة ما. وفي الطرف الآخر، يوجد التشييد النظري للقارئ الضمني أو المشفر، مثلا اندماج المعطيات والعملية التأويلية «المرحب» بها النص.

لقد وجب التوضيح من بؤرتي المصرح بها أن القارئ يُنظر إليه في هذا الكتاب كتشييد «تميز كنائي للنص» (بيرى 1979، ص. 43)، «It» بدل (he) «هو» أو (she) «هي» المشخص (انظر

كذلك الفصل 7⁽²⁾. مثل هذا القارئ يكون «ضمنيا» أو «مشفرا» في النص «في بلاغة حقيقية يستلزمه من خلالها «إعطاء معنى للمضمون» أو يعيد تشييده كـ «عالم» (بروك — روز b 1980، ص. 160). وهكذا تكون وثيقة صلة علم نفس القراء محدودة إلى حد ما. لكن سيتم تضمين بعض الملاحظات السكولوجية المتكئة مباشرة على ديناميات القراءة المرسومة في النص في القسم القادم. إن إيجابية الحديث عن قارئ ضمني بدل «استراتيجيات نصية» صرف وبسيطة (كما فعل دوليزيل، 1980، ص. 182) هي أن ذلك يتضمن رؤية للنص كنسق لبني ترحب بإعادة التشيد، بدل اعتباره كموضوع مستقل. وإعادة التمعن في الفصول السابقة ستظهر أن قارئاً من هذا النوع قد كان ضمينا في العديد منها. من ثم فكثيرا ما تستعمل الاسترجاعات لتزود بحقائق ضرورية للقارئ في حين تثير الاستباقات توقعات لديه، فهو الذي يستخلص القصة ويشيد الشخص من إشارات متنوعة متناثرة على طول السلسلة المتواصلة للنص، وما كان ضمينا فقط في الفصول السابقة ستم مناقشته في هذا الفصل.

ديناميات القراءة

تفرض اللغة، كما نص عليه الفصل 4، تصويرا خطيا للعلامات وبالتالي تقديم خطيا لحقائق حول الأشياء، ولا تملّي تقدما من حرف إلى حرف من كلمة إلى كلمة، من جملة إلى أخرى، الخ فحسب بل تفرض على القارئ إدراكا متواليا للمقادير الضئيلة للحقائق حتى حينما تدرك هذه الأخيرة كمتزامنة آنيا في القصة. قد يبدو هذا للبعض تقييدا غير ملائم للغة، بالمقارنة مع الرسم (على سبيل المثال) أو التأثيرات ذات العرض المزدوج في السينما. غير أنه بإمكان النصوص

(2) من أجل ملاءمة نحوية سأستمر في قول «هو» (he)، رغم الشرح السابق.

القصصية (والأدب بصفة عامة) أن تحدث قوة الضرورة، وتكتسب تأثيرات بلاغية متنوعة من الطبيعة الخطية للأداة. ويمكن للنص أن يوجه ويراقب فهم القارئ ومواقفه بوضع بعض المفردات قبل أخرى. ويلخص بيرى (1979، ص. 53) نتائج الاختبارات السيكلوجية التي أظهرت التأثير الحاسم للحقائق الأولية على عملية الإدراك («تأثير أولي»). هكذا تميل الحقائق والمواقف المقدمة في المراحل الأولى للنص إلى تشجيع القارئ على تأويل كل شيء على ضوءها. ويكون القارئ ميلا إلى الاحتفاظ بمثل هذه المعاني والمواقف لفترة طويلة قدر الامكان. مثلاً في «آنا كارينينا» لتولستوي (1873 — 1876) يتباطأ الانطباع الأولي للقارئ طويلاً بعد أن تتم رؤية المظاهر الأقل لطافة للشخصية وقد هيمنت على سلوكها. وبإمكان النصوص تشجيع نزعة القارئ للاستجابة مع أولوية التأثير عن طريق الدعم الدائم للانطباعات الأولية، لكن، وإجمالاً، تحفز القارئ على تعديل أو إرجاع الحدوس الأصلية. «يستغل النص الأدبي «إذن» «قوى» أولوية التأثير، لكنه على نحو مألوف يقيم آلية لمعارضتها، مسبياً، على العكس، تأثيراً جدياً» (بيرى 1979، ص. 57). ويشجع التأثير الجدي القارئ على استيعاب كل الحقائق السابقة على المفردة المقدمة أخيراً. على سبيل المثال، في «ماندالا الصلب» لباتريك وايت (1966) يُرى آرثر في النصف الأول من الرواية، من خلال عيني أخيه التوأم، كمحدود الذكاء وعاجز عن تأويل العالم حوله. لكن هذه الرؤية متبوعة بتقديم آرثر كصورة حساسة، حدسية لـ artist-cum-Christ في الجزء الأخير المروي من خلال إدراكه هو. ورغم كون الرؤية «الصحيحة» ضمناً دقيقاً لكلا التقديمين، فالقارئ يميل إلى رفض الأولى لصالح الأخيرة. من ثم، قد يغير تقديم المفردة في البداية أو النهاية عملية القراءة على نحو جذري وكذا النتائج النهائي. بشكل مفيد وكما يمكن أن يلاحظ من الأمثلة المشار إليها سابقاً، فكل من أولوية وجدية التأثيرات

قد تكونا قويتين لتعتم المعاني والمواقف التي ستنشأ من الاندماج المتناسك والكلي لمعطيات النص. وبإمكان الخطية كذلك أن تستغل لإحداث التشويق أو تضلل عمدا القارئ عن طريق إرجاء قسط من الحقائق (انظر ص. ص. 175 — 177) وهذا كذلك قد يتسبب له في تشييد المعاني التي عليها أن تراجع في مرحلة لاحقة.

كما رأينا، لا ينتظر القارئ حتى النهاية لفهم النص. ورغم أن النصوص تزود بحقائق بشكل تدريجي، فقط، فإنها تشجع القارئ على الشروع في دمج المعطيات منذ البداية (ييري 1979، ص. 47). من هذا المنظور، يمكن رؤية القراءة كعملية متواصلة لتشكيل الفرضيات، دعمها، تطويرها، تعديلها أو أحيانا إحلالها محل أخرى أو إسقاطها بالكل. لكن يجب الإشارة إلى أنه حتى الفرضيات المرفوضة قد تستمر في ممارسة تأثيرها على فهم القارئ.

مع نهاية عملية القراءة، سيكون القارئ دائما قد وصل إلى «الفرضية المنهية»، المعنى الاجمالي الذي يعطي معنى للنص ككل. وتختلف درجة «المنهية» من نص إلى آخر. في الروايات البوليسية تكشف النهاية عن الحل النهائي للمشكل الذي شرع النص في حله: X هو القاتل، Y هو اللص، موت Z سببه الحريق. إلا أن القارئ، أحيانا، ينهي الكتاب بدون حل نهائي. وهذا قد يكون سببه تعايش بعض الفرضيات «المنهية» التي إما تكمل الواحدة الأخرى بطريقة ما (معنى متعدد) أو تبعد، على نحو متبادل، كل منها الأخرى بدون الامداد بأرضيات للحسم بينها (الغموض القصصي) (ريمون 1977، ص. 10، انظر كذلك ييري وستوربنورغ 1968 b، الذي كان له تأثير على ما قيل أعلاه). هكذا، ففي نهاية «الصورة في البساط» لجيمس (1896) لا يستطيع القارئ الحسم بين الفرضية (أ) «هناك صورة في بساط فيركير». والفرضية (ب) «ليس هناك صورة في بساط

فيركير»، وبدل العلق ثمة تذبذب بين الامكانييتين. على أن بعض النصوص (الحديثة بالدرجة الأولى) تبدو مخصصة للحيلولة دون تشكل أي «فرضية مناهة» أو المعنى الاجمالي عن طريق جعل مفردات متنوعة تتلف الواحدة الأخرى أو تلغي الواحدة الأخرى، من غير أن تشكل إمكانيات متعارضة على نحو دقيق. هذه الظاهرة التي تعلق بها، بشكل عال، المابعد بنويون (أو التفكيكيون) يحال عليها بـ «اللاحسمية» أو «اللاقراءة»، وتؤخذ كخصيصة للادب بصورة عامة (انظر، على سبيل المثال، ميلر 1980، ص. ص. 107 — 118، والناقشة مع ريمون — كنعان، 1980 — 1981، ص. 185 — 191).

كثيرا ما يتطلب الاندماج المتقدم للحقائق عينة استعادية للاجزاء الأولى من النص. ويمكن لاعادة النظر هذه أن تأخذ شكلا من شكلين إثنيين : (أ) استخدام آخر للماضي، مدعما أو مطورا إياه بدون تناقض أو حذف معانيه السابقة أو التأثيرات، مثلا، مع كل حادثة متضمنة إمكانية الاحراق المتعمد في «الهرى المحترق» لفوكنر (1939)، سيعود القارئ إلى الحوادث السابقة بهدف جمع كل التفاصيل التي قد تشرح تحفيز الأب. (ب) إعادة فحص الماضي يعدل، يحول، أو يرفض معانيه السابقة أو التأثيرات. هكذا، ففي نهاية «وردة لإيملي» لفوكنر (1930) تتم إعادة تشييد حادثة الشم، وتكون مرتبطة الآن بوضوح بالجثة الممددة في الطابق العلوي منذ أربعين سنة، وليس بفأرة أو ثعبان قتل إما من طرف إيملي أو خادمتها، كما تفضي المرحلة الأولى من النص بالقارئ إلى الاعتقاد. يتضمن الشكل الأول من إعادة التشييد الاستعادي العينة الاضافية فقط، ويحتفظ بالتماسك، وبالتالي يكون أجدر بالفضيل طالما هو ممكن. من جهة أخرى يحدث الشكل الثاني إعادة عينة كاملة، وكثيرا ما يتسبب في المفاجأة أو الصدمة (بيري 1979، ص. ص. 59 — 60).

إلى جانب العودة إلى الماضي، تتضمن القراءة كذلك «قفزات» في المستقبل، فكثيرا ما يغامر القارئ بتخمينات متنوعة لما «سيحدث» في التهمة. يكون الماضي ممثلا للمستقبل، و ينتظر القارئ كي يرى ما إذا كانت ستتتحقق توقعاته أو العكس. حين تتحقق، يكون التأثير أحد الارتياحات لكن كذلك تهدئة للتشويق. حين لاتتحقق، تنشأ مواجهة حادة بين المتوقع والراهن، وهذا يقود إلى إعادة فحص فعالة وتعديل للماضي⁽³⁾.

الوضع المفارقةي للنص مقابل قارئه

ثمة نهاية واحدة على النص أن يصل إليها : يجب التأكد أنها ستقرأ، لأن وجوده متوقف عليها. على نحو مفيد، فالنص مأسور هنا في وثاق مزدوج. من جهة، من أجل قراءته عليه أن يكون مفهوما، يجب عليه أن يعزز الوضوح بواسطة إرساء نفسه في شفرات، إطارات، نظاما كليا مألوفاً لدى القارئ. لكن إذا فهم النص بسرعة كبيرة، فسيصل بذلك إلى نهاية مبكرة. هكذا، ومن جهة أخرى، من مصلحة النص تباطؤ عملية الفهم عند القارئ لضمان بقاء النص على قيد الحياة. لهذه الغاية، سيقدم النص عناصر غير مألوفة، وسيعدد الصعوبات لنوع أو لآخر (شكلوفسكي 1965، ص. 12، الطبعة الأصلية بالروسية 1917)، أو ببساطة يرجئ تقديم المفردات المتوقعة⁽⁴⁾.

(3) يمكن إيجاد نفس التعليقات حول ديناميات القراءة، مع أنها أحيانا مصاغة بمصطلحات مختلفة، عند آيزر a 1971، ص. ص. 283 ؛ 287 ؛ إيكو، 1979، ص. 32 ؛ برينكر 1980، ص. 206. لتفادي الخلط الاصطلاحي، اخترت التقييد بتقديم واحد، ويبدو تقديم ييري أكثر شمولية.

(4) الفقرة السابقة مؤسسة على ملاحظات من محاضرة موشي رون.

الوضوح، أو كيف يفهم القارئ النص ؟

يستلزم فهم النص اندماج عناصره فيما بينها، اندماج يتضمن مناشدة النماذج المتنوعة المألوفة للتماسك (كولر 1975، ص. 159). ويسمى كولر استيعاب النص للنماذج المعروفة سابقا «التطبيعية» : «إن تطبيع نص هو وضعه في علاقة مع نوع خطاب ما أو نموذج طبيعي واضح سابق في بعض النواحي (1975، ص. 138)⁽⁵⁾. وقد سميت هذه النماذج الطبيعية الواضحة السابقة على نحو متنوع «الشفرات» لدى بارث (1970)، «النظام الكلي» لدى أيزر (a 1971)، «الاطارات المرجعية» لدى هروشوفسكي (1976)

(5) حسب كولر، كثيرا ما يستعمل «التطبيع» في الشعرية البنيوية كتعارض مع «الاسترداد»، «التحفيز»، «vraisemblabilisation»، ومع ذلك يشير إلى الاختلافات الدقيقة بينهما (1975، ص. ص. 137 — 138)، بينما لا يشير إلى اختلافات أخرى.

فيما نشأت المصطلحات الثلاثة الأخرى من البنيوية الفرنسية، أشتق «التحفيز» من الشكلائية الروسية، رغم أنه يستعمل أيضا (عادة مع تأكيد مختلف) في البنيوية (انظر ستورنبورغ (...)) فيما يخص الاختلاف بين استعمال جنيت واستعمال الشكلائين، وكذا فيما يتعلق بالاختلافات بين الشكلائين أنفسهم). يستعمل «التحفيز»، أيضا من طرف مدرسة تل أبيب، وقد كنت سأخاطر بمعادلته مع «التطبيع» من أجل توليف رائع. لكن وكما أشار ستورنبورغ (...)، فإن «التحفيز» متأسس على علاقات الغاية — الوسيلة، فيما يهيم «التطبيع» أشكال وشروط الوضوح والدمج. علاوة على ذلك، يكون «التحفيز» متوجها نحو المؤلف في حين يكون «التطبيع» متوجها نحو القارئ. قد تكون هذه هي الاختلافات في التأكيد المنهجي (نفس الكتاب)، لكنها قد تكون أيضا اختلافات أيديولوجية أساسية، ومادام هذا الفصل متوجها نحو القارئ أكثر من كونه متوجها نحو المؤلف، فقد قررت تفادي الخلط والتمسك «بالتطبيع». وحيث أن المفهومين بإمكانهما أن يرتبطا على نحو ملائم، فسأشير إلى ذلك. يمكن أن يجد جزء من الشكل حله إذا ما اقتفينا أثر ييري في رؤية كل من المؤلف والقارئ ككنايتين للنص.

«الاطارات المتداخلة نصيا» لدى إيكو (1979)، و «الاطارات» بإيجاز كبير لدى بيرى (1979). وعلى الرغم من الاختلافات في التفاصيل، تبدو لي المفاهيم المؤسسة متشابهة. قارن، على سبيل المثال، تعريف كولر المشار إليه أعلاه مع وصف بارث للشفرات :

الشفرة منظور استشهادات، سراب بنى... عدد كبير من شيء تمت قراءته، رؤيته، فعله، تجربته «سابقا»، والشفرة هي الیقظة لذلك «السابق».

(1974، ص. 20، الطبعة الأصلية بالفرنسية 1970)

وحتى تصيغ بيرى فيقترب من كولر (رغم عدم كونه متأثرا به) : «إن هذا التشييد لعملية القراءة المؤسس على النماذج المألوفة من قبل القارئ هو استخدام «الجهة من الاطارات» (1979، التأكيد له) التي يمكن أن تكون كرونولوجية، مكانية، شكلية، لسانية، منطقية، منطقية زائفة، الخ.

يبدو لي أن استخدام إطار ما، هو تأسيس لفرضية في نموذج التماسك السابق رؤيته (أو بشكل مخالف وضع فرضية عن طريق الاحالة إلى مثل هذا النموذج). هكذا، بإمكان ديناميات القراءة أن تُرى ليس كتشكل، تطوير، تعديل، إحلال الفرضيات فحسب (انظر ص. 94) بل أيضا — على نحو متزامن آني — كتشييد للاطارات، تحويلاتها، وتفكيكها. ومثل كولر، يربط بيرى كذلك تشييد الفرضيات باندماج المعطيات :

كل قراءة لنص ما هي عملية لتشييد نسق من الفرضيات أو الاطارات الممكن أن تخلق وثيقة صلة عليا بين المعطيات المختلفة للنص — الذي يمكن أن يحفز «تعايشها» في النص حسب النماذج المشتقة من «الواقع»، من التقاليد الادبية أو الثقافية، وهلم جرا. كل واحدة من هذه الفرضيات هي

طريقة «لعنونة» تشكل جواباً لأسئلة ك : ما الذي يحدث ؟
ما الحالة ؟ ما الوضع ؟ أين يحدث هذا ؟ ما هي الخواطر ؟
ما الغرض ؟ ماهو وضع المتكلم ؟ ما هي الحجة أو الفكرة
«المنعكسة» في النص ؟ الخ

(1979، ص. 43)

يمكن أن تشتق «نماذج التماسك» إما من «الواقع» أو من الأدب⁽⁶⁾. وتساعد نماذج الواقع في تطبيع العناصر بالاحالة على مفهوم ما (أو بنية) يحكم إدراكنا للعالم. ويمكن لمثل نماذج التماسك هاته أن تكون مألوفة لدرجة تبدو معها طبيعية ولا يمكن فهمها كنماذج إلا بالكاد. إلى هذه المقولة تنتمي التكنولوجيا والسببية (انظر الفصل 4 لأجل تعليق حول اللاطبيعة — الزائفة). تتأسس شفرة الفعل عند بارث (الشفرة الاحداثية) على هذا النوع من النموذج الذي يقول لنا، على سبيل المثال، إن رنين الهاتف يمكن أن يستجاب له أو يتم تجاهله، أو ألا يولد الطفل قبل أن تحبل به أمه. وعلى ما يظهر يكون التجاور في المكان نموذجاً طبيعياً آخر. من جهة، ثمة نماذج الواقع التي لا يمكن

(6) يسمى ستورنبورغ (...)، الذي يتكلم عن «التحفيز» عوض «التطبيع»، المبدأين «شبه محاكياتي»، أو «مرجعي» مقابل «جمالي أو بلاغي». ويتحدث بيري (1979، ص. 36 — 42) عن «التحفيزات المتوجهة نحو النموذج، مقابل «التحفيزات المتوجهة نحو القارئ أو البلاغي». وأود أن أؤكد على أن كلا النوعين مؤسسان على «النماذج»، أود كذلك تفادي مشكل المكانة المحاكاتية، شبه المحاكاتية، أو المرجعية للواقع في التخيل. وبالتالي ستكون مصطلحاتي هي «نموذج / نماذج الواقع» (أي أن التحفيز أو التطبيع غير متأسس على الواقع نفسه بل على نموذج يشيده ذهن الانسان كي يستطيع تصويره) مقابل «نموذج / نماذج الأدب». وقد كان الفارق الشكلي الأصلي ثلاثياً : تحفيز واقعي، تألفي وفني (توماتشيفسكي 1965. الطبعة الأصلية بالروسية 1925). إلا أن ستورنبورغ برهن على نحو قويم (...) بأن «التألفي هو في الواقع نوع فرعي «للفني».

فهمها كطبيعية بل يتم التعرف عليها عن طريق مجتمع ما كتعميمات أو قولبات، «مجموعة في الحكم والأحكام المسبقة المشكلة رؤية العالم ونسقا من القيم» (جنيت 1969، ص. ص. 73 — 75، الترجمة [الانجليزية] لكولر 1975، ص. 144). إلى هذه المقولة تنتمي الشفرة الثقافية لبارث، وبالتالي يساعد تعميم ك «النساء الخجولات تتورد وجوههن» القارئ على تأويل «تورد وجه زامبينلا» (في «سارازين» لبزرك، 1830) بوصف زامبينلا امرأة⁽⁷⁾.

عكس نماذج الواقع، لا تتضمن نماذج الأدب توسطا عبر بعض مفاهيم العالم. بل بالاحرى تجعل العناصر واضحة بالاحالة على المؤسسات أو الضرورات الأدبية على وجه التخصيص. من ثم قد يتم تحليل عنصر ما بموجب مساهمته في الفعل (لا يقتل هاملت كلوديوس في الفصل 1، فذلك سيكون نهاية المسرحية)، أو إيضاحه لتيمة ما (منزل البطلة في «وردة لايملي» لفوكنر، يوصف كمتعفن بهدف استحضار التفسخ في الجنوب)، وهلم جرا. أما النموذج الأدبي المؤسساتاتي الأكثر هو الجنس، حيث أسست تقاليده نوع اتفاقية بين النص والقارئ، كي تصوير بعض التوقعات معقولة، وأخرى مبعدة، وتصبح العناصر التي تبدو غريبة في سياق آخر واضحة داخل الجنس (كولر 1975، ص. 147). هكذا يمكن أن يصير الانسان الذي يخلق في الهواء واضحا ومقبولا إذا ما كان النص منتبيا إلى الجنس العجيب (حول العجيب، انظر تودوروف 1970).

البقاء الذاتي، أو كيف «يغوي» النص القارئ للاستمرار في القراءة.

رغم إمكانية تطبيع كل شيء، في النهاية، في النص وجعله مقبولا

(7) ضمن السياق الدقيق، هذا تأويل مضلل، مادامت زامبينلا مخصية (Castrato). وعمدا، يضلل النص القارئ عن طريق الاحتكام إلى نماذجه في الواقع.

سواء بواسطة نماذج الواقع أو النماذج المشتقة من الأدب، فإن وجود النص متوقف على الاحتفاظ بطور «اللامعروف واللاواضح بالكل، بعد» لمدة طويلة قدر الامكان. وعلى نحو ضمني، تعد النصوص القصصية القارئ بجائزة الفهم الكبرى — لاحقا. إذ تقترح درجات متفاوتة الدقة : «الاحسن سيأتي بعد، لانتوقف عن القراءة الآن»، وبالتالي تثير الاهتمام، الفضول أو التشويق. في هذا القسم سأفحص طريقتين لتباطؤ الفهم وخلق التشويق : التأجيل والثغرات.

التأجيل

يتألف التأجيل من عدم إفشاء الحقائق حيث يجب أن تكون في النص، بل يتركها إلى مرحلة لاحقة. ومتوقفا على البعد الزمني المنتمية إليه الحقائق المحتبسة، بإمكان التأجيل خلق تشويق من نوعين مختلفين : متوجه نحو المستقبل، ومتوجه نحو الماضي (أي متوجه نحو مستقبل أو ماضي القصة). يتوقف النوع المتوجه نحو المستقبل على الإبقاء على قيد الحياة سؤال «ماذا بعد ؟» (وبالتالي يرتبط بالشفرة الاحداثية عند بارث). وهذا لا يكون بحاجة إلى تضمن استبدال زمني ؛ فقد تُروى الأحداث بالترتيب الذي يفترض أنها وقعت فيه، لكنها يجب أن تكون أحداثا من النوع الذي يثير توقعا قويا بهدف مواصلة المساق المقترن بشك قوي كـ «كيف» يجب أن يواصل (على سبيل المثال، حياة البطل في خطر، هناك صراع يمكن أن ينتهي بانتصار أحد الطرفين، وخطة صعبة ومعقدة في طور التنفيذ، الخ). لأجل الزيادة وتمديد اهتمام القارئ. يؤجل النص سرد الحدث القادم في القصة، أو حدثا يكون القارئ متلهفا لمعرفة، أو سرد حدث يكون قريبا، بشكل دائم أو مؤقت، من المساق المتكلم عنه. هكذا، ففي «جوزيف أندروز» لهنري فيلدينغ، يقاطع الراوي قصة اختطاف فاني (Fanny)، وعوض قول الحصيلة النهائية — هل سينتهي المساق

بالإنقاذ أم بالاغتصاب ؟ — يقدم لنا استطرادا : «المحادثة بين الشاعر والممثل ؛ ليس من فائدة في هذا التاريخ سوى تسلية القارئ» (1962، ص. 203. الطبعة الأصلية 1742). والواقع أن القارئ ليس بحاجة إلى التسلية، بل بالاحرى يرغب في معرفة قدر فاني، وبالتالي يظل معلقا.

يتكون التأجيل المتوجه نحو الماضي من الابقاء على قيد الحياة أسئلة كـ «ماذا حدث ؟»، «من قام بذلك ؟»، «لماذا ؟!»، «مامعنى كل هذا ؟» هنا قد يستمر زمن القصة، لكن فهم القارئ للأحداث المروية يعوقه حذف حقائق (أي خلق شفرة) حول الماضي أو الحاضر. على سبيل المثال، في «الجانسوس القادم من البرد» لوكاري (1963)، لا يتم إخبار القارئ إلى غاية، تقريبا، نهاية الكتاب حيث تشكل مجهودات الموظف البريطاني ليماس، لإسقاط ضابط المخابرات الألمانية الشرقية، موندت، جزءا من الخطة المدبرة من قبل موندت ورؤساء ليماس غير المعروفين لديه، لتكذيب ضابط ألماني شرقي آخر.

هكذا يحول التأجيل عملية القراءة (أو أحد مظاهرها) إلى لعبة تخمين، محاولة لحل لغز أو أحجية. وكما أوضح بارث في تحليله لما أسماه «الشفرة التأويلية» تُبنى اللعبة بواسطة وحدات متنوعة ليست بحاجة إلى التجلي كلها في أي نص. تحدد المراحل الأولى الموضوع الملغز («تيماتية» اللغز)، مقترحة وجود لغز يتعلق بالموضوع («وضع» اللغز)، تصيغه وتعد، على الأقل، ضمنيا، بجواب. ومقتفيا أثر مدخل اللغز، يؤسس النص عملية مفارقاتية، شبيهة بما رسمته سابقا : من جهة تبدو العملية دافعة بالحل إلى الأمام، فيما، من جهة أخرى، تسعى إلى الاحتفاظ باللغز لمدة طويلة قدر الامكان بهدف تأمين وجوده. وبالتالي تقدم تقنيات تأخيرية متنوعة، كـ : الشرك (مفتاح مضلل)، مراوغة، عقبة، جواب معلق، جواب جزئي (بارث 1970، ص. ص. 80 — 81 ؛ 215 — 216).

بالامكان تطبيع التقنيات التأخيرية المتنوعة، سواء كان التأجيل متوجها نحو المستقبل أو نحو الماضي، بالإحالة على نماذج الأدب أو نماذج الواقع أو — باستعمال المصطلحات الشكلانية التي تبدو هنا ملائمة — يمكن أن تكون إما محفزة على نحو فني أو واقعي. ينتمي إلى هذه المقولة الأولى تأجيل فيلدينغ من خلال استطراد الراوي العاكس أهداف وآثار سرده (انظر ص 97). في المقولة الثانية تصير التأجيلات معقولة بموجب الوقائع في القصة نفسها، مثلا موت شخصية تمتلك بعض الحقائق، رحيل شخصية ما، يفوتها القطار، أو تضيع رسالة تحتوي على حقائق هامة جدا، رفض شخصية ما إفشاء سر جراء الخوف، الحذر أو أيما شيء. مثل هذا النوع من الحافز زاحر في «الصورة في البساط» لهنري جيمس (انظر ريمون 1973).

يمكن أن يكون كل من التأجيل المتوجه نحو المستقبل أو نحو الماضي موضعيا، أي يتضمن فقط جزءا أو مظهرا من النص (مثل ما في المثال السابق من «جوزيف أندروز» أو — شاملا، أي له تأثير على جزء كبير من النص أو النص برمته (مثل ما في الروايات البوليسية أو في «الصورة في البساط».

الثغرات

كيف يتم صنع اسفنجة ؟ أولا تضع ثقبا... وكيف تصنع نصا قصصيا ؟ بنفس الطريقة بالضبط. تشكل الثقوب أو الثغرات جانبا مركزيا في التخيل القصصي باعتبار أن المواد التي يوفرها النص لاعادة تشييد عالم (أو قصة)، غير كافية للشباب. ومهما كان العرض مفصلا، فثمة أسئلة إضافية تطرح، وتظل الثغرة دائما مفتوحة. يقول آيزر : «لا حكاية :

يمكن أن تقال برمتها. والحق أن القصة لاكتسب ديناميته

إلا عبر الحذف الحتمي. هكذا، ومتى تمت مقاطعة التدفق، نساق، نحن، إلى اتجاهات غير متوقعة، والفرصة المقدمة لنا هي تشغيل ملكتنا لتأسيس ترابطات — بهدف ملء الثغرات التي تركها النص ذاته.

(1971، ص. 285)

كما رأينا أعلاه، يتأثر اندماج الحقائق المتناثرة في النص وكذا ملء الثغرات، بالاحالة على نماذج التماسك أو الاطارات. هكذا [يقول] بيرى : «يقود انتقاء أي إطار خاص بحكم الطبع إلى الامداد بحقائق (ملء ثغرات) ليس لها أي أساس لفظي مباشر في النص» (1979، ص. 45). لكن بإمكان اختيار الاطار أن يخلق ثغرات، لأنه لا يمكن إشباع الاطارات نفسها ولأن التضارب بينها يتسبب في أسئلة زائدة.

التأويل هو الثغرة النموذجية جدا في التخييل القصصي (يسمى أيضا «ثغرة الحقائق»)، ولقد مالت الدراسات الأولى (مثلا، بيرى وستورنبورغ b 1968، ص. ص. 263 — 293 وريمون 1977، ص. ص. 45 — 58) للتركيز على هذه الأنواع مباشرة. أما الدراسات التالية (مثلا بيرى 1979، إيكو 1979) فأدمجتها ضمن عملية أوسع (إنتقاء — الاطار، التعديل، والاحلال). يتكون المظهر التأويلي للقراءة من اكتشاف اللغز (ثغرة)، البحث عن المفاتيح، تشكيل الفرضيات، محاولة الاختيار من بينها وتشبيد فرضية مناهة (أكثر من أي وقت مضى).

تتسلسل الثغرات التأويلية من الثغرات الأكثر تفاهة، التي إما أن تملاً آليا (تظهر ديزي ميلر في الفندق، وبالتالي فمؤكد أنها وُلدت ؛ بيردسلي 1958، ص. 242) أو لا تتطلب الملء (عدة ثغرات في الكتاب المقدس)، عبر درجات مختلفة من الأهمية، إلى الثغرات الحاسمة والمركزية في القص لدرجة تصبح محور عملية القراءة («من قام به ؟»

في القصص البوليسية، «هل هناك أو ليس هناك أشباح في «بلي» (Bly) ؟ في «دورة اللوب» لهنري جيمس).

بصرف النظر عن مركزية الثغرة، يمكنها أن تكون إما مؤقتة، أي مملوءة في نقطة ما في النص (كما في جل الروايات البوليسية) أو دائمة، أي تظل مفتوحة حتى بعد أن يصل النص إلى النهاية (مثل ما في «دورة اللوب»). ولا يمكن أن يكون الفارق بين الثغرات المؤقتة والدائمة إلا في استحضار الماضي. في عملية القراءة لا يعرف القارئ ما إذا كانت الثغرة مؤقتة أو دائمة. لكن، والحق يقال إن هذا الارتياح هو أساس ديناميات القراءة.

تنتج الثغرات المؤقتة من التعارض بين زمن القصة وزمن النص. لقد رأينا آنفا أن التأجيل المتوجه نحو الماضي يتضمن، بشكل ضروري، ثغرة. قد يخلق الاستباق كذلك ثغرة عن طريق إهمال مراحل مختلفة بين القص الأول والمستقبل المتوقع. من جهة أخرى، كثيرا ما يميل استرجاع ثغرة سالفة، لكنه قد يخلق أيضا ثغرة جديدة بتقديمه لانهيار آخر للأحداث المروية سابقا، وبالتالي يسبب صعوبة التصالح بين الانطباعات الطرية والأخرى «القديمة». ومشكلة من الاستبدالات الزمنية، تكون الثغرات في النص وحده. أما في القصة المجردة فستظهر الحقائق المحتبسة في مكانها المناسب ضمن الكرونولوجيا. من جهة أخرى، توجد الثغرات الدائمة في كل من القصة والنص : لأعطى الحقائق البتة. هكذا تستلزم ثغرة في القصة ثغرة في النص. لكن لا تكون الثغرة في النص بحاجة إلى استلزام ثغرة مطابقة للثغرة في القصة.

قد يتم أو لا يتم إشعار القارئ بوجود ثغرة في عملية القراءة. حين يصير واعيا، تكون الثغرة توقعية، وتصبح عملية القراءة (على الأقل إلى حد ما) محاولة لملئها. لكن أحيانا يمكن للنص أن يمنع القارئ

من طرح السؤال الصحيح حتي تتم الاجابة عنه. تكون الثغرة في هذه الحالة استعادية، مثلا في «الآمال الكبرى» لديكنز، لايطرح بحزم سؤال : «من هو الشخص السري الذي يحسن إلى ييب ؟» حتي تزود الأحداث نفسها بالحل. ولا يصير القارئ مدركا لبعض الحقائق الهامة المحتبسة عنه إلا بعد الحل.

وكيفما كانت المقولة المنتمية لها الثغرة، فإنها تعزز دائما الاهتمام والفضول، تمدد عملية القراءة، وتساهم في المشاركة الدينامية للقارئ لجعل النص دالا.

خاتمة

هل كان هذا الكتاب مدخلا أو نعيًا لشعرية التخيل القصصي ؟ كل من الجوابين ممكن. لكن لا يبدو لي أن كل واحد منهما كاف. ففي عدد من الحلقات، متضمنة بعض الجامعات، إما يتم تجاهل شعرية التخيل القصصي أو يتعامل معها بارتياح. بالنسبة لها يصلح هذا الكتاب لأن يكون مدخلا. في حلقات أخرى، يعتبر هذا الحقل قد قضى نحبه أو على الأقل حلت محله التفكيكية. من وجهة نظر هذه الحلقات، سيكون هذا الكتاب نعيًا، وبرغم ذلك فشعرية التخيل القصصي ليست مولودا جديدا كما قد يبدو للحلقات الأولى ولا جثة كما قد يبدو للثانية. فهذا الحقل مازال حيا وحيويا، رغم أنه (أو ربما لأنه) لم يعد يتمتع بامتياز آخر الموضوعات. علاوة على ذلك، يبدو لي أن التفكيكية، ربما رغم أنفها، قد تساهم في شعرية التخيل القصصي عوض أن تقوض صرحها. بهذا الاقتراح وددت أن أختتم.

ضمن أشياء أخرى، تتحدى التفكيكية مفهوم *Differencia specifica* الذي كان مركزيا في عرضي (انظر الفصل 1) ص. 9. وبدل التمييز بين التحليل القصصي والانواع القصصية الأخرى (كما قمت بذلك)، تهتم التفكيكية، على نحو دقيق، بالعناصر التي تشترك فيها الروايات، الأفلام، المسلسلات الهزلية، الرقص، التقارير الاخبارية، الكتب التاريخية، الجلسات الخاصة بالتحليل النفسي، الجدالات الفلسفية — المنتجات الثقافية التقليدية المصنفة كـ لا لفظية، لا تخيلية، أو لا قصصية. وكما تم توضيحه في الفصل الثاني، يتعامل علم السرديات، كذلك مع القاسم المشترك في الأنواع القصصية المتنوعة.

هذا القاسم هو «القصة» — التشييد الاللفظي الذي يجرده علم السرديات من النص اللفظي وكذا من الانساق الأخرى للعلامة. من جهة أخرى، تهتم التفكيكية بالتشابهات اللفظية، وليس الاللفظية، بين كل أنواع القص: إذ بدل تجريد المظهر، «القبل — وسيط» المشترك، من الأنواع القصصية، تبحث التفكيكية عن العناصر القصصية في النصوص البلاغية التاريخية، الفلسفية والتحليلية النفسية (انظر، على سبيل المثال، ديريدا a 1967، b 1967، 1972؛ دومان 1971، 1979؛ لاكان 1966؛ فيلمان 1977؛ بروكس 1977؛ 1979؛ تشيز 1979؛ نوريس 1982). ولأن نزعتها هي لفت الانتباه إلى بلاغيته وتخييليته، فالقص الأدبي يصير نوعا من الاستبدال، المستخدم في اكتشاف العناصر القصصية في النصوص التي يكون فيها مثل هذا الوعي أقل تصرّحا دائما. منظورا إليها بهذه الطريقة، لا تبقى دراسة القص محدودة في الشعرية بل تصبح محاولة لوصف العمليات الرئيسية في أي نسق دال.

هذه تطورات مثيرة وواعدة، وليست أقل (من وجهة نظر الشعرية) إذ أنها تُمكن من أبحاث خصبة للعلاقة بين الأدب والأنماط الأخرى لترتيب وتمثيل التجربة» (كولر 1981، ص. 215). غير أنها، كثيرا ما تعتبر متضاربة مع شعرية التخييل القصصي. هذا صحيح، لأن تأكيدها على العناصر القصصية في النصوص المصنفة تقليديا كـ لا قصصية وكذا اقتفاءها للتخييلية في النصوص المدعوة لاتخييلية، يبدو متخلصا من «التخييل القصصي» كمقولة مستقلة. برغم ذلك، قد تتم البرهنة على أن الوعي بحضور العناصر القصصية والتخييلية في النصوص المزعومة لاقصصية ولا تخيلية ليس بحاجة إلى حذف (الصفات المميزة الخاصة) *differentia specifica* للتخييل القصصي. على العكس، بهذا الوعي يمكن إعادة فحص كل نوع من القص على نحو مستقل واكتشاف الاختلافات الجديدة داخل

التشابهات. من غير ريب، فهذه الاختلافات قد لا تكون تلك التي عزلتها الشعرية حتى الآن، بل إن ذلك يكون أنفع فقط. ومتآلفة مع التحدي الذي مثله المنظور الجديد، سيكون بمقدرة الشعرية تحسين فهمها للتخييل القصصي عن طريق إعادة طرح «سؤال تمييز الأدب إبان، كذلك، شرح مركزية البنى الأدبية على تنظيم التجربة» (كولر 1981، ص. 215). هذا النوع من الحركة الحلزونية المتصورة من قبل إليوت في سياق مختلف تماما، سيجعلنا نواصل المسير على نحو مشجع :

لن نتوقف عن الاستكشاف
ونهاية كل استكشافنا
ستكون الوصول إلى حيث بدأنا
ومعرفة المكان لأول مرة.

(«Little Gidding» من «رباعيات الابع»)

المراجع

تنقسم المواد المقدمة هنا إلى قسمين : (1) أعمال التخيل القصصي و (2) الدراسات النظرية. يتألف القسم الأول من الأعمال القصصية التي إما استشهد بها أو نوقشت ببعض التفصيل، لكنه لا يتضمن الأعمال المشار إليها بالمناسبة. القسم الثاني يتضمن كل الدراسات النظرية المحال عليها، مستشهدا بها أو محللة، حتى يتم توضيح كل النصوص التي كان لها تأثير على هذا الموضوع. هكذا، فالقسم الثاني شامل شيئا ما (رغم عدم كونه شموليا)، متضمنا كل المواد التي قد تظهر في مؤلفات New Accents الأخرى في قسم «قراءات إضافية». أما الكتب الأكثر أهمية لهذه الدراسة فقد تم تعليق الحواشي عليها ووسمت بعلامة نجمية.

الآثار التخيلية القصصية

- Beckett, Samuel (1972) *Watt*. London : Calder & Boyars. orig. publ. in French 1953.
- Bellow, Saul (1973) *Herzog*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1964
- Bierce, Ambrose (1952) «Oil of Dog», in *The Collected Writings of Ambrose Bierce*. New York: Citadel Press. orig. publ. in Bierce's *The Parrenticide Club*, 1909 – 12.
- Borges, Jorge Luis (1974) «The Garden of Forking Paths» and «Pierre Menard, Author of the Quixote», in *Labyrinths*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. in Spanish 1956.
- Brooke-Rose, Christine (1975) *Thru*. London: Hamish Hamilton.
- Butor, Michel (1957) *La Modification*. Paris : Minuit.

- Cervantes, Miguel de (1950) *Don Quixote*. Harmondsworth : Penguin. Orig. publ. in Spanish 1605 – 16.
- Chaucer, Geoffrey (1934) *The Canterbury Tales*. Garden City, NY : Carden City Books. Orig. publ. 1390 – 1400 approx.
- Chekhov, Anton (1927) «Sleepy», in *Selected Tales of Tchekhov*. London : Chatto & Windus. Orig. publ. in Russian 1888.
- Chekhov (1927) «Lady with a Lapdog», in *Selected Tales of Tchekhov*. London : Chatto & Windus. Orig. publ. in Russian 1899.
- Conrad, Joseph (1975) *Heart of Darkness*. Harmondsworth : Penguin. Orig. publ. 1902.
- Conrad, (1963) *Nostromo*. Harmondsworth : Penguin. Orig. publ. 1904.
- Cortázar, Julio (1967) *Hopscotch*. New York : Signet. Orig. publ. in Spanish 1963.
- Dickens, Charles (1964) *Bleak House*. New York : Signet. Orig. publ. 1853.
- Dickens, Charles (1978) *Great Expectations*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1860/61.
- Dos Passos, John (1938) *U.S.A.* New York: Modern Library.
- Faulkner, William (1950) «A Rose for Emily», in *Collected Stories of William Faulkner*. New York: Random House. Orig. publ. 1930.
- Faulkner, William (1965) *The Sound and the Fury*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1931.
- Faulkner, William (1971) «Barn Burning», in Warren, Robert Penn and Erskine, Albert (eds), *Short Story Masterpieces*. New York: Dell. Orig. publ. 1939.
- Faulkner, William (1972) *Absalom, Absalom !* New York : Vintage Books. Orig. publ. 1936.
- Fielding, Henry (1962) *Joseph Andrews*. London: Dent. Orig. publ. 1742.
- Fielding, Henry (1962) *Tom Jones*. London: Dent. Orig. publ. 1749.
- Flaubert, Gustave (1965) *Madame Bovary*. New York: Norton. Orig. publ. in French 1857.

- Flaubert, Gustave (1970) *Sentimental Education*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. in French 1869.
- Forster, Edward Morgan (1963) *A Passage to India*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1924.
- Gide, André (1949) *Les faux monnayeurs (The Counterfeiters)*. Paris: Gallimard.
- Hardy, Thomas (1963) *Tess of the D'Urbervilles*. London: Macmillan. Orig. publ. 1891.
- Hemingway, Ernest (1965) «The Killers» and «Hills like White Elephants», in *Men without Women*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1928.
- James, Henry (1959) *The Sacred Fount*. London: Rupert Hart-Davis. Orig. publ. 1901.
- James, Henry (1964) «The Figure in the Carpet», in *The Complete Tales of Henry James*. London: Rupert Hart-Davis. Orig. publ. 1896.
- James, Henry (1966) *The Portrait of a Lady*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1881.
- James, Henry (1973) *The Turn of the Screw and Other Stories*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1898.
- Joyce, James (1961) «Eveline», in *Dubliners*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1914
- Joyce, James (1963) *A Portrait of the Artist as a Young Man*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1916.
- Kleist, Heinrich von (1962) «The Marquise of O-», in *The Marquise of O- and Other Stories*. New York: Signet. Orig. publ. in German 1806.
- Lawrence, D.H. (1961) *Lady Chatterley's Lover*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1928.
- Lawrence, D.H. (1962) *Sons and Lovers*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1913.
- Lawrence, D.H. (1973) *The Rainbow*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1915. Le Carré, John (1965) *The Rainbow*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1915.
- Le Carré, John (1965) *The Spy Who Came in from the Cold*. New-York: Dell. Orig. publ. 1963.

- McCullers, Carson (1971) «The Sojourner». in Varren, Robert Penn and Erskine, Albert (eds), *Short Story Masterpieces*. New-York: Dell. Orig. publ. 1951
- Melville, Herman (1964) *Pierre, or the Ambiguities*. New-York: Signet. Orig. publ. 1852.
- Nabokov, Vladimir (1969) *Laughter in the Dark*. London: Weidenfeld & Nicolson. Orig. publ. in Russian 1933.
- Nabokov, Vladimir (1971) *The Real Life of Sebastian Knight* Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1941.
- Porter, Katherine Anne (1971) «Flowering Judas», in Warne, Robert Penn and Erskine, Albert (eds), *Short Story Masterpieces*. New York: Dell. Orig. publ. 1930.
- Proust, Marcel (1963) *Un amour de Swann*. Paris: Gallimard. Orig. publ. 1919.
- Robbe-Grillet, Alain (1965) «Jealousy», in *Two Nords by Robbe-Grillet: Jealousy and In the Labyrinth*. New York: Grove Press. Orig. publ. in French 1957.
- Spark, Muriel (1971) *The Prince of Miss Jean Brodie*. Harmondsworth: penguin. orig. publ. 1961.
- Sterne, laurence (1967) *Tristram Shandy*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1760.
- Tolstoy, Leo (1950) *Anna Karinina*. New York: Random House. Orig. publ. in Russian 1873 – 6.
- Tolstoy, Leo (1971) *War and Peace*. London: Heinemann. Orig. publ. in Russian 1864 – 9.
- Warren, Robert Penn and Erskine, Albert (eds) (1971) *Short Story Masterpieces*. New York: Dell.
- Whitel Patrick (1960) *Voss*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1957.
- Woolf, Virginia (1974) *Mrs. Dalloway*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. 1925
- Zinoviev, Alexander (1981) *The Yawning Heights*. Harmondsworth: Penguin. Orig. publ. in Russian 1976.

- Aristotle (1951) «Poetics», in Smith, James Harry and Parks, Edd Winfield (eds), *The Great Critics: An Anthology of Literary Criticism*. New York: Norton.
- Bakhtin, Mikhail (1973) *Problems of Dostoyesky Poetics*. Ann Arbor, Mich.: Ardis. Orig. publ. in Russian 1929.
- Bal, Mieke (1977) *Narratologie. Essais sur la signification narrative dans quatre romans modernes*. Paris: Klincksieck. Particularly important are the hierarchical tripartite distinction (fable, story, narrative text) and the discussion of focalization and narration, criticizing and modifying Genette's theory (1972)
- Bal, Mieke (1978) «Misc en abyme et iconicité», *Littérature*, 29, 116 – 23.
- Bal, Mieke (1981 a) «Notes on narrative embedding», *Poetics Today*, 2, 2, 41 – 60.
- Bal, Mieke (1981 b) «The laughing mice, or on focalization», *Poetics Today*, 2, 2, 202 – 10.
- Bally, Charles (1912) «Le style indirect libre en français moderne», *Germanisch-Romanisch Monatsschrift*, 4, 549 – 56 and 597 – 606.
- Banfield, Ann (1973) «Narrative style and the grammar of direct and indirect speech», *Foundations of Language*, to, 1 – 39.
- Bal, Mieke (1978 a) «The formal coherence of represented speech and thought» *Poetics and Theory of Literature*, 3, 289 – 314. A Linguistically oriented study of free indirect discourse and related phenomena. Banfield's hypothesis (here an elsewhere) concerning «speakerless» sentences has influenced some narratologists in talking about «narratorless' narratives (e.g. Chatman 1978).
- Bal, Mieke (1978 b) «Where epistemology, style, and grammar meet literary history: the development of represented speech and thought», *New Literary History*, 9, 415 – 54.
- Bal, Mieke (1981) «Reflective and non-reflective consciousness in the language of fiction», *Poetics Today*, 2, 2, 61 – 76.

- Bann, S. and Bowlt, J.E. (eds) (1973) *Russian Formalism*. Edinburgh: Scottish Academic Press.
- Barnouw, Dagmar (1980) «Critics in the act of reading», *Poetics Today*, 1, 4, 213 – 22.
- Barthes, Roland (1964) *Essais Critiques*, Paris: Seuil. In English, (1972) *Critical Essays*. Evanston, Ill.: Northwestern University Press.
- Barthes, Roland (1966) «Introduction à l'analyse structurale des récits», *Communications*, 8, 1 – 27. In English, (1977) «Introduction to the structural analysis of narratives», in *Image-Music-Text*. London: Fontana. By now a classical example of the type of analysis practised in the early stages of French Structuralism. Particularly important is the analysis «story», with its distinction between «functions» (subdivided into «kernels» and «catalysts») and «indices» (subdivided into «indices proper» and «informants»).
- Barthes, Roland (1970) «Elements of Semiology», in *Writing Degree Zero and Elements of Semiology*. Boston, Mass.: Beacon Press. Orig. publ. in French 1964.
- Barthes, Roland (1970) *S/Z*. Paris : Seuil. In English, (1974) *S/Z*. New York: Hill & Wang. Marks Barthes's transition from structural to textual analysis. Through a study of Balzac's «Sarrasine», Barthes presents the codes underlying both the production of texts and their reading. Advocates plurality and reversibility.
- Barthes, Roland, Kayser, Wolfgang, Booth, Wayne C. and Hamon, Philippe (1977) *Poétique du récit*. Paris: Seuil.
- Beardsley, Monroe C. (1958) *Aesthetics: Problems in the Philosophy of Criticism*. New York: Harcourt, Brace & World.
- Benveniste, Emile (1966) *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard. In English, (1970) *Problems in General Linguistics*. Coral Gables, Florida: University of Miami Press.
- Blin, Georges (1954). *Stendhal et les problèmes du roman*. Paris: Corti.
- Booth, Wayne C. (1961) *The Rhetoric of Fiction*. Chicago: The

University of Chicago press. The most systematic Anglo-American contribution to questions of point of view, types of narrators, the norms of the text, the notion of the implied author. Abounds in interesting examples from a wide range of literary works. Although Booth's moralistic stance has often been criticized and many of his theories have undergone modification, this remains a seminal book.

- Bradley, A.C. (1965) *Shakespearean Tragedy*. London: Macmillan. Orig. publ. 1904.
- Bremond, Claude (1964) «Le message narratif», *Communications*, 4, 4 – 32.
- Bremond, Claude (1966) «La logique des possibles narratifs», *Communications*, 8, 60 – 76.
- Bremond, Claude (1970) «Morphology of the French Folktale», *Semiotica*, 2, 247 – 76. See comment under next item.
- Bremond, Claude (1973) *Logique du récit*. Paris: Seuil. A model for the analysis of «story». Inspired by propp, Bremond Divides every sequence into three functions and allows for bifurcation at every stage.
- Brinker, Menachem (1980) «Two phenomenologies of reading. Ingarden and Iser on textual indeterminacy», *Poetics today*, 1, 4, 203 – 12.
- Bronzwaer, W.J.M. (1970) *Tense in the Novel: An Indestigation of Some Potentialities of Linguistic Criticism*. Croningen: Walters-Noordhof.
- Bronzwaer, W.J.M. (1981) «Mieke Bal's concept of focalization: a critical note», *Poetics Today*, 2, 2, 193 – 201.
- Brooke-Rose, Christine (1980 a) «The readerhood of man», in Suleiman, Susan R. and Crosman, Inge (eds), *The Reader in the Text. Essays on Audience and Interpretation*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 120 – 48.
- Brooke-Rose, Christine (1980 b) «Round and round the Jakobson diagram: a survey», *Hebreto University Studies in Literature*, 8, 153 – 82
- Brooks, Cleanth (1947) *The Well Wrought Urn*. New York: Harcourt, Brace & World.

- Brooks, Cleanth and Warren, Robert penn (1959) *Understanding Fiction*. New York: Appleton-Century-Crofts. Orig. publ. 1943.
- Brooks, Peter (1977) «Freud's masterplot», *Yale French Studies*, 55/56, 280 – 300.
- Brooks, Peter (1979) «Fictions of the Wolfman: Freud and narrative understanding», *Diacritics*, 9, 72 – 81.
- Bühler, W. (1936) *Die «Erlebbare Rede» im englischen Roman, ihre Vorstufen und ihre Ausbildung im Werke Jane Austens*. Zürich: Max Niehans Verlag.
- Chase, Cynthia (1979) «Oedipal textuality: reading Freud's reading of Oedipus», *Diacritics*, 9, 54 – 68.
- Chatman, Seymour (1969) «New ways of analyzing narrative structure, with an example from Joyce's *Dubliners*», *Language and Style*, 2, 3 – 36
- Chatman, Seymour (1971) (ed.) *Literary Style: A Symposium*. London and New York: Oxford University Press.
- Chatman, Seymour (1972) «On the Formalist-Structuralist theory of character», *Journal of Literary Semantics*. 1, 57 – 79.
- Chatman, Seymour (1978) *Story and Discourse*. Ithaca, New York: Cornell University Press. A synthesis of various theories of narrative in literature and film, discussing events, characters, time, point of view and narration. My own study sometimes relies on Chatman and often disagrees with him. Particularly important is the section on character, criticizing its reductive treatment by formalists and structuralists, and suggesting an analysis in terms of a paradigm of traits.
- Cixous, Hélène (1974) «The character of «character»», *NewLiterary History*, 5, 383 – 402.
- Cohn, Dorrit (1966) «Narrated monologue: definition of a fictional style», *Comparative Literature*, 28, 97 – 112.
- Cohn, Dorrit (1978) *Transparent Minds: Narrative Modes for Presenting Consciousness in Fiction*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Cohn, Dorrit (1981) «The encirclement of narrative: on Franz Stanzel's *Theorie des Erzählens*» *Poetics Today*, 2, 12, 157 – 82.

- Copi, Irving M. (1961) *Introduction to logic*. New York: Macmillan. Orig. publ. 1953.
- Courtés, Joseph (1976) *Introduction à la sémiotique narrative et discursive*. Paris: Hachette Université.
- Culler, Jonathan (1975) *Structuralist Poetics. Structuralism, Linguistics and the Study of Literature*. London: Routledge & Kegan Paul. A lucid survey of structuralist theories of both poetry and narrative, as well as a presentation of the linguistic and anthropological basis of structuralism. Argues for a poetics grounded in a theory of reading.
- Culler, Jonathan (1980) «Fabula and Szuzhet in the analysis of narrative. Some American discussions», *Poetics Today*, 1, 3, 27 – 37.
- Culler, Jonathan (1981) *The Pursuit of Signs: Semiotics, Literature, Deconstruction* London: Routledge & Kegan Paul.
- Dällenbach, Lucien (1977) *Le récit spéculaire. Essai sur la mise en abyme*. Paris: Seuil.
- De Man, Paul (1971) *Blindness and Insight. Essays in the Rhetoric of Contemporary Criticism*. New York: Oxford University Press.
- De Man, Paul (1979) *Allegories of Reading: Figural Language in Rousseau, Nietzsche, Rilke, and Proust*. New Haven, Conn.: Yale University Press.
- Derrida, Jacques (1967a) «Freud et la scène de L'Écriture», in *L'Écriture et la différence*. Paris : Seuil.
- Derrida, Jacques (1967b) *De la grammatologie*. Paris : Minuit.
- Derrida, Jacques (1972) *Marges de la philosophie*. Paris : Minuit.
- Derrida, Jacques (1973) «Différance», in *Speech and Phenomena and Other Essays on Husserl's Theory of Signs*. Evanston, Ill. : Northwestern University Press, pp. 129-60. Orig. publ. in French 1967.
- Derrida, Jacques (1977) «Signature event context», *Glyph*, I, 172-97. Orig. publ. in French 1972.
- Doležel, Ludomir (1971) «Toward a structural theory of content in prose fiction», in Chatman, Seymour (ed.), *Literary Style : A Symposium*. London and New York : Oxford University Press, 95-110.

- Doležel, Lubomir (1980) «Eco and his model reader», *Poetics Today*, 1, 4, 181-3.
- Eco, Umberto (1979) *The Role of the Reader : Explorations in the Semiotics of Texts*. Bloomington and London : Indiana University Press.
- Eikhenbaum, Boris (1971) «The theory of the formal method», in Matejka, Ladislav and Pomorska, Krystyna (eds), *Readings in Russian Poetics*. Cambridge, Mass. : The MIT Press. Orig. publ. in Russian 1925.
- Erlich, Victor (1969) *Russian Formalism. History-Doctrine*. The Hague : Mouton.
- Even-Zohar, Itamar (1968/9) «Correlative positive and correlative negative time in Strindberg's *The Father and A Dream Play*» (in Hebrew), *Hasifrut*, 1, 538-68. English abstract pp. VI-VII.
- Ewen, Joseph (1968) «Represented speech : a concept in the theory of prose and its uses in Hebrew fiction» (in Hebrew), *Hasifrut*, 1, 140-52. English abstract pp. XII-XIII.
- Ewen, Joseph (1971) «The theory of character in narrative fiction» (in Hebrew), *Hasifrut*, 3, 1-30. English abstract pp. I-II.
- Ewen, Joseph (1974) «Writer, narrator, and implied author» (in Hebrew), *Hasifrut*, 18-19, 137-63. English abstract pp. VII-IX.
- Ewen, Joseph (1978) *A Dictionary of Narrative Fiction* (in Hebrew). Jerusalem : Akademon.
- Ewen, Joseph (1980) *Character in Narrative* (in Hebrew). Tel Aviv : Sifri'at Po'alim. Grapples with the complex problem of character and presents a clear and useful analysis of various methods of characterization. Unfortunately available only in Hebrew. A brief outline in English is attached to Ewen's 1971 article.
- Felman, Shoshana (1977) «Turning the screw of interpretation», *Yale French Studies*, 55/56, 94-207.
- Ferrara, Fernando (1974) «Theory and model for the structural analysis of fiction», *New Literary History*, 5, 245-68.
- Fish, Stanley E. (1970) «Literature in the reader : affective stylistics», *New Literary History*, 2, 123-62.

- Fish, Stanley (1980) *Is There a Text in This Class ?* Cambridge, Mass : Harvard University Press. A collection of early and more recent articles, dealing with the complex relations between text and reader, with an emphasis on the latter.
- Forster, E.M. (1963) *Aspects of the Novel*. Harmonds worth : Penguin. Orig. publ. 1927.
- Fowler, Roger (1977) *Linguistics and the Novel*. London and New York : Methuen.
- Friedman, Norman (1955) «Point of view in fiction : the development of a critical concept». *PMLA*, 70, 1160-84.
- Garvey, James (1978) «Characterization in narrative», *Poetics*, 7, 63-78.
- Genette, Gérard (1969) *Figures II*. Paris : Seuil.
- Genette, Gérard (1972) *Figures III*. Paris : Seuil. In English, (1980) *Narrative Discourse*. Ithaca, NY : Cornell University Press. A brilliant combination of theoretical and descriptive poetics, analysing both the system governing all narratives and its operation in Proust's *A la recherche du temps perdu*. Particularly new is the section on temporal frequency and the distinction between focalization and narration.
- Gibson, Walker (1950) «Authors, speakers, readers, mock readers», *College English*, II, 265-9.
- Gide, André (1948) *Journal 1889-1939*. Paris : Gallimard.
- Glauser, Lisa (1948) *Die erlebte Rede im englischen Roman des 19 Jahrhunderts*. Bern : A. Francke.
- Golomb, Harai (1968) «Combined speech - a major technique in the prose of S.Y. Agnon : its use in the story «A Different Face»» (in Hebrew), *Hasifrut*, I, 251-62. English abstract pp. V-VI.
- Greimas, Algirdas Julien (1966) *Sémantique structurale*. Paris : Larousse.
- Greimas, Algirdas Julien (1970) *Du Sens*. Paris : Seuil.
- Greimas, Algirdas Julien (1971) «Narrative grammar : units and levels» *Modern Language Notes*, 86, 793-906.
- Greimas, Algirdas Juliens (1973) «Les actants, les acteurs et les figures», in Chabrol, C. (ed.), *Sémiotique narrative et*

- textuelle*. Paris : Larousse. An extreme structuralist view, reducing characters to their participation in the action.
- Greimas, Algirdas Julien (1976) *Maupassant. La sémiotique du texte. Exercices pratiques*. Paris : Seuil. Developing the theories he started forming in 1966 and 1970 (see above,) Greimas also applies them to a story by Maupassant, showing how the deep-structure semiotic square manifests itself at the surface structure.
- Greimas, Algirdas Julien (1977) «Elements of a narrative grammar», *Diacritics*, 7, 23-40. Orig. publ. in French 1969.
- Greimas, Algirdas Julien and Courtés, Joseph (1979) *Sémiotique : un dictionnaire raisonné de la théorie du langage*. Paris : Hachette.
- Groupe d'Entrevernes (1979) *Analyse sémiotique des Textes. Introduction, Théorie-Pratique*. Lyon : Presses Universitaires de Lyon.
- Halperin, John (ed.) (1974) *The Theory of the Novel : New Essays*. New York : Oxford University Press.
- Hamburger, Käte (1951), «Zum Strukturproblem der epischen und dramatischen Dichtung», *DV*, 25, 1-25.
- Hamburger, Käte (1973) *The Logic of Literature*. Bloomington : Indiana University Press. Orig. publ. in German 1957.
- Hamon, Philippe (1977) «Pour un statut sémiologique du personnage», in Barthes *et. al.*, op. cit., pp. 117-63. Orig. publ. 1972. One of the few attempts at a systematic theory of character within a semiotic framework.
- Hawkes, Terence (1977) *Structuralism and Semiotics*. London : Methuen. a very useful introduction to structuralism and semiotics. Since this book is organized according to theoreticians, it could be read as an important companion to my own study which is organized according to issues. Excellent classified bibliography.
- Hénault, Anne (1979) *Les enjeux de la sémiotique*. Paris : Presses Universitaires de France. A clear introduction to Greimas's difficult theory. Recommended to beginners before tackling Greimas himself.
- Hernadi, Paul (1971) «Verbal worlds between action and vision :

- a theory of the modes of poetic discourse», *College English*, 33, 1, 18-31.
- Hjelmslev, Louis (1961) *Prolegomena to a Theory of Language*. Madison, Wis. : The University of Wisconsin Press.
- Hrushovski, Benjamin (1976 a) *Segmentation and Motivation in the Text Continuum of Literary Prose. The First Episode of War and Peace*. Tel-Aviv : The Porter Institute for Poetics and Semiotics.
- Hrushovski, Benjamin (1976b) «Poetics, criticism, science : remarks on the fields and responsibilities of the study of literature», *Poetics and Theory of Literature*, 1, III-XXXV.
- Hrushovski, Benjamin (1979) «The structure of semiotic objects. A three-dimensional model», *Poetics Today*, 1, 1-2, 363-76.
- Hrushovski, Benjamin and Ben-Porat, Ziva (1974) *Structuralist Poetics in Israel*. Tel-Aviv : The Porter Institute for Poetics and Semiotics.
- Huxley, Aldous (ed.) (1932) *The Letters of D.H. Lawrence*. London : Heinemann.
- Ingarden, Roman (1973) *The Literary Work of Art : An Investigation on the Borderlines of Ontology, Logic, and Theory of Literature*. Evanston, Ill. : Northwestern University Press. Orig. publ. in Polish 1931.
- Iser, Wolfgang (1971a) «The reading process : a phenomenological approach» *New Literary History*, 3, 279-99.
- Iser, Wolfgang (1971b) «Indeterminacy and the reader's response to prose fiction», in Miller, J. Hillis (ed.), *Aspects of Narrative*. New York : Columbia University Press.
- Iser, Wolfgang (1974) *The Implied Reader : Patterns of Communication in Prose Fiction from Bunyan to Beckett*. Baltimore, Md : Johns Hopkins University Press. One of the most important contributions to the phenomenology of reading, studying both the reader's role in «actualizing» the text and the ways in which the text guides and controls such actualization.
- Iser, Wolfgang (1978) *The Act of Reading : A Theory of Aesthetic Response*. Baltimore, Md : Johns Hopkins University Press. Orig. publ. in German 1976.

- Jakobson, Roman (1960) «Closing statement : linguistics and poetics», in Sebeok, Thomas A. (ed.), *Style in Language*. Cambridge, Mass. : The MIT Press, pp. 350-77.
- James, Henry (1962) *The Art of the Novel. Critical Prefaces by Henry James*. New York and London : Charles Scribner's Sons. Orig. publ. in the New York edition of James's works 1907-9.
- James, Henry (1963) «The art of fiction», in Shapira, Morris (ed.) *Henry James : Selected Literary Criticism*. Harmondsworth : Penguin. Orig. publ. 1884.
- James, Hans Robert (1977) *Asthetische Erfahrung und literarische Hermeneutik. Band I : Versuche im Feld der ästhetischen Erfahrung*. Munich : Fink.
- Kayser, Wolfgang (1948) *Das sprachliche Kunstwerk*. Bern : A Francke.
- Kermode, Frank (1979) *The Genesis of Secrecy*. Cambridge, Mass. : Harvard University Press.
- Kiparsky, P. and Anderson, S. (eds) (1973) *A Festschrift for Morris Halle*. New York : Holt, Rinehart & Winston.
- Kinghts, L. C. (1964) «How many children had Lady Macbeth ?», in *Explorations*. New York : New York University Press, pp. 15-54. Orig. publ. 1933.
- Kristeva, J., Milner, C. and Ruwet, N. (eds) (1975) *Langue, discours, société*. Paris : Seuil.
- Kuroda, S.Y. (1973) «Where epistemology, style and grammar meet : a case study from the Japanese», in Kiparsky and Anderson, op. cit.
- Kuroda, S.Y. (1975) «Reflexions sur les fondements de la théorie de la narration», in Kristeva et al., op. cit.
- Lacan, Jacques (1966) *Écrits I*. Paris : Points.
- Lämmert, Eberhard (1955) *Banformen des Erzählens*. Stuttgart : J.B. Metzlersche Verlag.
- Lemon, Lee T. and Reis, Marion J. (eds) (1965) *Russian Formalist Criticism : Four Essays*. Lincoln, Neb. : University of Nebraska Press. Essays by Shklovsky, Tomashevsky and Eikhenbaum, introducing basic formalist concepts :

«fabula» v. «sjužet», «motivation», «defamiliarization», etc.

Lévi-Strauss, Claude (1968) *Structural Anthropology*. Garden City, New York : Doubleday Anchor Books. Orig. publ. in French 1958. Lévi-Strauss's structural analysis of myth has had a decisive influence on the development of structuralist poetics. Particularly important are chapters 2 and 11. The latter contains the well known analysis of the Oedipus myth.

Lips, Marguerite (1926) *Le style indirect libre*. Paris : Payot.

Lipski, John M. (1976) «From text to narrative : spanning the gap», *Poetics*, 7, 191-206.

Lubbock, Percy (1963) *The Craft of Fiction*. New York : Viking Press. Orig. Publ. 1921.

McCarthy, Mary (1961) «Characters in fiction», *Partisan Review*, 28, 171-91.

McHale, Brian (1978) «Frec Indirect Discourse : a survey of recent accounts», *Poetics and Theory of Literature*, 3, 249-87. A very good survey of various theories of FID, with many examples from Dos Passos's *U.S.A.*

McHale, Brian (1981) «Islands in the stream of consciousness. Dorrit Cohn's *Transparent Minds*» *Poetics Today*, 2, 2, 183-91.

Mack, M. and Gregor, I. (eds) (1968) *Imagined Worlds : Essays on Some English Novels and Novelists in Honour of J. Butt*. London : Methuen.

Matejka, Ladislav and Pomorska, Krystyna (eds) (1971) *Readings in Russian Poetics*. Cambridge, Mass. : The MIT Press. A more extensive collection than Lemon and Reis, op. cit, and a better translation. Contains essays by Jakobson, Tomashevsky, Eikhenbaum, Tynjanov, Brik, Shklovsky and others.

Metz, Christian (1968) *Essais sur la signification au cinéma*. Paris : Klincksieck.

Meyer, Kurt Robert (1957) *Zur «erlebte Rede» im englischen Roman des zwanzigsten Jahrhunderts*. Bern : Francke.

Miller, J. Hillis (ed) (1971) *Aspects of Narrative*. New York : Columbia University Press.

- Miller, J. Hillis (ed) (1980) «The figure in the carpet», *Poetics Today*, 1, 3, 107-18.
- Millier, J. Hillis (ed) (1980/81) «A guest in the house. Reply to Shlomith Rimmon-Kenan's reply», *Poetics Today*, 2, 1b, 189-91.
- Morrisette, Bruce (1963) *Les romans de Robbe-Grillet*. Paris : Minuit.
- Mudrick, Marvin (1961) «Character and event in fiction», *Yale Review*, 50, 202 18.
- Norris, Christopher (1982) *Deconstruction : Theory and Practice*. London and New York : Methuen.
- Page, Norman (1972) *The Language of Jane Austen*. Oxford :. Blackwell.
- Page, Norman (1973) *Speech in the English Novel*. London :. Longman.
- Pascal, Roy (1962) «Tense and the novel», *Modern Language Review*, 57, 1, t-11.
- Pascal, Roy (1977) *The Dual Voice : Free Indirect Speech and Its Functioning in the Nineteenth-Century European Novel*. Manchester : Manchester University Press.
- Pavel, Thomas G. (1973a) «Remarks on narrative grammars», *Poetics*, 8, 5 30.
- Pavel, Thomas G. (1973b) «Phèdre. Outline of a narrative grammar», *Language Sciences*, 23, 1-6.
- Pavel, Thomas G (1976) *La syntaxe narrative des tragédies de Corneille*. Paris : Klincksieck, and Ottawa : Editions de l'Université d'Ottawa.
- Pavel, Thomas G (1977) *Plot and Meaning : Explorations in Literary Theory and English Renaissance Drama*. Unpublished.
- Pavel, Thomas G (1978) *Move Grammar : Explorations in Literary Semiotics* (prepublication). Toronto : Victoria University, Toronto Semiotic Circle.
- Perry, Menakhem (1968a) «The inverted poem : on a principle of semantic composition in Bialik's poems» (in Hebrew), *Hasifrut*, 1, 603-31. English abstract pp. 769-68.

- Perry, Menakhem with Sternberg, Meir (1968b) «The king through ironie eyes : the narrator's devices in the biblical story of David and Bathsheba and two excursuses on the theory of the narrative text» (in Hebrew), *Hasifrut*, t, 263-92. English abstract pp. 452-49.
- Perry, Menakhem (1969) «Thematic structures in Bialik's poetry : the inverted poem and related kinds» (in Hebrew), *Hasifrut*, 2, 40-82. English abstract pp. 261-59.
- Perry, Menakhem (1974) «O Rose, Thou Art Sick : devices of meaning construction in Faulkner's «A Rose for Emily»» (in Hebrew), *Siman Kri'a*, 3, 423-59.
- Perry, Menakhem (1976) *Semantic Dynamics in Poetry : The Theory of Semantic Change in the Text Continuum of a Poem* (in Hebrew). Tel-Aviv : The Porter Institute for Poetics and Semiotics.
- Perry, Menakhem (1979) «Literary dynamics : how the order of a text creates its meanings», *Poetics Today*, 1, 1, 35-64 and 311-61. As in the Hebrew articles listed above, Perry is interested in the impact of the order of presentation on the reader's sense-making activity. Discusses central issues like primacy and recency effect, gaps, frames, first and second readings. Exemplifies by a detailed analysis of Faulkner's «A Rose for Emily».
- Perry, Menakhem (forthcoming) «The combined discourse - several remarks about the definition of the phenomenon», *Poetics Today*. Paper presented at Synopsis 2 : «Narrative Theory and Poetics of Fiction», an international symposium held at the Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel-Aviv University and the Van Leer Jerusalem Foundation, June 1979.
- Plato (1963) «The Republic», in Hamilton, E. and Cairns, H. (eds), *Plato : The Collected Dialogues*. Princeton, NJ : Princeton University Press.
- Pouillon, Jean (1946) *Temps et roman*. Paris : Gallimard.
- Priece, Martin (1968) «The other self : thoughts about character in the novel», in Mack and Gregor, op. cit., pp. 279-99.
- Prince, Gerald (1973a) *A Grammar of Stories*. The Hague :

- Mouton. An important contribution to the construction of narrative grammar, including a discussion of the notion of «minimal story» as well as of the distinction between stories and non-stories.
- Prince, Gerald (1973b) «Introduction à l'étude du narrataire» *Poétique*, 14, 178-96.
- Prince, Gerald (1980) «Aspects of a grammar of narrative», *Poetics Today*, 1, 3, 49-63.
- Propp, Vladimir (1968) *Morphology of the Folktale*. Austin, Texas : University of Texas Press. Orig. publ. in Russian 1928. A pioneering study of plot-structure, discerning thirty-one functions which always follow the same order. Characters are conceived of as «roles» played in the action. Both Bremond and Greimas developed and modified Propp's model.
- Ricardou, Jean (1967) *Problèmes des nouveau roman*. Paris : Seuil.
- Ricardou, Jean (1971) *Pour une théorie du nouveau roman*. Paris : Seuil.
- Riffaterre, Michael (1966) «Describing poetic structures : two approaches to Beaudelaire's «les Chats»», *Yale French Studies*, 36/37, 200-42.
- Rimmon, Shlomith (1973) «Barthes's «hermeneutic code» and Henry James's literary detective : plot-composition in «The Figure in the Carpet»», *Hebrco University Studies in Literature*, 1, 183-207.
- Rimmon, Shlomith (1976a) «A comprehensive theory of narrativer : Genette's *Figures III* and the Structuralist study of fiction», *Poetics and Theory of Literature*, 1, 33-62.
- Rimmon, Shlomith (1976b) «Problems of voice in Vladimir Nabokov's *The Real Life of Sebastian Knight*», *Poetics and Theory of Literature*, 1, 489-512.
- Rimmon, Shlomith (1977) *The Concept of Ambiguity - the Example of James*. Chicago : The University of Chicago Press.
- Rimmon-Kenan, Shlomith (1978) «From reproduction to production : the status of narration in Faulkner's *Absalom, Absalom*» *Degrés*, 16, 19.

- Rimmon-Kenan, Shlomith (1980-81) «Deconstructive reflections on deconstruction. In reply to J. Hillis Miller», *Poetics Today*, 2, 1b, 185-8.
- Rimmon-Kenan, Shlomith (1982) «Ambiguity and narrative levels : Christine Brooke-Rose's *Thru*», *Poetics Today*, 3, 21-32.
- Rimmon-Kenan, Shlomith (forthcoming) «Varieties of repetitive narration, illustrated from Faulkner's *Absalom, Absalom*» Paper presented at the Second International Semiotic Congress, Vienna, July 1979.
- Robbe-Grillet, Alain (1963) *Pour un nouveau roman*. Paris : Gallimard.
- Romberg, Bertil (1962) *Studies in the Narrative Technique of the First-Person Novel*. Lund : Almqvist & Wiksell.
- Ron, Moshe (1981) «Free Indirect Discourse, mimetic language games and the subject of fiction», *Poetics Today*, 2, 2, 17-39.
- Roudiez, Léon S. (1961/2) «Characters and personality : the novelist's dilemma», *French Review*, 35, 553-62.
- Sarraute, Nathalie (1965) *L'ère du soupçon*. Paris ; Gallimard. Orig. publ. 1956.
- Saussure, Ferdinand de (1960) *Course in General Linguistics*. London : Peter Owen. Orig. publ. in French 1916.
- Shklovsky, Victor (1965) «Art as technique», in Lemon and Reis, op. cit., pp. 3-24. See comment under Lemon and Reis.
- Scholes, Robert (1974) *Structuralism in Literature*. New Haven, Conn., and London : Yale University Press.
- Smith, James Harry and Parks, Edd Winfield (eds) (1951) *The Great Critics : An Anthology of Literary Criticism*. New York : Norton.
- Spitzer, Leo (1928) «Zur Entstehung der sogenannten «Erlebten Rede»», GRM, 26, 327 ff.
- Stanzel, Franz K. (1955) *Die typischen Erzählsituationen im Roman*. Vienna : Braumüller. In English, (1971) *Narrative Situations in the Novel*. Bloomington : Indiana University Press.
- Stanzel, Franz K. (1964) *Typische Formen des Roman*. Göttingen : Vandenhoeck & Ruprecht.
- Stanzel, Franz K. (1981) «Teller-characters and reflector-characters

- in narrative theory». *Poetics Today*, 2, 2, 5-16. A compressed version of chapter 6 of his *Theorie des Erzählens* (1979). Göttingen : Vandenhoeck & Ruprecht, pp. 189-238.
- Sternberg, Meir (1974a) «Retardatory structure, narrative interest and the detective story» (in Hebrew), *Hasifrut*, 18/19, 164-80. English abstract pp. X-XI.
- Sternberg, Meir (1974b) «What is exposition ? An essay in temporal delimitation», in Halperin, John (ed.), *The Theory of the Novel : New Essays*. New York : Oxford University Press, pp. 25-70.
- Sternberg, Meir (1976) «Temporal ordering, modes of expositional distribution, and three models of rhetorical control in the narrative text», *Poetics and Theory of Literature*, 1, 295-316.
- Sternberg, Meir (1978) *Expositional Modes and Temporal Ordering in Fiction*. Baltimore, Md, and London : Johns Hopkins University Press. An important study of various aspects of time, with detailed examples from a wide range of novelists. This book includes material which previously appeared in article form in either Hebrew or English (see preceding items).
- Sternberg, Meir (forthcoming) «Mimesis and motivation», *Poetics Today*, Paper presented at Synopsis 2 : «Narrative Theory and Poetics of Fiction», and international symposium held at the Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel-Aviv University and the Van Leer Jerusalem Foundation, June 1979.
- Suleiman, Susan R. and Crosman, Inge (1980) *The Reader in the Text. Essays on Audience and Interpretation*. Princeton, NJ : Princeton University Press.
- Todorov, Tzvetan (ed.) (1965) *Théorie de la littérature. Textes des formalistes russes*. Paris : Seuil.
- Todorov, Tzvetan (1966) Les catégories du récit littéraire», *Communications*, 8, 125-51. A representative article of the early period of French structuralism, contributing more to the study of «story» than to that of the other aspects of narrative fiction. Exemplified by an analysis of Laclos's *Les liaisons dangereuses*.

- Todorov, Tzvetan (1967) *Littérature et signification*. Paris : Larousse.
- Todorov, Tzvetan (1969) *Grammaire du Décaméron*. The Hague : Mouton.
- Todorov, Tzvetan (1970) *Introduction à la littérature fantastique*. Paris : Seuil. In English, (1975) *The Fantastic : A Structural Approach*. Ithaca, NY : Cornell University Press.
- Todorov, Tzvetan (1973) «Some approaches to Russian Formalism», in Bann and Bowlt, op. cit., pp. 6-19.
- Todorov, Tzvetan (1977) *The Poetics of Prose*. Oxford : Blackwell. Orig. publ. in French 1971. Discusses central issues in the poetics of narrative fiction, such as narrative grammar, narrative transformations, gaps and absences, character, «how to read», etc. Contains an extensive analysis of the functioning of gaps in Henry James.
- Tomashevsky, Boris (1965) «Thematics», in Lemon and Reis, op. cit., pp. 61-95. Orig. publ. in Russian 1925. See comment under Lemon and Reis.
- Ullmann, Stephen (1957) «Reported speech and internal monologue in Flaubert», in *Style in the French Novel*. Cambridge : Cambridge University Press, pp. 94-120.
- Uspensky, Boris (1973) *A Poetics of Composition*. Berkeley : University of California Press. Orig. publ. in Russian 1970. A study of point of view in fiction. with many examples, predominantly from *Iar and Peace*. Discusses four aspects of point of view : ideological, phraseological, psychological, spatial and temporal. Particularly interesting is the point about the way in which naming can convey point of view.
- Voloshinov, Valentin N. (1973) *Marxism and the Philosophy of Language*. New York and London : Seminar Press. Orig. publ. in Russian 1930.
- Warning, Rainer (ed.) (1975) *Rezeptionsästhetik. Theorie and Praxis*. Munich : Fink.
- Weinsheimer, Joel (1979) «Theory of character : *Emma*», *Poetics Today*, 1, 1-2, 185-211. A provocative article which dissolves the notion of character by integrating it into «textuality».

- Woolf, Virginia (1953) «Modern fiction», in *The Common Reader*.
New York : Harvest Books, pp. 150-8. Orig. publ. 1925.
- Yacobi, Tamar (1981) «Fictional reliability as a communicative
problem», *Poetics Today*, 2, 2, 113-26.

كشاف المصطلحات : انجليزي – عربي

A

Acceleration	تسريع
Accoustic	سمعي
Achronic	لازمي
Act of reading	فعل القراءة
Actant	عامل
Acteur	مثل
Actual reader	القارئ الفعلي
Actualization	تحقيق
Adjective	صفة
Alliteration	تجنيس سجع
Allotropic	متأصل
Analogy	تناظر
Articulatory	نطقي
Aspect	مظهر
Attribute	نعت
Anthropomorphic	ذو توجه إنساني
Autochthonous	أصلي

B

Bivocality	ثنائية اللفظ
------------	--------------

C

Catalyst	حفاز
Category	مقولة
Character	شخصية
Characteristic	خاصية/مميزة
Characterization	تمييز
Code	شفرة
Combination	ضم
Competence	مقدرة
Compression	ضغط
Conceptualization	مفهومية
Condensation	تكثيف
Connotation	إيحاء
Construction	تشيد
Contradiction	تناقض
Contradictory	مناقض
Contrary	متضاد
Contrast	تقابل
Criterion	مقياس
Cultural	ثقافي

❖

D

Deceleration	تبطيء
Deep structure	بنية عميقة
Delay	تأجيل
Deletion	شطب

Diegesis	حكائية
Diegetic	حكائي
Denotation	دلالة مطابقة
Displacement	إحلال
Duration	ديمومة
Dynamic	دينامي

E

Ellipsis	حذف
Embedding	إدماج
Enchainment	تسلسل
Encoded reader	القارئ المشفر
Entity	كينونة
Explication	تفسير
Extradiegetic	خارج حكائي

F

Fabula	متن
Fiction	تخييل
Figuration	تصوير
Figure	مجاز
Finalization	تنهية
Formation	تشكل
Formalization	تشكيل
Formalize	شكّل
Formula	صيغة

Formulation	تصنيع
Frequency	تواتر

G

Gap	ثغرة
-----------	------

H

Hermeneutic	تأويلية
Heterodiegetic	متباين القصة
Heteronomous	تبعي
Homodiegetic	متماثل القصة
Homology	تماثل
Hypo-hypodiegetic	تحت — تحت حكائي
Hypodiegetic	تحت حكائي
Ideal reader	القارئ المثالي
Identical	مطابق
Imaginary	خيالي
Implied reader	القارئ الضمني
Individual	فرد
Individuated	متفرد
Information	إخبار/حقائق
Intelligibility	وضوح
Intercalation	إقحام
Interchangeability	تعاوضية
Inter-textual	متناصي
Intradiegetic	داخل حكائي

Irony	سخريّة
Iterative	تكرار متشابه

J

Juxtaposition	تماس
---------------------	------

K

Kernel	نواة
Knowledge	إطلاع

L

Label	عنونة
Linguist	لساني
Linguistics	اللسانيات
Literal meaning	معنى حرفي

M

Macro sentence	جملة كبرى
Macro sequence	مساق كبير
Metonymy	كناية
Micro sequence	مساق صغير
Minimal story	قصة صغيرة
Mise en abyme	إرصاد
Modality	موجه
Mode	نمط

Model	نموذج
Model reader	القارئ النموذجي
Monologue	حوار فردي
Morphological	مورفولوجي
Motivation	تحفيز
Motive	حافز

N

Narratee	مروي له
Narration	سرد
Narrative	قص
Narrativity	ساردية
Narratology	علم السرديات
Narrator	راوي
Naturalization	تطبيع
Notion	مفهوم
Novelistic	روائية

O

Opposit	متعارض
Opposition	تعارض
Order	ترتيب
Outcome	حصيلة

P

Pace	سرعة
------	------

Paradigm	استبدال
Paradigmatic	استبدالي/رأسي
Pattern	أنموذج
Patterning	عينة
Phrase	عبارة/شبة جملة
Plot	حبكة
Present Perfect	صيغة الماضي القريب
Prism	موشور
Proairetic	أحدائي

Q

Quality	ميزة
---------	------

R

Realization	تحقق
Recit	محكي
Reflector	عاكس
Reliability	موثوقية
Repetitive	تكراري
Representation	تمثيل
Retrospect(ive)	استعاد(ي)
Revisionism	المراجعاتية
Romance	رواية المغامرة

S

Satellite	تابع
-----------	------

Segment	قطّع
Seme	معنم
Semic	دلالي
Sequel	تتمّة
Series	متتالية
Simultaneous	متزامن آني
Significance	مغزى
Signification	دلالة
Singulative	فردى
Sjuzet	مبنى
Specifity	خصوصية
Stance	وضعة
Static	سكونى
Stereotype	قولة
Story	قصة
Story-line	خط القصة
Subordination	إخضاع
Super-reader	القارئ المتفوق
Supplement	تكملة
Surface-structure	بنية سطحية
Symbolic	رمزى
Symmetry	تساوق
Syntagmatic	أفقى
Syntagmatization	أفقنة

T

Temporality	سلطة زمنية
-------------	------------

Text	نص
Trait	سمة
Transverbal	عبر لفظي

U

Ultior	لاحق
Undecidability	لا حسمية
Uniform	متسق
Unreadability	لا قراءاتية
Unreliability	لا موثوقية

V

Verbal	لفظي
Virtual	فعلي
Visual	مرئي

W

Wit	فطانة
Work	أثر / عمل

الفهرس

7تقديم
9مدخل
17القصه : الأحداث
49القصه : الشخصوس
69النص : الزمن
91النص : التميز
107النص : التبير
129السرد : المستويات والأصوات
157السرد : تمثيل الكلام
171النص وقراءته
189خاتمة
192المراجع
214كشاف المصطلحات : انجليزي عربي
223الفهرس

PN3491 .L33 1995



369953



لئن كانت الشعرية البنيوية لا تقدم
تحليلاً للنص القصصي — وهو مأخذ على
جيرار جنت — إلا أنها تفتح آفاقاً للتحليل
بعد أن يصير القارئ قادراً على فك مغاليق
النص وكيفية اشتغاله. من هنا يسهم شكل
النص كما هو مكتوب في إعطاء أبعاده
ودلالته. وكما تقول يمنى العيد «إن القراءة
النقدية المستندة إلى معرفة بهيكلية النص هي
إذن قراءة تبغي إعانة القارئ على ممارسة
لذة القراءة من موقع المعرفة بفنية الكتابة،
أي بأسرار لعبها».

المترجم